التطاول على النبي ﷺ

وواجبات الأمة

أوراق عمل مؤتمر (رحمة للعالمين)

ح مجلة البيان، ١٤٢٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مجلة البيان

التطاول على النبي صلى الله عليه وسلم وواجبات الأمة/ البيان – الرياض، ١٤٢٩هـ

ص ٢٤٩؛ ١٧× ٢٤ سم

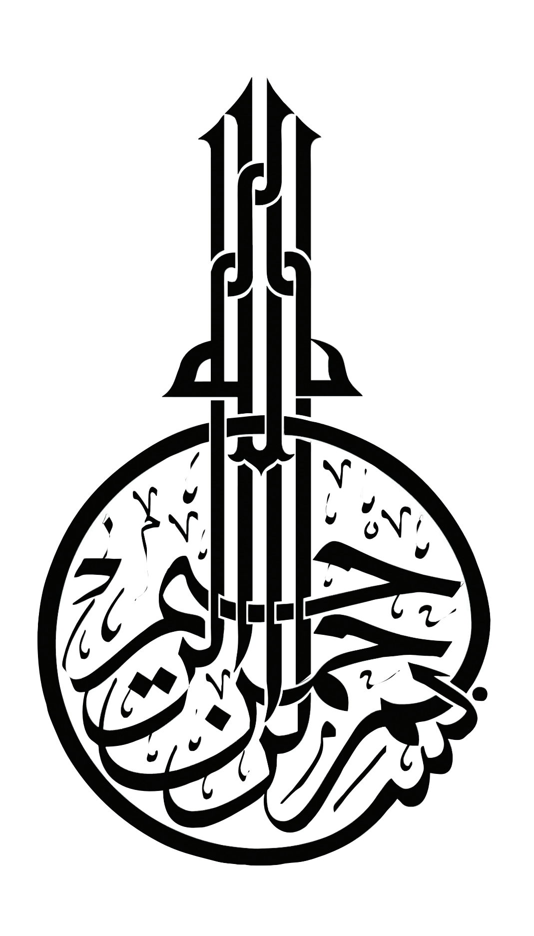
ردمك: ٥ – ٢ – ٩٠٠١٢ – ٦٠٣ – ٩٧٨

١ـ السيرة النبوية ٢ ـ الشمائل المحمدية أ. العنوان

ديوي ٢٣٩,٠٧٩ ١٤٢٩/٢٥٩٠

رقم الإيداع: ١٤٢٩/٢٥٩٠

ردمك: ٥ – ٢ – ٩٠٠١٢ – ٦٠٣ – ٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فهل كانت الرسوم الدانماركية المسيئة للنبي المصطفى ﷺ فلتة عابرة من صحفي مغمور يريد السمعة ولفت الانتباه؟!

وهل هي حدث محدود معزول من صحيفة هزيلة تسعى لتحقيق الانتشار وزيادة المبيعات فحسب؟!

وهل إصرار الدانماركيين على تبنِّي الرسوم المسيئة منافحة عن حرية التعبير واعتزازاً بقيمهم الثقافية؟!

ثم هل تعامل المسلمون مع أزمة الرسوم الدانماركية المسيئة للنبي المصطفى ﷺ بتشنُّج وتوتُّر، وبالغوا في تضخيم ردود الأفعال، كما يزعم بعض الليبراليين وأهل الأهواء من بني جلدتنا..؟!

الواقع يقول غير هذا على الإطلاق..!

فالصحافة الدانماركية تتحالف وتتواطأ لاستغضاب المسلمين والتطاول على حرماتهم وتحدي مشاعرهم بكل صلف واستعلاء، وتجد غطاء ودعماً سياسياً وفكرياً واسع النطاق في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وها هي ذي أخيراً منظمة (وقف أسلمة أوروبا) اليمينية الدانماركية تعلن عن مسابقة جديدة لرسومات مسيئة

للنبــي ﷺ، والبرلماني الهولنــدي (خيرت فيدرز) يعرض فلماً يسـيء للقرآن الكريم بعنوان: (فتنة)! و مجلة (هيومن إيفنتس) الأمريكية الأسـبوعية توزع كتاباً للمؤلف الأمريكـي (روبرت سبنسـر) ينال فيه مـن النبي ﷺ، وصدق المولـى - جل وعلا -: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**﴾ [**الأنفال**: ٧٣]، وقال - تعالى -: ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ [**الذاريات**: ٥٣].

إن التطاول على مقام النبوة جزء من منظومة واسعة لحرب الأفكار التي تبنَّتها عدد من المؤسسات الفكرية والإعلامية والسياسية في الغرب، وقد أخذت هذه الحرب مسارات متعددة تصَّاعد يوماً بعد آخر.

ومن أكثر هذه المسارات جلاءً:

أولاً: التطاول على حرمات الأمة، وانتهاك مقدساتها، ويدخل في هذا الباب التطاول على كتاب الله - عز و جل -[1]، والتطاول على النبي ﷺ، والتطاول على شعائر الإسلام كالحجاب الإسلامي ونحوه، وليس آخر هذا التطاول حملة (نزع الحجاب) التي تبنَّتها عدد من المنظمات النسوية في يوم المرأة العالمي في مطلع شهر ربيع الأول ١٤٢٩هـ الموافق لشهر مارس ٢٠٠٨م[2].

ثانياً: الدعوة المحمومة إلى تحريف الإسلام، وتقديم صورة ممسوخة مشوهة له، تقدم على أنها البديل الإسلامي الحضاري الذي يصطلح مع القيم الثقافية والفكرية

---

(١) انظر: كتاب (ماذا يريد الغرب من القرآن؟)، تأليف: الدكتور عبد الراضي محمد عبد المحسن.

(٢) أصدر جمع من العلماء والمفكرين من عدد من الدول الإسلامية رسالة بعنوان: (دعوة للمراجعة) وجَّهوها إلى قادة الرأي والفكر والسياسة في الغرب، بيَّنوا فيها موقف المسلمين من حملات التطاول الغربي على شعائر الإسلام. ترجمت الرسالة إلى ثنتي عشرة لغة، وخصص لها موقع على الشبكة العالمية: (www.alettertothewest.com).

الغربية، ويأتي في هذا السياق دعوة تقرير راند (٢٠٠٧م) لبناء شبكة من المسلمين المعتدلين الذين يتولون تحمل هذه المسؤولية[١]، بالإضافة إلى عدد كبير من المؤتمرات والأنشطة، أذكر منها على سبيل المثال:

١ - مؤتمر (العَلْمانية الإسلامية) المنعقد في فلوريدا - الولايات المتحدة الأمريكية في شهر مارس ٢٠٠٧م.

٢ - مؤتمر (الإعلان الأوروبي للتسامح) المنعقد في لاهاي بهولندا في شهر سبتمبر عام ٢٠٠٧م، اجتمعت فيه منظمات المرتدين عن الإسلام في أوروبا، ويهدف إلى مناقشة حقوق المرتدين![٢]

٣ - مؤتمر (الاحتفال بالكفر: التفكير الناقد من أجل الإصلاح الإسلامي) المنعقد في ولاية جورجيا الأمريكية في ٢٨ مارس ٢٠٠٨م[٣].

وهذه المؤتمرات ونظائرها تهدف إلى إشاعة التمرد على الدين، وازدراء الشعائر الإسلامية، والتفلت من القيم، وتأسيس أجيال ممسوخة الهوية، منقطعة الصلة بجذورها العقدية والثقافية.

ثالثاً: ترسيخ القيم الاجتماعية والفكرية الغربية، وتقديمها إلى العالم على اعتبار أنها القيم الحضارية التي يمكن أن تجتمع عليها شتى الحضارات الإنسانية، واستخدمت

---

(١) انظر: كتاب (استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام.. قراءة في تقرير راند ٢٠٠٧)، تأليف: الدكتور باسم خفاجي. وفي السياق نفسه نشرت مجلة (كومنتري) الأمريكية عدد فبراير ٢٠٠٨م، دراسة بعنوان: (محاولة للبحث عن المعتدلين المسلمين)! انظر: موقع تقرير واشنطن على الشبكة العالمية.

(٢) انظر: مجلة البيان، العدد: (٢٤٢)، شوال ١٤٢٨هـ.

(٣) موقع المؤتمر على الشبكة العالمية: www.hereticmuslims.com.

المنظمات الدولية كهيئة الأمم المتحدة ونحوها في اختراق الشعوب وفرض رؤيتها الثقافية عليها، ولعل أصرح الأمثلة على ذلك: اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) التي تكرس قيم الزنا والشذوذ الجنسي، وتقدمها على أنها مشترك إنساني حضاري!

إنَّ هذا الطوفان الجارف من المكر والعداء يتطلب رؤية دعوية جديدة قادرة على تحمُّل المسؤولية وتحصين الأمة، وقائمة بالواجب الشرعي الذي أوجبه الله – عز وجل – على عباده المؤمنين.

ولا يكفي أن نحمل الآخرين تبعات الأزمة، بل لابد أن نستشعر المسؤولية وننتصر لدين الإسلام الحق، قال الله – تعالى –: ﴿**وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ**﴾ [**النساء**: ١٠٤]. وهذا يتطلب استثمار هذه الاستفزازات العدائية لاستنهاض همم العلماء والدعاة للذبِّ عن الدين وحرماته؛ بل استثمار الغيرة الصادقة والحمية الكبيرة التي رأيناها في صفوف عامة المسلمين بعد أزمة التطاول على سيد ولد آدم ﷺ.

وقراءة الواقع بوعي تجعلنا نؤكد أن الصراع الفكري مع الغرب ليس مجرد سحابة صيف عابرة، ولن يقف عند حد معين، فالأحداث المتتابعة تؤكد أن عجلة العداء والتحدي تتسارع بصورة واسعة جداً؛ وأخطر ما فيها أن جمعاً من المفسدين وأهل الأهواء من بني جلدتنا أصبحوا معولاً حاداً وجارحاً يستخدمه أسيادهم لتقويض واختراق بنيان الأمة، وصدق المولى – جل وعلا –: ﴿**وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ**﴾ [**الأعراف**: ٢٠٢].

نعم! لقد تألَّم المسلمون كثيراً من تلك الرسوم المسيئة، وعلى الرغم من ذلك

أرى أنها فرصة تاريخية للتعريف بنبي الرحمة ﷺ، وإبراز شمائله الكريمة وسيرته الشريفة العطرة، ليس عند الغربيين فحسب بل حتى عند المسلمين الذين يجهل كثير منهم سيرته وهديه، ويغفل عن شريعته وسنته.

إنها فرصة لتحويل الأزمة إلى مشروع دعوي جاد يتجنب ردود الأفعال المرتجلة والمحدودة، ويسعى لبناء حركة علمية قوية توظف فيها طاقات الأمة وحميَّتها توظيفاً إيجابياً وناضجاً، وإذا كان الغرب يستقطب المرتدين ويحتفل بالكفر؛ فلنحتفل نحن بالإيمان بالله - عز وجل - وحده لا شريك له، ولنعتز بكتاب ربنا - سبحانه وتعالى -، ولترتفع رؤوسنا بمحبة النبي ﷺ وتعظيم سنته والاهتداء بهديه.

ومما زادني شرفاً وتيهاً	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

ومن أجل تدارس هذه الأزمة وخلفياتها أقامت مجلة البيان مؤتمراً عالمياً بالتعاون مع جامعة الخرطوم، وجمعية القرآن الكريم، وإذاعة طيبة، وقناة طيبة، ومجلة النصرة، برعاية مشكورة من رئاسة الجمهورية السودانية، وبفضل الله - عز وجل - شارك في هذا المؤتمر عدد كبير من العلماء والدعاة والمفكرين من عشرين دولة إسلامية.

كان المؤتمر بعنوان: **(رحمة للعالمين)**، تحت شعار: **(حتى تكون النصرة نهج الحياة)**.

ولقد أعلن القائمون على المؤتمر عدة أهداف من إقامتهم إيّاه، من أهمها:

١ - تأكيد وجوب إجلال ثوابت الشريعة وتعظيم حرماتها.

٢ - بيان أسباب التطاول على النبي ﷺ، وخلفياته ودواعيه.

٣ - استثمار ردود الأفعال الصادرة من حوادث الإساءة في سبيل إحياء الاتِّباع للنبي ﷺ.

٤ - الإشادة بالجهود المبذولة في النصرة، وتحليل نتائجها وآثارها على الأقليات الإسلامية.

٥ - ترسيخ ثقافة العمل الدعوي المنهجي المستمر، بدلاً من أسلوب ردود الأفعال العشوائية.

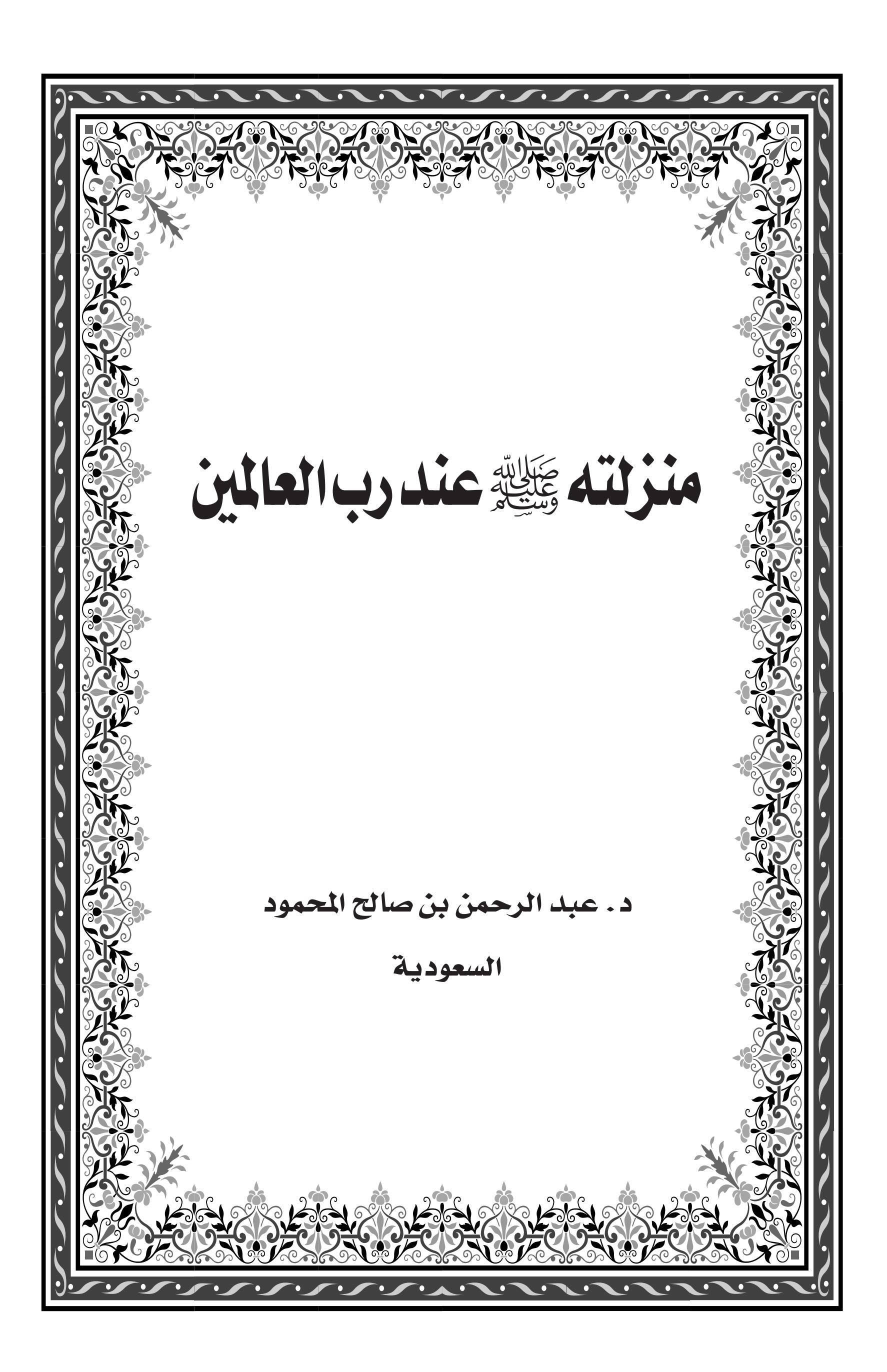
ويضم هذا الكتاب أوراق العمل التي وصلت مكتوبة إلى اللجنة العلمية للمؤتمر[1]، ونسأل الله - عز وجل - بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينصر دينه، وأن يعزَّ أولياءه، ويذلّ أعداءه، ويجعل كيدهم في نحورهم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

رئيس تحرير مجلة البيان

أحمد بن عبد الرحمن الصويان

(١) باستثناء ورقة بعنوان: (الأدلة الجلية على نبوة خير البرية ﷺ)، للدكتور عبد المحسن بن زبن المطيري، فقد طبعت مستقلة ضمن سلسلة كتاب البيان.



منزلته ﷺ عند رب العالمين

د. عبد الرحمن بن صالح المحمود

السعودية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فخصائص نبينا محمد ﷺ كثيرة، ولم تجتمع لنبي قبله قط، وقد أفرد العلماء ذلك بمؤلفات كثيرة مشهورة، ويلاحظ على بعضها أو غالبها خلط الصحيح بالضعيف والموضوع فتضمنت روايات وأقوالاً مشتملة على مخالفات عقدية وشرعية، أصبحت فيما بعد أساساً لمقالات بدعية كثيرة لدى طوائف من الصوفية وغيرهم من الغلاة. ولذلك حرص العلماء والباحثون في الجامعات الشرعية على دراسة تلك الروايات وتمحيصها وتمييز الصحيح من غيره والرد من خلال ذلك على أهل البدع.

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة الصحيحة في هذا الباب المهم وهو باب خصائص نبينا محمد ﷺ وجد أن فيها من الكثرة والغناء ما يغني عن اللجوء إلى روايات الوضاعين والضعفاء ومقالات أهل البدع.

ومنزلة النبي ﷺ في دين الإسلام وخصائصه وخصائص دين الإسلام الذي جاء به وخصائص أمته؛ أبواب عديدة واسعة. ونحن في هذه الورقات المختصرة نعرض - بإجمال - إلى أحدها وهو: (منزلته ﷺ عند رب العالمين).

ونظراً إلى كثرة المسائل وظهور دلائلها لكل مسلم اكتفينا بالإشارات التي تغني عن طويل العبارات. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

عبد الرحمن الصالح المحمود

١٤٢٨/١١/١هـ

أولاً: آيته ومعجزته الكبرى القرآن الكريم:

وهو كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وهو الآية العظمى التي خص الله بها هذا النبي الكريم:

١- فحفظه الله من التحريف والتغيير والتبديل مصداقاً لوعده: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [**الحجر**: ٩]. ولا تزيده محاولات الأعداء - بالتغيير أو الحذف ولو قلّ - إلا حفظاً، فسبحان رب العالمين الذي تكلم به وأنزله.

٢- إنه آية ومعجزة كبرى دالة على صدق نبينا محمد ﷺ.

٣- إن هذا الإعجاز باقٍ إلى آخر الزمان، فهو قائم الآن، والناس كافة مخاطبون به، ويا ليت الدعاة إلى الله - تعالى - يبرزون ويظهرون هذا المعنى لكل من يدعونه إلى الله - تعالى - من المشركين وأهل الكتاب وغير الدينيين الملاحدة وغيرهم.

٤- هذا القرآن المحفوظ هو سبب كثرة أتباع نبينا محمد ﷺ، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «ما من الأنبياء نبيّ إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1].

٥- أوجه الإعجاز في هذا القرآن كثيرة متنوعة، منها:

أ - إعجازه البياني والبلاغي.

ب - إعجازه فيما أخبر به من الغيوب السابقة واللاحقة.

ج- إعجازه في تشريعه وأحكامه.

---

(١) متفق عليه.

د- إعجازه في إحكامه وعدم الاختلاف والاضطراب فيه .

وغيرها من الوجوه . ولا تزال العلوم والمكتشفات الحديثة تشهد على ما في هذا القرآن من إعجاز .

٦- جعل الله هذا القرآن ناسخاً ومهيمناً على ما قبله من الكتب، وهنا يظهر التلازم بين هذا وعالمية الإسلام وختم الرسالات بنبوة محمد ﷺ؛ كما سيأتي .

ثانياً: النبوة والرسالة وختمها به ﷺ:

وقد جاء هذا في نصوص كثيرة في كتاب الله - تعالى -، منها :

- قوله - تعالى - : ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ [**النساء** : ١١٣] .

- وقوله - تعالى - : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [**الأحزاب** : ٤٥ - ٤٦] .

- وقوله - تعالى - : ﴿ **وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ [**الشورى** : ٥٢] .

- وأدلة ختم النبوة به كثيرة منها قوله - تعالى - : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ .
[**الأحزاب** : ٤٠]

قال ابن كثير في تفسيرها : «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بطريق الأَوْلى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة،

فإن كل رسول نبي ولا ينعكس» .

- وكذلك جاءت السنة بختم النبوة بمحمد ﷺ وأنه لا نبي بعده، بل حذر ﷺ وفضح المتنبئين الكاذبين الذين سيأتون بعده، وقد وقع ما حذر منه، حيث إنه في كل عصر يخرج مدعو النبوة، وسرعان ما يستبين كذبهم ويفضحون .

وختم النبوة بمحمد ﷺ له دلالات كثيرة، من أهمها :

١- بقاء دينه وشريعته ومنهجه، وصلاحيته لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، وهذا مقتضٍ لعموم رسالته إلى العالمين، وبين الأمرين تلازم .

٢- أن دينه ناسخ لما سبقه، وعليه فحاجة البشرية الاضطرارية إلى دين الرسل باقية وهي محصورة في دين الإسلام الذي جاء به هذا النبي الكريم ﷺ .

ثالثاً: عموم رسالته إلى العالمين جميعاً:

فبعثه الله إلى الثقلين الإنس والجن كافة .

- قال - تعالى - : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [**الفرقان** : ١]، فيدخل في (العالمين) الإنس والجن .

- إرساله إلى الجن جاء مبيناً في سورة الجن كلها . وفي قوله - تعالى - : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** ﴾ [**الأحقاف** : ٢٩] .

- وقال - تعالى - : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [**سبأ** : ٢٨] .

- وقال - تعالى - : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ .

[**الأعراف** : ١٥٨]

- وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

- وفي الصحيح أنه ﷺ قال: «وبعثت إلى الناس كافة». فكل الأمم من اليهود والنصارى والمجوس والمشركين وغيرهم مدعوون دعوة لا خيار لهم فيها أن يتبعوا هذا النبي الخاتم محمد ﷺ.

وبهذا يتبين بطلان:

١- من زعم أن محمداً ﷺ رسول إلى العرب خاصة كما يقوله اليهود والنصارى وغيرهم.

٢- ومن يزعم - اليوم - أن الإسلام خاص بالمسلمين وأن من عداهم من أمم الأرض ليسوا مدعويين إلى الدخول في الإسلام.

٣- ودعوى العَلْمانيين أن رسالته ﷺ انتهى دورها أو أنها خاصة بالجانب التعبدي ولا علاقة لها بشؤون الحياة.

رابعاً: أن الله رفع ذكره في العالمين:

وقد جاء ذلك من خلال أمور:

١- قال - تعالى - له: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤].

٢- وناداه ربه بأعز أوصافه: يا أيها النبي.. يا أيها الرسول.. وغيره من الرسل الكرام ناداهم بأسمائهم: يا نوح، يا إبراهيم، يا لوط، يا موسى، يا عيسى.. إلخ.

٣- بل نهى الله المؤمنين أن ينادوه إلا بالنبوة والرسالة، قال - تعالى -: ﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣]، فالراجح في تفسيرها: الأمر بأن ينادوه باسم النبوة والرسالة تشريفاً له.

٤- وأقسم - تعالى - بحياته ﷺ فقال: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [**الحجر**: ٧٢].

قال ابن كثير في تفسيرها: «أقسم - تعالى - بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض».

٥- وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. كما في فاتحة سورة الفتح.

٦- ورفع ذكره بأن قرن اسمه - تعالى - باسمه فلا يذكر الله إلا ذكر معه:

- في الأذان والإقامة.

- وفي التشهد.

- وفي الخطبة.

- وفي الشهادتين؛ حيث إن بينهما تلازماً فلا تصح شهادة (أن لا إله إلا الله) إلا بشهادة (وأن محمداً رسول الله).

٧- وقد تحقق رفع ذكره في العالمين منذ بعثته إلى يومنا هذا فلا يوجد لأحد من الناس ذكر مرتفع ومقام عظيم كما لهذا النبي الكريم ﷺ.

خامساً: قرن الله طاعته بطاعة رسوله ﷺ:

١- وهذا جاء في نصوص كثيرة من القرآن الكريم. كقوله - تعالى -: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ٣٢]، وكقوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ** ﴾ [**الأنفال**: ٢٠].

وقوله: ﴿ **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾.

[**الأنفال**: ٤٦]

وفي آيات كثيرة جاء فيها أيضاً أن من عصى الرسول فقد عصى الله وقرن بينهما فقال: ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾ [**النساء**: ١٤] [**الأحزاب**: ٣٦] [**الجن**: ٢٣]، وهي تدل على التلازم بين الطاعتين، فلا تصح ولا تتم طاعة الله إلا بطاعة رسول الله ﷺ، كما أن طاعة الرسول لا تصح إلا بطاعة الله - تعالى -.

فمن زعم أنه يأخذ بالقرآن ويتبع ما فيه، ولا حاجة له إلى الأخذ بالسنة فهو مكذب بالقرآن نفسه كما في النصوص السابقة. وعليه؛ فمن يسمون أنفسهم بالقرآنيين هم في الحقيقة مكذبون بالقرآن صراحة؛ لأن نصوصه التي أوجبت وأوصت وأمرت بطاعة الرسول محمد ﷺ والأخذ بما جاء به من السنة لا تكاد تحصى إلا بكلفة.

٢- واستلزمت هذه القاعدة والحقيقة الكبرى عدة حقائق أخرى، أهمها:

أ- تحريم رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، قال - تعالى -: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ** ﴾ [**الحجرات**: ٢].

وهذا من تعظيم النبي ﷺ وتوقيره. وإذا كان هذا - كما جاء في روايات تفسير هذه الآية وأسباب نزولها - في حياته عليه الصلاة والسلام؛ فإن مدلولها يمتد بعد وفاته حساً ومعنى. فلا صوت يرفع عند مجيء سنته وشرعه، بل يجب الإنصات لكل حكم وشرع وسنة جاءت من عنده ﷺ.

ب- أنه لا يجوز التقدم بين يدي الله ورسوله برأي أو اجتهاد أو اقتراح قال - تعالى -: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [**الحجرات**: ١]. والمعنى: لا تتقدموا بقول أو فعل فيما سبيله أن يؤخذ عن الله وعبر رسوله من أمور الدين أو الدنيا، بل أخروا أقوالكم وآراءكم واجتهاداتكم

إلى أن يأمر الله ويأمر رسوله ﷺ. وفي هذا من دلالات التوقير والتعظيم والأدب والطاعة مع الرسول ﷺ ما ضرب فيه الصحابة أعظم الأمثلة وهم القدوة لنا رضي الله عنهم أجمعين.

جـ- وجوب التحاكم إلى الرسول ﷺ عند التنازع، قال - تعالى -: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [**النساء**: ٦٥]، فنفى الإيمان عمن لم يتحاكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته عند النزاع والاختلاف، بل لا بد من نفي الحرج والضيق عن القلوب والتسليم التام لحكمه.

٣- وكما قرن - تعالى - طاعته بطاعة رسول الله ﷺ فقد قرن محبته بمحبته ورضاه برضاه، وجعل بيعة رسوله بيعة له.

- فقال - تعالى -: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا**﴾ [**التوبة**: ٢٤].

- وقال - تعالى -: ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ [**التوبة**: ٦٢].

- وقال - تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾ [**الفتح**: ١٠].

٤- كذلك أيضاً قرن أذاه - تعالى - بأذى رسوله ومشاقته بمشاقته فقال - تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [**الأحزاب**: ٥٧].

وقال – تعالى –: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ١٣].

وقال – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [المجادلة: ٥]. وفي الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠].

وقال – تعالى –: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٣].

ففي الآية الأولى بيان حكم من آذى الرسول ﷺ وأن عقوبته اللعن والطرد من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ومنها يستنبط حكم من آذى رسول الله ﷺ وأن حكمه الكفر ووجوب القتل كما استنبطه العلماء من هذه الآية وغيرها.

٥- أكرمه بمنزلة الخلّة:

وهي خالص المحبة، وقد كانت لرسولين كريمين هما إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، أخرج مسلم في صحيحه [٥٣٢] عن جندب بن جنادة – رضي الله عنه – قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله – تعالى – قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

كما أخرج مسلم في صحيحه عن ابن مسعود – رضي الله عنه – [٢٣٨٣] يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه

أخي وصاحبي وقد اتخذ الله - عز وجل - صاحبكم خليلاً».

- وكما أن له ﷺ منزلة الخلّة فقد كلمه الله - تعالى - ليلة المعراج وفرض عليه الصلوات الخمس.

سادساً: ثناؤه - تعالى - على رسوله في القرآن:

وقد جاء هذا في كتاب الله - تعالى - مبيناً ومفصلاً؛ فقد أثنى عليه - تعالى - وزكاه وامتنَّ به على هذه الأمة كما قال - تعالى -: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾ [**آل عمران**: ١٦٤]. وقال - تعالى -: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [**التوبة**: ١٢٨].

ومن أمثلة هذا الثناء والتزكية لهذا النبي الكريم ﷺ:

١- الأمر بالصلاة والسلام عليه بعد الإخبار بأن الله وملائكته يصلون عليه، قال - تعالى -: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [**الأحزاب**: ٥٦].

فالصلاة المأمور بها هي الطلب من الله - تعالى - ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته وهي: ثناؤه عليه في إظهار فضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه، فهي تتضمن الخبر والطلب. [ينظر: جلاء الأفهام لابن القيم، ص٧٨]. ويقول ابن كثير في تفسير الآية السابقة: «والمقصود من هذه الآية أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر - تعالى - أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه

من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعاً».

أما أحاديث الصلاة عليه ﷺ فهي كثيرة متواترة معلومة أفردها العلماء بمؤلفات ذكرت رواياتها وطرقها ومواضع الصلاة عليه، وقد جاء في فضلها حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - في صحيح مسلم مرفوعاً: «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً»، والصلاة عليه واجبة وللعلماء كلام في ذلك.

٢- والله - تبارك وتعالى - زكى نبيه:

أ- فزكى فؤاده وقلبه فقال: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [**النجم**: ١١].

ب- وزكى بصره فقال: ﴿**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [**النجم**: ١٧].

جـ- وزكى لسانه فقال: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ [**النجم**: ٣].

د- وزكى خلقه فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [**القلم**: ٤].

هـ- وزكاه كله فقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [**الأنبياء**: ١٠٧].

٣- أخذ العهد والميثاق على النبيين إن بعث فيهم ليؤمنن به ولينصرنه:

قال - تعالى - في ذلك: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [**آل عمران**: ٨١]. روى ابن جرير عن علي - رضي الله عنه - [ومثله عن ابن عباس - رضي الله عنه -] قال: «لم يبعث الله نبياً من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد ﷺ لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه». [إسناده صحيح].

سابعاً: إكرام الله - تعالى - لنبيه في أمته:

من إكرام الله – تعالى – لهذا النبي الكريم – وهي مكارم وفضائل لا تكاد تحصى – إكرام الله لأمته، حيث أكرمها – تعالى – بنِعَم كثيرة وخصائص تميزت بها عن غيرها من الأمم.

ومن أهمها:

١- أنها خير أمة أخرجت للناس، قال – تعالى –: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾ [**آل عمران**: ١١٠].

فهي خير أمة، وخيريتها يمتد أثرها إلى الناس جميعاً إذا آمنت بالله وأمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، والخيرية بهذا الشرط باقية وقائمة إلى يومنا هذا وستبقى.

والبشرية اليوم تتخبط في حياتها، فما أحوجها إلى هذا النور والضياء المستمد من الكتاب والسنة ويحمله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

٢- أنها الأمة الوسط بين الأمم، قال – تعالى –: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [**البقرة**: ١٤٣].

وفي هذه الآية:

أ- أن هذه الأمة وسط بين الأمم التي انحرفت إما إلى الإفراط أو إلى التفريط في التوحيد والرسل والشريعة.

ب- أن هذه الأمة أكرمها الله بالشهادة على الناس يوم القيامة في أن أنبياءهم قد بلّغوهم رسالة ربهم.

جـ- أن الرسول ﷺ شاهد على أمته يوم القيامة .

٣- أن هذه الأمة - وإن كانوا الآخرين زماناً - فهم الأولون يوم القيامة ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيدَ أنهم أوتوا الكتاب قبلنا» ، [البخاري : حديث ٨٧٦ ، ومسلم : كتاب الجمعة] .

وتظهر هذه الأولية على الأمم من وجوه :

١- أنهم أول من يقضى بينهم بين الخلائق كما جاء في صحيح مسلم : «نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق» ، [مسلم : كتاب الجمعة] .

٢- أن هذه الأمة مع نبيها هي أول من يجتاز الصراط كما في صحيح مسلم : «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز» ، [مسلم] .

٣- أنهم أول من يدخل الجنة كما في صحيح مسلم : «ونحن أول من يدخل الجنة» ، [مسلم] ، وفيهم السبعون ألفاً .

٤- مضاعفة أجر هذه الأمة مع أنهم أقل عملاً ممن كان قبلهم كما في حديث البخاري الطويل عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم . . » ، الحديث (البخاري : رقم ٢٢٧١) .

٤- أن الله أكرم رسوله وأمته بأمور أخرى كثيرة ، منها :

أ- شهر رمضان .

ب- ليلة القدر .

جـ- يوم الجمعة الذي أضلَّ الله عنه الأمم السابقة.

د- المسجد الحرام ومسجده ﷺ وفضل الصلاة فيهما وأن الدجال لا يدخل مكة والمدينة.

هـ-نزول عيسى - عليه السلام - حاكماً بالقرآن ومتبعاً للرسول ﷺ.

ثامناً: دروس ونتائج:

يتبين مما سبق عدة أمور مهمة:

١- أن هذا النبي الكريم ﷺ هو عبد الله ورسوله، فقد شرَّفه الله بالعبودية كما شرَّفه بالرسالة فليحذر من طرفَيْ قصد الأمور:

- الإفراط: غلواً فيه ورفعاً إلى منزلة الألوهية ونحوها.

- والتفريط: جفاء في حقه وما له من المنزلة والتوقير والتعظيم.

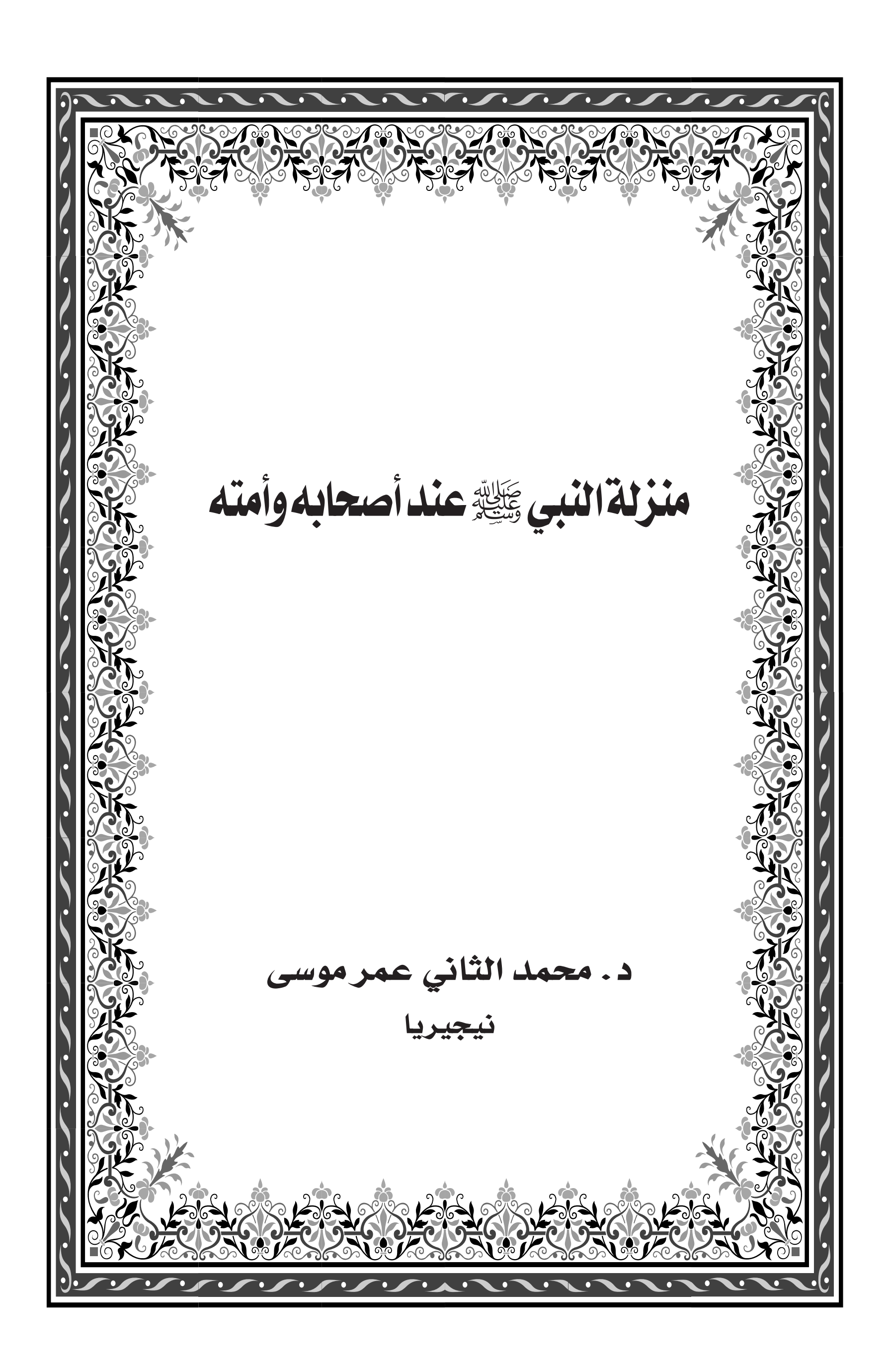
٢-أن التلازم بين الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله يقتضي أنه لا يصح إيمان ولا دين إلا بالإيمان به ﷺ واتباع ما جاء به. وهذا شامل للأمم كافة ولكل الناس.

٣- أن أي حوار أو لقاء بين الأديان أو الطوائف يغفل الأصل العظيم (شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله) وما تقتضيه هاتان الشهادتان ولوازمهما؛ فهو حوار لا ثمرة حقيقية له، سوى أن يُطلب من المسلمين أن يتخلوا عن دينهم وأن يصححوا دين اليهود والنصارى والمشركين. وهذا سبب فشل الحوارات سابقاً ولاحقاً.

٤- أرى أن يُقدَّم للعالم- ومنه الغرب - الإسلام الحقيقي لنكون صادقين مع

أنفسنا ومع غيرنا، وهذا أجدى وأنفع من أساليب التعمية والإخفاء والبحث عن التأويلات والشذوذات التي لا يقبلها عموم المسلمين ولا يصدق بها مفكرو الغرب، فليس في ديننا ولا شريعتنا ولا إسلامنا ما نخجل منه أو نخاف من الجهر به .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



منزلة النبي ﷺ عند أصحابه وأمته

د. محمد الثاني عمر موسى

نيجيريا

مدخل

إن الحديث عن منزلة نبينا محمّد ﷺ ومكانته عند أصحابه وأمته لحديثٌ ذُو أطراف مترامية، ونواح واسعة، فإنّه لم يتبوأ شخصٌ في تاريخ البشريّة كلِّه مكانةً في صدور أصحابه وأتباعه مثلَ ما تبوأه هذا النبي ﷺ في قلوب أمّته، وذلك نابع من إيمانهم بأنه سيّد ولد آدم وخاتم رسل الله وأفضلهم، فاستحق من المحبّة والتّعظيم والإجلال ما لا يُساميه فيه أحدٌ، وأدرك أصحابه وأمّته ما فيه من كمال الصّفات وجلالة القدر ما رفعه إلى هذا المقام، وأوصله إلى أعلى منزلةٍ وأسمى مكان.

وهذه صفحات ليس فيها إلا إشاراتٌ إلى تلك المنزلة بإيجاز؛ إذ ليس في وسعنا إلاّ الإيجاز، ومصنّفات الحديث وكتب السيرة والتّاريخ حافلةٌ بذكر وقائعَ وأحداث تُشهد الواقِفَ عليها على صحَّة ما قُلنا، وصواب ما إليه أشرنا، والله ولي التّوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. محمد الثاني عمر موسى

٦/شوال/١٤٢٨هـ

الموافق ١٧/أكتوبر/٢٠٠٧م

منزلة النبي ﷺ عند أصحابه

أوجب الله - تعالى - على هذه الأمّة الإيمان بهذا النّبي العظيم ﷺ وحبّه وتعظيمه، واتّباعه وتوقيره، قال - تعالى -: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [**الفتح**: ٨ - ٩].

وقال - تعالى -: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [**التوبة**: ٢٤].

«فكفى بهذا حضاً وتنبيهاً، ودلالةً وحجةً على إلزام محبّته، ووجوب فرضها، وعِظَم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قَرَّع - تعالى - من كان مالُه وأهلُه وولدُه أحبَّ إليه من الله ورسوله، وأوعدهم بقوله - تعالى -: ﴿**فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ**﴾، ثُمّ فَسَّقهم بتمام الآية وأعلَمهم أنهم ممن ضلّ ولم يهده الله»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «فَوَالَّذِى نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِن وَالِدِهِ وَوَلَدِه»[٢].

---

(١) الشفا، للقاضي عياض (٢/ ٤٣).

(٢) صحيح البخاري (رقم ١٤)، وعن أنس - رضي الله عنه - نحوه، انظر: صحيح البخاري (رقم ١٥)، وصحيح مسلم (رقم ٤٤).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بن هِشَام قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبي ﷺ وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب، فَقَالَ لَهُ عمر: يا رسول اللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيء إِلاَّ مِنْ نَفْسِي. فَقَالَ النَّبي ﷺ: «لاَ وَالَّذِى نفسي بِيَدِه حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِن نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَاللَّهِ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبي ﷺ: «الآنَ يَا عُمَرُ»[١].

وتتجلى منزلته ﷺ عند أصحابه فيما يلي:

أولاً: شدّة محبّتهم له وشوقهم إليه ﷺ:

■ شاهد عروة بن مسعود - رضي الله عنه - قبل إسلامه ما كان من الصّحابة يوم الحديبية من عظيم محبتهم للنبي ﷺ، وتقديرهم له، وتبركهم بآثاره، ومبادرتهم في تنفيذ أوامره ﷺ، وكان مما جاء في رواية الحادثة: «ثُمَّ إِنَّ عُروَةَ جَعَلَ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بعَيْنَيْهِ، قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُل مِنْهُم، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُم ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُم عِندَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْم، وَاللَّهِ لَقَد وَفَدتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيّ، وَاللَّه إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّد ﷺ مُحَمَّداً، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُم عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيماً لَهُ»[٢].

---

(١) صحيح البخاري (رقم ٦٦٣٢).

(٢) صحيح البخاري (رقم ٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

■ ويصف عمرو بن العاص - رضي الله عنه - منزلة النبي ﷺ في قلبه بعبارةٍ ملؤُها الصّدق والإخلاص، فيقولُ: «وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيّ مِن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ أَجَلَّ فِى عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلاَلاً له، وَلو سُئِلْتُ أَن أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيّ مِنه»[١].

■ ومن صور تعظيمهم له ﷺ ومنزلته عندهم الحالةُ التي كانوا يكونون عليها في مجلسه من هدوءٍ وطمأنية ووقارٍ كأنّ على رؤوسهم الطير؛ فأخرج الإمام أحمد[٢] وأبو داود[٣] والنسائي[٤] عن أسامة بن شريك - رضي الله عنه - قال: «أَتيت النّبي ﷺ وأصحابَه كأنّما على رؤوسهم الطّير...».

وعند البخاري[٥] في حديث لأبي سعيد الخدريّ - رضي الله عنه -: «فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله! أو يأتي الخيرُ بالشّر؟ فسكت عنه النّبي ﷺ. قلنا: يُوحى إليه، وسكت النّاس كأنّ على رؤوسهم الطّير».

وأخرج أحمد[٦]، وأصحاب السنن إلاّ التّرمذيّ[٧] عن البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازةِ رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولَمّا يُلْحَدْ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حَوله، كأنّمَا على رؤوسنا الطّير...

(١) صحيح مسلم (رقم ١٢١).
(٢) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٧٨).
(٣) سنن أبي داود (رقم ٣٨٥٥).
(٤) السنن الكبرى (رقم ٧٥٥٣، ٥٨٧٥).
(٥) صحيح البخاري (رقم ٢٨٤٢).
(٦) مسند الإمام أحمد (٤/ ٢٨٧، ٢٩٥).
(٧) سنن أبي داود (رقم ٤٧٥٣)، وسنن النسائي (رقم ٢٠٠١)، وفي السنن الكبرى له (رقم ٢١٢٨)، وسنن ابن ماجه (رقم ١٥٤٩).

فذكر الحديث بطوله[١].

وأخرج ابن حبّان[٢] من حديث عوف بن مالك الأشجعيّ - رضي الله عنه - قال: «كُنْت مع النّبي ﷺ في بعض مغازيه فانتهيتُ ذاتَ ليلةٍ فلم أَرَ رسول الله ﷺ في مكانه، وإذَا الصَّحابةُ كأنَّ على رؤوسهم الطَّير».

وأخرج ابن قانع[٣] عن أوس بن حارثة الطّائي قال: «أتَيت النّبي ﷺ في سبعين راكباً من قَوْمي، فَبَايَعتُه على الإسلام، فألْفيتُه في ظلّ شجرةٍ قد أطاف به قوم، كأنّ على رؤوسهم الطَّير» وذكر حديثاً طويلاً.

■ ومن شدة محبتهم له إيثارُهم محابَّه ﷺ على محابِّهم، ويجلّي هذا موقفُ أبي بكر - رضي الله عنه - لما أسلم والدُه أبو قُحافة - رضي الله عنه - قال أنس - رضي الله عنه -: «فلمّا مدّ يدَه يبايعه، بكى أبو بكر، فقال النّبي ﷺ: ما يُبكيك؟ قال: لأن تكون يدُ عمِّك مكانَ يده - يعني: أباه - ويُسلِم ويُقِرّ الله عينك أحبُّ إلَيّ»[٤].

■ وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: مرّ رسول الله ﷺ بامرأةٍ من بني دينار، وقد أصيبَ زوجُها وأخُوها وأبُوها مع رسول الله ﷺ بأُحُد، فلما نُعُوا

---

(١) المستدرك (١/ ١٢٠).

(٢) صحيحه (الإحسان/ رقم ٧٢٠٧).

(٣) معجم الصحابة (١/ ٣٢).

(٤) عزاه الحافظ ابن حجر في الإصابة (٧/ ٢٣٨) إلى عمر بن شبّة في «كتاب مكة» وأبي يعلى في «مسنده»، وأبي بشر سمويه في «فوائده»، وقال: «سنده صحيح». وأخرج البزار في مسنده قول عمر بن الخطاب للعباس بن عبد المطلب - رضي الله عنهما - نحو هذا القول، لكن سنده ضعيف جداً، ففيه عبد العزيز بن أبان، وهو متروك. انظر: مجمع الزوائد (٩/ ٢٦٨).

لهَا، قالت: فما فعل رسولُ الله ﷺ؟ قالوا: خيراً يا أمَّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: كلّ مصيبةٍ بَعدك جَلَل. تريد: صغيرة[١].

■ ومن ذلك أيضاً: شدّة شوقهم إليه في حياته وبعد مماته، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن رسول الله ﷺ قال: «يقدم عليكم قومٌ أرَقّ منكم قلوباً، فَقَدِم الأشعريّون، وفيهم أبو موسى، فكانوا أوّل من أظهر المصافحة في الإسلام، فجعلوا حين دنوا المدينة يرتجزون ويقولون: غداً نلقى الأحبّة محمَّداً وحزبه»[٢].

■ وكانوا يخشون فوات رؤيته والأنس بمجالسته يوم القيامة؛ إذا رُفع مع النّبيين الدّرجات العُلى في الجنّة، فينزل جبريلُ - عليه السّلام - بالوحي ليُطمئنهم بمعيّة رسول الله ﷺ لهم في الجنّة؛ فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: جاء رجلٌ إلى النّبي ﷺ فقال: يا رسول الله! والله إنّك لأحَبّ إلَيَّ من نفسي، وإنّك لأحبُّ إلَيَّ من أهلي، وأحبُ إلَيَّ من ولدِي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيكَ فأنظر إليك، وإذا ذكرتُ موتي وموتَك عرفتُ أنّك إذا دخلتَ الجنَّة رُفِعْتَ مع النّبيِّين، وإني إذا دخلتُ الجنَّةَ خَشيتُ أن لا أَرَاكَ، فلم يَرُدّ عليه النّبي ﷺ حتّى نزل جبريلُ بهذه الآية: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا**﴾ [**النساء**: ٦٩][٣].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٥٠).

(٢) السنن الكبرى للنسائي (رقم ٨٣٥٢)، وصحيح ابن حبان (رقم ٧١٩٢)، ومسند الإمام أحمد (٣/ ١٨٢، ٢٢٣)، ومسند أبي يعلى (رقم ٣٨٤٥)، ، وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٥٢٧).

(٣) المعجم الأوسط (رقم ٤٧٧)، المعجم الصغير (رقم ٥٢)، وانظر: الصحيحة للألباني (رقم ٢٩٣٣).

■ واستُشهد عمّار بن ياسر - رضي الله عنهما - يوم صفّين، وهو يردِّد هذا الشِّعار: «اليومَ ألقى الأحبَّةَ محمَّداً وحزبَه»[1].

■ وكان بلالٌ - رضي الله عنه - لما احتُضر جعل يقول: «غداً نلقى الأحبَّةَ محمداً وحزبَه»، وتقول امرأته: واويلاه! فقال: «وافرحاه!»[2].

■ وبشّرَ الْحَبْرُ عبد الله بنُ عبّاس - رضي الله عنهما - أمَّ المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - في مرضها الذي ماتت فيه، وأخبرها بقُرب لقاء الحبيب ﷺ وأصحابه؛ وقال لها: «أَبشري يا أمَّ المؤمنين، فوالله ما بَينَكِ وبينَ أن يَذهب عنك كلُّ أذىً وَنصَب - أو قال: وَصَب - وتَلْقَي الأحبّة محمَّداً وحزبَه - أو قال: أصحابه - إلا أن تفارق روحُك جسَدَكِ»[3].

ثانياً: حرصهم على مجالسته وملازمته وسَماع حديثه ﷺ:

إذا كان الصّحابة - رضوان الله عليهم - يتكالبون على ماء وضوئه وشَعرات رأسِه فهم على مجالسته وسَماع حديثه أحرص، وبالانتباه إلى حُروفه وكلماته أكلفُ وأشوق، ولم تصل إلينا هذه الثّروة النّبوية الضّخمة من حديثه إلاّ عن هذا الاحتفاء وذاك الكلَف والهيام، كيف لا وهو الّذي أُعطي جوامعَ الكلم، إن تكلّم قَصَد حتى يفهم السّامعُ، وإن خَطب أوجز حتّى يَعِيَ الحاضرُ، ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [**النجم**: ٣ - ٤].

■ لقد أَعلمنا عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - بما كان من أمر أبي بكر وعمر

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٥٧)، والمستدرك للحاكم (٣/ ٤٤٥)، ومسند البزار (رقم ١٤١٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٥٩).
(٣) مسند الإمام أحمد (١/ ٣٤٩)، وإسناده قوي.

- رضي الله عنهما - مع رسول الله ﷺ من تمام صحبتهما له، وشدّة ملازمتهما إيّاه، وحرصهما على القُرب منه ومعيّته في ذَهابه وإيابه، وخُروجه ودخوله، فقال - رضي الله عنه -: «وَحَسِبْتُ أَنِّي كُنْتُ كَثِيراً أَسْمَعُ النَّبي ﷺ يَقُولُ: ذَهَبْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[١].

■ وكان عُمر بن الخطّاب - رضي الله عنه - من شدّة حرصه على مجلس رسول الله ﷺ وبالغ عنايته بسماع حديثه العذْب كانت تضطره حاجةُ الإنسان إلى المعيشة فينزل السّوق يوماً، ولا يرضى إلاّ أن ينوب عنه في مجلس رسول الله ﷺ غيره يبلّغه خبر السّماء وما كان من شأن رسول الله ﷺ[٢].

■ ويلازم أبُو هريرة - رضي الله عنه - رسولَ الله ﷺ مُلازمةً تَقْطَعه عن كلّ شواغلِ الحياةِ فَيعيشُ على شِبْعِ بَطنه، يَأكل مع رسول الله ﷺ إذا أَكل، ويشْرب مَعه إذا شَرِب، ويجوعُ معه إذا جاع، كَيلا يَفوتَه من سنّة النبي ﷺ شيءٌ[٣].

■ ومن الصّحابة من كانوا بَعيدِي الموطِن عن رسول الله ﷺ إلاّ أنّ بُعْدَهم لم يقف حاجزاً أمام الإفادة من رسول الله ﷺ وسماع حديثه الشّريف، فكان أحدُهم كلّما طرأت له حاجةٌ إلى سَماع حُكم شرعيٍّ منه ﷺ شدَّ رَحْله، وَقَطع مَسافَاتٍ شَاسِعَةً لا يُوقِفُه شيءٌ حَتّى يأتيَه ويسألَه حاجتَه، ثمّ يعود أدراجَهُ إلى مَوطنه، ولا يَشعر بتكلّف كَبير عَنَاء في سبيل ذلك، ويشهد لذلك قصّةُ زواج عقبة بن الحارث - رضي

---

(١) صحيح البخاري (رقم ٣٦٨٤)، وصحيح مسلم (رقم ٢٣٨٩).

(٢) صحيح البخاري (رقم ٨٩)، وصحيح مسلم (رقم ١٤٧٩).

(٣) انظر: صحيح البخاري (رقم ٢٠٤٧)، وصحيح مسلم (رقم ٢٤٩٢)، وسنن الترمذي (رقم ٢٣٨٢)، وابن خزيمة في صحيحه (رقم ٢٤٨٢)، وابن حبان في صحيحه - الإحسان (رقم ٤٠٨).

الله عنه - بابنةٍ لأبي إهاب بن عَزِيز، وما قالت له امرأةٌ بعد ذلك من أنَّها أرضعتهما، فرَحل من مكّة إلى المدينة مستفسِراً عن حكم هذا الزّواج[١].

■ وهذا ضِمَام بن ثعلبة قد قَدِم من بَادِيته إلى رسول الله ﷺ لِيَسْتَوْثِقَ من صحّة ما أنبأهم به رسولُ رسولِ الله ﷺ عن الشّرائع وأحكام الدّين[٢].

■ وكانت النِّساء قد اشتكيْن إليه غلبةَ الرّجال على مجالسه، وسألْنه أن يجعل لهنّ يوماً يجتمع فيه معهنّ يعلِّمهن دينهُنّ؛ فعن أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - قال: «قَالَتِ النِّسَاءُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: غَلَبَنَا عَلَيْكَ الرِّجَالُ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْماً مِنْ نَفْسِكَ، فَوَعَدَهُنَّ يَوْماً لَقِيَهُنَّ فِيهِ، فَوَعَظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ»[٣].

■ وكنّ يأتين إليه في بيته ﷺ يَسأَلْنه عن أمور دينهنّ فيجيب عن أسئلتهنّ[٤].

ثالثاً: دفاعُهم عنه ﷺ:

كما تتَجلَّى هذه العَظمَةُ في نفوسهم ومنزلة هذا النبي العظيم عند أصحابه في دفاعهم عنه ﷺ وقتالهم دونه، وتضحيتهم بأموالهم وأنفسهم في ذلك، ومن نماذج ذلك:

■ ما وَرَد عن عُرْوَة بْنُ الزُّبَيْر قال: سَأَلْتُ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَخْبِرْنِي بِأَشَدِّ شَيْءٍ صَنَعَهُ الْمُشرِكُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا النَّبِيّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ إِذْ أَقْبَلَ

---

(١) صحيح البخاري (١/ ٣٢/ رقم ٨٨).
(٢) انظر: صحيح البخاري (١/ ٣١-٣٢/ رقم ٨٧).
(٣) صحيح البخاري (رقم ١٠١)، وصحيح مسلم (رقم ٢٦٣٣).
(٤) صحيح البخاري (رقم٣١٥)، وصحيح مسلم (رقم ٣٣٢).

عُقبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوبَه فِي عُنُقِه، فَخَنَقَه خَنْقاً شَدِيداً، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِه، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿**أَتقْتُلُون رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ [**غافر**: ٢٨][(١)].

■ وهذه ابنته فاطمة - رضي الله عنها - تدفع عن أبيها ﷺ أذى طُغاة المشركين، مذ كانت صغيرةً، أخرج الإمامان البخاريّ[(٢)] ومسلم[(٣)] عن عَبدِ اللَّهِ بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِندَ الكَعبَةِ، وَجَمْعُ قُرَيشٍ فِي مَجَالِسِهِم إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنهُم: أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى هَذَا المُرَائِي؟! أَيُّكُم يَقُومُ إِلَى جَزُورِ آلِ فُلاَنٍ، فَيَعمِدُ إِلَى فَرْثِهَا وَدَمِهَا وَسَلاَهَا فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُم، فَلَمَّا سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ مِنَ الضَّحِكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ - رضي الله عنها - وَهْيَ جُوَيْرِيَةٌ، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً حَتَّى أَلْقَتهُ عَنهُ، وَأَقْبَلَت عَلَيْهِم تَسُبُّهُم... الحديث.

■ ويكفي في تصوير مواقفهم البطوليّة في الدّفاع عن رسول الله ﷺ مَا كان من شأنهم يومَ أُحُد بعد أن دَالت الدّولة عليهم، واشتدّت رغبةُ المشركين في قتل رسول الله ﷺ، واستماتَت الصّحابةُ في الدّفاع دُونه أيّما استماتة، واستُشهد بعضُهم في سبيل ذلك، وجُرح الآخرون جُرحاً بليغاً؛ ولندع الإمامَ ابن القيّم - رحمه الله تعالى - يصف لنا هذا المشهد بأسلوبه الفريد، ويقول:

---

(١) صحيح البخاري (رقم ٣٨٥٧)، ومسند الإمام أحمد (٢/ ٢٠٤).
(٢) صحيح البخاري (رقم ٢٩٣٤).
(٣) صحيح مسلم (رقم ١٧٩٤).

■ «وَقُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، فَدَفَعَ اللّوَاءَ إِلَى عَلِيّ بن أَبِي طَالِبٍ.

■ وَنَشِبَتْ حَلْقَتَانِ مِنْ حِلَقِ الْمِغْفَرِ فِي وَجْهِهِ، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الْجَرّاحِ، وَعَضّ عَلَيْهِمَا حَتّى سَقَطَتْ ثَنِيّتَاهُ مِنْ شِدّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ ﷺ.

■ وَامْتَصّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ الدّمَ مِن وَجْنَتِهِ.

■ وَأَدْرَكَهُ الْمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ مَا اللّهُ حَائِلٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَحَالَ دُونَه نَفَرٌ مِنْ الْمُسلِمِينَ نَحْوُ عَشْرَةٍ حَتّى قُتِلُوا.

■ ثُمّ جَالَدَهُمْ طَلحَةُ حَتّى أَجْهَضَهُم عَنْهُ.

■ وَتَرّسَ أَبُو دُجَانَةَ عَلَيْهِ بِظَهْرِهِ وَالنّبْلُ يَقَعُ فِيهِ وَهُوَ لا يَتَحَرّكُ.

■ وَأُصِيبَتْ يومَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بنِ النّعْمَانِ، فَأَتَى بِهَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَرَدّهَا عَلَيْهِ بِيَدِهِ، وَكَانَت أَصَحّ عَيْنَيْهِ وَأَحْسَنَهُمَا.

■ وَصَرَخَ الشّيْطَانُ بِأَعْلَى صَوْتِه: إِنّ مُحَمّداً قَدْ قُتِلَ، وَوَقَعَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِن الْمُسلِمِينَ، وَفَرّ أَكْثَرُهُم، وَكَانَ أَمْرُ اللّه قَدَراً مَقْدُوراً، وَمَرّ أَنَسُ بْنُ النّضْرِ بِقَوْمٍ مِن الْمُسْلِمِينَ قَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِم، فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا تَصنَعُونَ فِي الحَيَاةِ بَعدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ، ثُمّ استَقبَلَ النّاسَ وَلَقِيَ سَعْدَ بنَ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعدُ إِنّي لأَجِدُ رِيحَ الجَنّةِ مِن دُونِ أُحُدٍ، فَقَاتَلَ حَتّى قُتِلَ، وَوُجِدَ بِهِ سَبْعُونَ ضَرْبَةً.

■ وَجُرِحَ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ نَحْواً مِنْ عِشْرِينَ جِرَاحَة...»[1].

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٩٧-١٩٨).

■ ولم يقتصر الدّفاع عنه ﷺ على أصحابه أولي البأس الشّديد، بل حتى الضّعفاء منهم كان يفعلون ما في استطاعتهم في سبيل قَمع كلّ من قَصده ﷺ بسوءٍ، ومثالُ هذا الصنف منهم ما جاء من قصّة الأعمى الّذي كانت له أمّ ولد، وكانت تنتهك بلسانها البذيء حُرمَةَ المصطفى ﷺ ما حَمَل سيِّدَها - رغمَ ما فيه من آهة العمَى، ورغم كونِها معه رقيقةً لطيفةً وأمّ اثنين من أحبّ أولاده عنده - أن يُجهزَ عليها بطريقةٍ تدلّ على شدّة غضبه، وبالغ تأثّره بسوء فعالها؛ وقد حكى عبد الله بن عبّاس - رضي الله عنهما - الحادثةَ بقوله: إنَّ أَعْمَى كَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَت لَهُ أُمُّ وَلَدٍ، وَكَانَ لَهُ مِنهَا ابنَانِ، وَكَانَت تُكْثِرُ الوَقِيعَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَسُبُّهُ فَيَزْجُرُهَا فَلا تَنْزَجِرُ، وَيَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِي، قال الأعمى: فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ ذَكَرتُ النَّبِيَّ ﷺ فَوَقَعَتْ فِيهِ فَلَمْ أَصبِرْ أَنْ قُمْتُ إِلَى الْمِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، فَاتَّكَأْتُ عَلَيْهِ فَقَتَلْتُهَا، فَأَصْبَحَتْ قَتِيلاً، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ وَقَالَ: «أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلاً لِي عَلَيْهِ حَقٌّ فَعَلَ مَا فَعَلَ إِلاّ قَامَ»، فَأَقْبَلَ الأَعْمَى يَتَدَلْدَلُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه! أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ أُمَّ وَلَدِي، وَكَانَتْ بِي لَطِيفَةً رَفِيقَةً، وَلِي مِنهَا ابْنَانِ مِثلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُكْثِرُ الوَقِيعَةَ فِيكَ، وَتَشْتُمُكَ، فَأَنْهَاهَا فَلا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلا تَنْزَجِرُ، فَلَمَّا كَانَت البَارِحَةُ، ذَكَرْتُكَ فَوَقَعَتْ فِيكَ، فَقُمْتُ إِلَى المِغْوَلِ فَوَضَعْتُهُ فِي بَطْنِهَا، فَاتَّكَأْتُ عَلَيهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَر»[1].

■ وحكّموه في أموالهم وأنفسهم، فقالوا: هذه أموالُنا بين يديك فاحكم فيها بما شئتَ، وهذه نفوسُنا بين يديك لو استَعْرضت بنا البَحْر لَخُضنَاه، نُقاتل بين يديك ومن خَلفك، وعَن يَمينك، وعن شِمَالك.

---

(١) سنن النسائي (رقم ٤٠٨١).

■ قال صرمة بن قيس الأنصاري[١]:

ثَوَى في قُريشٍ بِضْعَ عَشَرةَ حِجَّةً ... يُذكِّرُ لو يَلْقَى حَبيباً مُواتِيَا
وَيَعْرِضُ في أَهْلِ المواسمِ نَفْسَه ... فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤوِي وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَما أَتانا واسْتَقَرَّتْ به النَّوَى ... وَأصبَحَ مَسْرُوراً بطَيْبَةَ رَاضِيَا
بَذلْنا لَه الأمْوالَ من حِلِّ مَالِنا ... وَأنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى والتَّآسِيَا
نُعادِي الَّذي عَادَى مِن النَّاس كُلِّهِمْ ... جميعاً وَإن كَانَ الحبيب المصَافِيَا
وَنعلَمُ أنَّ الله لاَ ربَّ غُيرُه ... وأنَّ رَسُولَ الله أَصْبَحَ هادِيَا

■ واستخدم شعراؤهم سلاحَ الكلمة والشِّعر البليغ في المنافحة عن رسول الله ﷺ والذّب عن عِرضه وحِماه؛ فقد أخرج الإمام مسلم[٢] عن عائشة - رضي الله عنها - عن النّبي ﷺ قَالَ: «اهْجُوا قُرَيْشاً؛ فَإنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِن رَشْقٍ بالنَّبْلِ». فَأَرْسَلَ إِلَى ابنِ رَوَاحَةَ فَقَالَ: «اهْجُهُم»، فَهَجَاهُم، فَلَمْ يُرْضِ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بن مَالك، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانَ بنِ ثَابتٍ، فَلَمَّا دَخلَ عَلَيه، قَالَ حَسَّانُ: قَدْ آنَ لَكُم أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بذَنَبِه، ثُمَّ أَدْلَعَ لِسَانَهُ فَجعَلَ يُحرِّكُه، فَقَالَ: وَالَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لأفْرِيَنَّهُم بلِسَانِي فَرْيَ الأَدِيمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «لاَ تَعْجَلْ؛ فَإنَّ أَبَا بَكرٍ أَعلَمُ قُرَيشٍ بأَنسَابهَا، وَإنَّ لِي فِيهِم نَسَباً، حَتَّى يُلَخِّصَ لَكَ نَسَبي». فَأَتَاهُ حَسَّانُ، ثُمَّ رَجَع فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَد لَخَّصَ لِي نَسَبَكَ، وَالَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرَةُ مِنَ العَجِينِ، قَالَت عَائِشَةُ: فَسَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/ ٥٧٣)، ومستدرك الحاكم (٢/ ٦٨٢)، والاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٣٢ - ٣٣).

(٢) صحيح مسلم (رقم ٢٤٩٠).

يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لاَ يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ». وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى».

قَالَ حَسَّانُ:

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فأجبت عنه ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

هَجَوْتَ مُحَمَّداً بَراً تقياً ... رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الوفَاءُ

فَإِنَّ أَبِي وَوالده وعرضي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

ثكلتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَي كَدَاء

يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظَّمَاءُ

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ

فَإِنْ أَعْرَضْتُمُو عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الغِطَاءُ

وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْداً ... يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ

وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنداً ... هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقاء

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِن مَعَدٍّ ... سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّه منكم ... وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ

وَجِبْرِيلٌ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا ... وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كفاء

رابعاً: تأثّرهم بوفاته ﷺ:

فقد كان موتُ النّبي ﷺ من أعظم المصائب الّتي وقعت على الصّحابة - رضي الله عنهم - فقد أظلمت الدّنيا في عيونهم، ونزل بهم حزنٌ شديد، وضاقت عليهم الأرضُ بما رحبت؛ فعَنْ أَنَس بن مَالِك - رضي الله عنه - قَالَ: «لَمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ أَضَاءَ مِنهَا كُلُّ شَيءٍ، فَلَمَّا كَانَ اليَومُ الَّذي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنهَا كُلُّ شَيءٍ، وَلَمَّا نَفَضْنَا عَن رَسُولِ اللَّهِ الأيْدِي - وَإِنَّا لَفِي دَفْنِه - حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا»[1].

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -[2]: «يريد: أنّهم وجدوها تَغَيَّرت عمَّا عَهدوه في حياتِه من الأُلفة والصّفاء، والرِّقَّة؛ لفقدان ما كان يمدّهم به من التّعليم والتَّأديب».

فبموته ﷺ انقطع الوحي من السّماء كما في جواب أم أيمن لأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - عندما زاراها بعد موت النبي ﷺ، فلما انتهيا إليها، بكت، فقالا لها: «مَا يُبْكِيكِ؟! مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ»، فَقَالَتْ: «مَا أَبْكِي أَن لا أَكُونَ أَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبكِي أَنَّ الوَحيَ قَد انقَطَعَ مِن السَّمَاء»، فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا[3].

لقد تأثر حسان بن ثابت - رضي الله عنه - بموت المصطفى ﷺ فرثاه بقصائدَ مُبكيةٍ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٦٨)، وسنن الترمذي (رقم ٣٦١٨)، سنن ابن ماجه (١٦٣١)، وقال الترمذي: (حديث غريب صحيح).

(٢) فتح الباري (٨/ ١٤٩).

(٣) صحيح مسلم (رقم ٢٤٥٤).

حزينةٍ، حفظها لنا التّاريخ، ولم تهملها اللّيالي، ولم تَفصلها عنا حواجزُ الزمن، ولا أسوارُ القرون، فممّا قاله يبكي رسولَ الله ﷺ(١):

ما بَالُ عَيْني لا تَنَامُ كَأَنَّمَا	كُحِلَتْ مَآقيها بِكُحلِ الأَرْمَدِ
جَزَعاً عَلَى المَهْدِيِّ أَصبحَ ثَاوِياً	يَا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحصى لا تَبْعُدِ
يَا وَيْحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ	بَعْدَ المُغَيَّبِ في سَوَاءِ الملحَدِ
جَنْبي يَقِيكَ التُّرْبَ لَهْفِي لَيْتَنِي	كُنْتُ المُغَيَّبَ فِي الضَّرِيحِ المُلْحَدِ
يا بِكْرَ آمِنَةَ المُبَارَكُ ذِكْرُهُ	وَلَدَتْهُ مُحْصَنَةٌ بِسَعْدِ الأَسْعَدِ
نُوراً أَضَاءَ عَلَى البَرِيَّةِ كُلِّهَا	مَن يُهْدَ للنّورِ المُبَارَكِ يَهْتَدِ
أَأُقِيمُ بَعْدَكَ بِالمَدِينَةِ بَيْنَهُم	يَا لَهْفَ نَفْسِي لَيْتَنِي لَمْ أُولَدِ
بِأَبِي وَأُمِّي مَنْ شَهِدْتُ وَفَاتَهُ	فِي يَوْمِ الاثْنَيْنِ النَّبِيُّ المُهْتَدِي
فَظَلَلْتُ بَعْدَ وَفَاتِهِ مُتَلَدِّداً	يَا لَيْتَنِي صَبَّحْتُ سُمَّ الأَسْوَدِ

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/ ٣٢٢).

منزلتُه ﷺ عند أمّته

تعلّقت قلوبُ هذه الأمّة بنبيها محبةً وشوقاً، وامتلأت صدورهم بجلاله وعظمته، آمنوا به ولم يروه، وإنما لِما سمعوا من صدقه وعظيم أخلاقه وطهارة شمائله وكمال أوصافه الّتي زخرت برواياتها كتب السنّة والسّيرة، وتناقلتها الرّواةُ جيلاً بعد جيلٍ. وتجلّت هذه الحقيقةُ بالأمور التالية:

أوّلاً: تمنّيهم رؤيتَه ﷺ بأموالهم وأهليهم:

▪ لقد أخبر المصطفى ﷺ عن حُبّ من يأتي بعده من هذه الأمّة له، وإيمانهم به مع أنّهم لم يروه، ويَودّ أحدُهم لو أنّه أعطى كلَّ ما يملك من مال وبنين ليرى طَلعته البهيّة ﷺ؛ أخرج الإمامان أحمد[1] ومسلم[2] عَن أَبِي هُرَيرَةَ - رضي الله عنه -: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «من أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبّاً نَاسٌ يَكُونُونَ بَعدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَو رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

▪ وحلاّهم النبي ﷺ بأُخُوَّته لهم، فأخرَج الإمامُ أحمد[3] عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخوَانِي»، فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: أَوَلَيْسَ نَحنُ إِخْوَانَكَ؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَلَكِن إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي».

---

(١) المسند (٢/ ٤١٧).

(٢) صحيح مسلم (رقم ٢٨٣٢).

(٣) مسند الإمام أحمد (٣/ ١٥٥)، وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني (رقم ٢٨٨٨).

■ كما أُعجب ﷺ من إيمانهم به مع عدم رؤيتِهم له، ومشاهدتهم إياه وإنما لِما سمعوا من الحقّ الذي جاء به، وما وصل إليهم من جَميل أخباره، ومحاسن أخلاقه وشمائله ﷺ؛ فقد أخرج البزار[١] عن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أيّ الخلق أعجبُ إيماناً؟» قالوا: الملائكة. قال: «الملائكة كيف لا يؤمنون؟» قالوا: النّبيّون. قال: «النّبيون يُوحَى إليهم فكيف لا يؤمنون؟» قالوا: الصّحابة. قال: «الصّحابة مع الأنبياء فكيف لا يؤمنون؟ ولكن أعجب النّاس إيماناً قومٌ يجيئون من بَعدكم، فيجدون كتاباً من الوحي فيؤمنون به، ويتّبعونه، فهم أعجبُ النّاس إيماناً...».

ثانياً: شوقهم إلى لقياه ﷺ:

وكما اشتاق الصّحابة - رضي الله عنهم - إلى لُقُيّ رسول الله ﷺ عندما لا يكونون معه، أو بَعد وفاته ﷺ، فهكذا كان التّابعون شديدي الشّوق إليه، فمن أحبَّ شيئاً أحبَّ لقاءه؛ فعن عبدة بنت خالد بن معدان، قالت: «قلّ ما كان خالدٌ يأوي إلى فراشِ مقيلِه إلاَّ وهو يذكرُ فيه شوقَه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه من المهاجرين والأنصار، ثمّ يسمِّيهم، ويقول: هم أصلي وفصلي وإليهم يحنّ قلبي، طال شوقي إليهم، فعجل ربي قبضي إليك، حتّى يغلبه النوم وهو في بعض ذلك»[٢].

ثالثاً: حرصُ المحدِّثين على سَماع حديثه:

إنّ من أَوضح أدلة عِظَم منزلة النبي ﷺ عند أمّته، وأوفاها بياناً ما تواتر من حرص علماء الحديث وشغفهم في سماع أحاديث رسول الله ﷺ، وتدوينها ونشرها.

---

(١) كشف الأستار (٣/ ٣١٨-٣١٩)، وانظر: السلسلة الصحيحة (رقم ٣٢١٥).
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/ ٢١٠)، انظر: تهذيب الكمال (٨/ ١٧١).

لقد حرصوا أيما حرص على سماع حديثه ﷺ، وتحمّلوا المشاق، وركبوا الصّعاب في سبيل تحمّله وجمعه وصيانته وحفظه، ولا يحملهم على كلّ أولئك إلا حبُّهم وتقديرُهم لنّبي الإسلام ﷺ. لقد عُرف عنهم الإكثارُ من التّرحال والتّنقّل في طلب الأسانيد، للوقوف على أحوال الرّواة، وسيرهم عن كثب، وحرصاً منهم على قرب الأسانيد وقلة النّقلة والوسائط بينهم وبين الحبيب المصطفى ﷺ.

ونظرة سريعة يسرّحها الباحث في تراجم الرّواة تدلّه على مدى المشاقّ والصّعوبات التي لقيها هؤلاء الأئمّة واستعذبوها في هذا السّبيل، وأخبار العلماء ورَحلاتهم في ذلك كثيرةٌ، يضيق المقام بذكرها، ولا ينقضي العجب منها، وحسبُنا أن نشير إلى شيءٍ منها لنعرف الموقع الذي احتلّه هذا النبي العظيم في قلوب عُظماء هذه الأمّة وعلمائها، وكُتب التّراجم والطّبقات زاخرة بأخبارهم وقصصهم ما يستعصي على المتكلّم حصرُه، وينوء على الحامل ثِقلُه، ويَكفي ذكر أمثلة قليلة في ذلك لتدل على ما وراءها:

- **بيع ممتلكاتهم:**

▪ قَالَ سفيان بنُ عُيينةَ: سَمعتُ شُعْبة يقولُ: «مَنْ طَلَبَ الحَدِيثَ أفلَسَ! بعتُ طَسْتَ أُمّي بسبعةِ دَنانير»[1].

▪ وَقَالَ أحمدُ ابنُ حنبل: «أقام شُعْبة عَلى الحَكَم بنِ عُتَيْبَةَ ثمانية عَشَرَ شَهْراً، حتى بَاعَ جُذُوعَ بيتهِ»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٠).

(٢) العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٣٤٢).

- **تحمّل جوعٍ شديد:**

■ قال عبد الرّحمن بن أبي حاتم: «كُنّا بمصرَ سبعة أشهرلم نأكل فيها مرقة، كلّ نهارنا مقسَّم لمجالس الشّيوخ، وباللّيل النّسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوماً أنا ورفيقٌ لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكةً أعجبتنا، فاشتريناه فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلسٍ فلم يمكنا إصلاحُه ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيّام، وكاد أن يتغيّر، فأكلناه نيئاً، لم يكن لنا فراغٌ أن نعطيَه من يَشويه، ثم قال: لا يستطاع العلمُ براحة الجسد»[1].

■ قَالَ ابنُ أبي حَاتم: «سمعتُ أبي يقولُ: بَقِيتُ بالبصرة في سنةِ أربعَ عشرةَ ومائتين ثمانيةَ أشهرٍ، وَكَانَ في نفسِي أنْ أُقيمَ سنةً فانقطعَ نَفَقَتي، فَجَعلتُ أبيعُ ثيابَ بَدَني شيئاً بعدَ شيء حَتى بقيتُ بلا نفقةٍ، ومضيتُ أطوفُ مَعَ صديقٍ لي إلى المشيخةِ وأسمعُ منهمْ إلى المساءِ، فانصرفَ رفيقي ورجعتُ إلى بيتٍ خالٍ، فَجَعلتُ أشربُ الماءَ من الجوعِ. ثمّ أصبحتُ من الغد، وغَدا عليّ رفيقي، فجعلتُ أطوفُ مَعَهُ في سماعِ الحديثِ على جوعٍ شديدٍ، فانصرفَ عني وانصرفت جائعاً، فلمّا كَانَ مِنْ الغدِ غَدَا عليّ فَقَالَ: مُرَّ بنَا إلى المشايخ، قلتُ: أنا ضعيفٌ، لا يمكنني، قَالَ: مَا ضَعْفُكَ؟ قلتُ: لا أكتُمكَ أمري، قد مَضَى يومانِ مَا طعمتُ فيهما شيئاً، فَقَالَ: قدْ بقي معي دينار فأنا أواسِيك بنصفهِ، ونجعلُ النصفَ الآخرَ في الكِراء، فخرجنا من البصرةِ، وقبضتُ منه النّصفَ دِينار»[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٦).

(٢) تقدمة الجرح والتعديل (ص ٣٦٤).

- القيامُ برحَلاتٍ طويلة ومُضْنية:

■ قَالَ ابن أبي حاتم أيضاً: سمعت أبي يقول: «أوَّلُ سنةٍ خرجتُ في طلب الحَدِيث أقمتُ سبعَ سنين، أحصيتُ ما مشيتُ على قدميَّ زيادةً على ألْف فرسخ، لم أزل أُحصي حتى لما زاد على ألْف فرسخ تركتُهُ. أمَّا مَا كنتُ سِرْتُ أنَا مِنْ الكوفة إلى بغدادَ فَمَا لا أُحصي كَمْ مَرّة، ومن مكة إلى المدينة مّراتٍ كثيرة. وخرجتُ من البحرين مِنْ قُرْبِ مدينةِ صَلا إلى مصر ماشياً، وَمِنْ مصر إلى الرّملة ماشياً، وَمِنْ الرّملة إلى بيت المقدس، وَمِنْ الرّملة إلى عسقلان، وَمِنْ الرّملة إلى طَبَرِيّة، وَمِنْ طَبَرِيّة إلى دمشق، وَمِنْ دمشق إلى حمص، وَمِنْ حمص إلى أنطاكِيَة، وَمِنْ أنطاكِيَة إلى طَرَسُوس، ثم رجعت من طَرَسُوس إلى حمص. وَكَانَ بَقِي عليَّ شيءٌ مِنْ حَدِيث أبي اليَمَان فسمعتُ، ثم خرجتُ مِنْ حمص إلى بَيْسَان، وَمِنْ بَيْسَان إلى الرَّقَّة، وَمِن الرَّقَّة ركبت الفُرات إلى بغداد، وخرجتُ قبلَ خُروجي إلى الشّام مِنْ واسط إلى النّيل، وَمِن النّيل إلى الكوفة، كلُّ ذلكَ ماشياً...»[1].

■ قال أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي: سمعت ابن طاهر (محمد بن طاهر المقدسي) يقول: «بُلتُ الدَّم في طلب الحديث مرتين؛ مرَّةً ببغداد، وأخرى بمكّة، كنت أمشي حافياً في الحرِّ فلحقني ذلك، وما ركبت دابّة قطّ في طلب الحديث، وكنت أحمل كُتبي على ظَهري، وما سألتُ في حال الطَّلَب أحداً، كنتُ أعيشُ على ما يأتي»[2].

■ وقيل: «كان يمشي دائماً في اليوم والليلة عشرين فرسخاً، وكان قادراً على ذلك»[3].

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل (ص ٣٥٩-٣٦٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٦٤).

(٣) المصدر السابق (في الموضع نفسه).

رابعاً: شدة عنايتهم بتتبع أحواله الجلية والدقيقة:

▪ لم يحظَ شخصٌ في التّاريخ البشري قاطبةً بعناية أصحابه وأتباعه في استقراء أحواله، وتتبّع آثاره، واستجلاء أنبائه القريبة والبعيدة، والجليَّة والدّقيقة كما حظي بذلك رسولُ الله ﷺ من أمته؛ وذلك لشدة تعلقهم به، ومحبتهم له، وتعظيمهم لكلّ ما صدر عنه ﷺ؛ فقد عمل علماؤهم في كل ذلك و«حفظوا شؤون حياة النّبي ﷺ وأحواله وأخباره كلها، ولم يتركوا أمراً من أموره ولا شأناً من شؤونه إلاّ ذكروه، حتى لقد وصفوه في قيامه وجلوسه، ونهوضه من النّوم، وهيئته في ضحكه وابتسامه، وعبادته في ليله ونهاره، وكيف كان يفعل إذا اغتسل وإذا أكل، وكيف كان يشرب، وماذا كان يلبس، وكيف يتحدّث إلى النّاس إذا لقيهم، وما كان يحبّ من الألوان ومن الطّيب، وما هي حليته وشمائله، ووصفوا جسده الطّاهر وصفاً كاملاً كأنك تراه، ووصفوا حياته العائليّة من معاشرة الرّجل أهلَه وحليلته، وأتبعوا ذلك بذكر الطّهارة من الغُسل؛ فوصفوا ذلك كما وصفوا الوضوء للصّلاة»[١].

▪ وهنالك أحاديث عن كلّ طور من أطوار حياته، وناحية من نواحيها، كلّ ذلك في وضوح وجلاء؛ بحيث لم يبقَ شيءٌ من حياته مخفيّاً أمرُه، مكتوماً سِرُّه، فإذا دخل بيته؛ فهو بين أهله وعياله وأولاده، وإن خرج منه؛ فهو بين أصحابه ورفقائه، وكلّ ذلك محفوظٌ مذكور مشهور.

▪ وهنالك أحاديث عن خُلُق رسول الله؟ وحِليته، وخاتم النّبوة، وشَعْره، ومشيته، وكلامه وضحكه وتبسّمه، ولباسه، وخاتمه، ومِغْفره، ودِرعه، وطَعامه، وصفة أكله، وسُنن طعامه، وشارته، واللّون المحبّب إليه، واللّون الّذِي كان يَرغب

(١) الرسالة المحمدية، للشيخ سليمان الندوي (ص١٠٤).

عنه، وتعطّره، وحبّه للنّظافة والطّهارة، وركوبه.

■ وهنالك العناية بما كان يعمله في نهاره من الصّباح إلى المساء، ثم نومه، وتهجّده، ووظائفه في الصّلوات، وأسلوب خُطبته، وأعماله في السَّفَر، وأعماله في الجهاد، وسنته في عيادة المرضى، وتعزيته أهل الميت، وسنته في لقاء الناس، وعامة أشغاله.

■ وهنالك الاهتمام بذكر مجالسه، وآداب المجلس، وأوقات جلوسه مع الناس، ومجالسه الخاصّة بالنساء، وطريقة هديه وإرشاده، ولقائه النّاس بالبشاشة والبِّشْر، وتأثير صحبته فيمن يصحبه، وأسلوب كلامه معهم، وأنواع خُطبه النبويّة وأثرها في السّامعين.

■ وهنالك العناية بعبادته: دعائه، وصلاته، وصومه، وصدقاته، وحَجه، ومداومته ذكرَ الله - عَزَّ وجَلَّ - في مواقف القتال، وخشيته من الله، وبكائه، ومحبته لله، وتوكله عليه، وصبره، وشكره لمُفيض النِّعَم جل جلاله[1].

وقد استقصى الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كتابه «زاد المعاد» جُلّ ما ينبغي معرفته عن النّبي ﷺ وأحواله، واستوعب ذلك أكثر من غيره من المؤلفين.

■ هؤلاء الرجال هم الَّذِين نقلوا عنه ما شهدوه بأنفسهم وسمعوه بآذانهم، وكانوا يرون الاقتداء به سعادةً لهم، والاهتداء بهديه شرفاً لهم في الدنيا وذخراً لهم في الآخرة؛ فاقتفوا آثاره، وسلكوا سبيله، واسْتَنّوا بسُنته.

خامساً: اهتمامُهم بسيرته والتلذُّذ بذكره ﷺ:

إنّ من علامات المحبة الصادقة الاهتمامَ بسيرة المحبوب، وكثرة ذكره، والرّغبة

---

(١) الرسالة المحمدية (ص ١٠٧- ١٠٨).

في معرفة أحواله، في المنشط والمكره، فمن أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره؛ قال إسحاق التجيبي: «كان أصحابُ النبي ﷺ بعده لا يذكرونه إلاّ خشعوا واقشعرّت جلودهم وبكوا. . . وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقاً إليه، ومنهم من يفعله تَهَيُّباً وتوقيراً»(١).

والسّيرة النّبويّة الصحيحة تعدُّ روضةً غنيَّةً بألوان من نفائس أخباره ﷺ، وفيها ما تستعذبه النّفوس من شمائله وأحواله وأيامه ﷺ، لهذا اهتمّ المسلمون بها منذ عهد التّابعين، وجمعوا فيها مرويّاتٍ، وألّفوا فيها مصنّفات، وما زالت المؤلّفات فيها تصدر تترى إلى يومنا هذا في مختلف البلاد الإسلاميّة بلغاتٍ متعدّدة كثيرة، وعلى مستويّات مختلفة؛ منها: ما يشمل سيرته كاملةً، ومنها: ما يعالج ناحيةً من نواحي حياته، ويتحدّث عن زاوية من زوايا عظَمته، ومنها: ما كُتب للعلماء الكبار، والباحثين المحققين، وبعضها للعامّة من النّاس، ووُضعت أخرى خصِّيصاً للأطفال الصّغار، وما ذلك كلّه إلا آية من آيات محبّته، ودليلاً من دلائل عظمته ومنزلته في قلوب هذه الأمّة؛ وقد ذكر العلاّمة السيّد سليمان النّدوي - رحمه الله - أنه قرأ في مجلة (المقتبس) - التي كانت تصدر من دمشق قبل أربعين سنة - إحصاءَ ما صُنّف في السّيرة النبويَّة فبلغ ألفاً وثلاثمائة كتاب، وقد تُوفي العلامة النّدوي سنة (١٩٥٣م)، ولو أضفنا إلى هذا العدد ما صدر بعد هذه المدّة من كتب السيرة لأربى على ذلك بكثير جداً(٢).

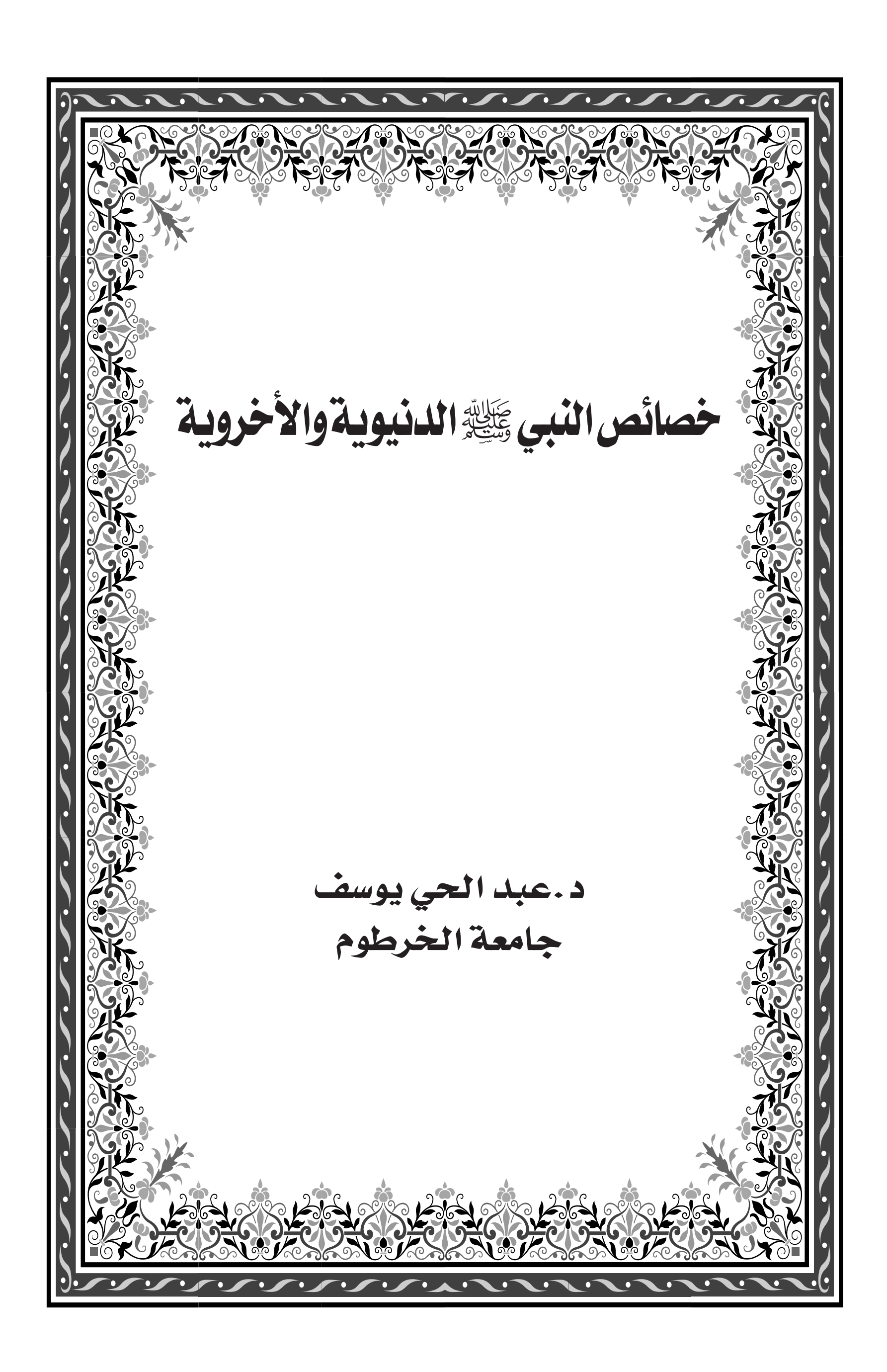
---

(١) الشفا، للقاضي عياض (٢/ ٥٩).

(٢) كتاب (سيرة النبي ﷺ للعلامة شبلي) عرض وتحليل، للأستاذ تقي الدين الندوي (ص٣).

خاتمة

وأخيراً؛ فقد سبق قولنا في استهلال هذه المقالة المتواضعة: إن الحديث في هذا الموضوع طويل الذّيل، ثقيل الكيل، يحتاج إلى مدِّ النَّفَس، ولا تفي هذه العجالة أن تكون مستوفية لأطرافه، مستغنِيةً عن تتبُّعه واستقرائه، ويكفي أننا وضعنا خطوطاً عريضة فيه، ويبقى أن تقوم مؤسسات علمية وباحثون متخصصون بإنشاء قاعدة بيانية وافية، وبحوث متكاملة الجوانب في سيرة هذا النبي ﷺ وعلاقته بأصحابه، وكيف تنظر هذه الأمة إلى نبيها العظيم بعين الإجلال والتوقير، والمحبّة والتّعظيم؛ لا سيّما أنّ جوانب كثيرةً من حياة هذا السيّد العظيم فيها ما يحتاج إلى إعادة استجلائه وتوضيحه بأسلوب ملائمٍ للعصر وثقافة الجيل الحاضر. والله يتولانا وهو أرحم الراحمين.



خصائص النبي ﷺ الدنيوية والأخروية

د.عبد الحي يوسف
جامعة الخرطوم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن آيات القرآن ونصوص السنة ناطقة بما خص الله به نبينا ﷺ من عظيم المنزلة ورفيع المكانة وعلو القدر، وأنه أفضل النبيين، وخير المرسلين، وسيد الأولين والآخرين. وقد جرت عادة علمائنا - رحمهم الله - في كتب الفروع أنهم يخصصون باباً يسمونه (باب: الخصائص) يسردون فيه ما خص به نبينا عليه الصلاة والسلام، بل ألَّف بعضهم في ذلك مصنفات مستقلة؛ كأبي عيسى الترمذي والقاضي عياض اليحصبي والجلال السيوطي - رحمهم الله تعالى. وجرياً على هذه السنة الحميدة أعرض في هذه الورقات بعض هذه الخصائص، سواء ما كان من خصائصه التشريعية أو الرسالية أو التكريمية، والله الموفق والمستعان.

د.عبد الحي يوسف
جامعة الخرطوم

من خصائصه ﷺ التشريعية

أولاً: ما وجب عليه دون أمته:

١ - صلاة الضحى في الحضر دون أمته.

٢ - الأضحية في الحضر دون أمته؛ ففي الحديث الذي أخرجه أحمد والطبراني عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كتب عليَّ الأضحى ولم يكتب عليكم، وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها»، قال الهيثمي: رجال أحمد رجال الصحيح، لكن الحافظ ابن حجر رحمه الله ضعفه في التخريج[1].

٣ - التهجد في الحضر دون أمته؛ لقوله - تعالى -: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [**الإسراء**: ٧٩].

٤- تخيير نسائه في الإقامة معه ومفارقته؛ لقوله - تعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ [**الأحزاب**: ٢٨ - ٢٩].

---

(١) قال الحافظ رحمه الله: وإسناده - عند أحمد - ضعيف من أجل جابر الجعفي، ورواه البزار بلفظ: «أمرت بركعتي الفجر والوتر وليس عليكم». ومن طريق أبي خباب الكلبي، عن عكرمة عنه، بلفظ: «ثلاث هن علي فرائض، ولكم تطوع: النحر، والوتر، وركعتا الضحى»، ورواه الحاكم وابن عدي من هذا الوجه، «الأضحى» بدل «النحر» «وركعتا الفجر» بدل «الضحى». وكذلك رواه الدارقطني والبيهقي ورواه ابن حبان في الضعفاء، وابن شاهين في ناسخه، إلى أن قال: فتلخص ضعف الحديث من جميع طرقه. التلخيص الحبير: ٤/ ١٨٦.

٥ - مشاورة أصحابه في الآراء في الحروب وغيرها تطييباً لخواطرهم؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٦ - قضاء دين الميت المعسر المسلم لحديث: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، من ترك دَيناً فعليَّ قضاؤه، ومن ترك مالاً فلِورثته»[١].

٧ - الصبر على مقاتلة العدو الكثير ولو كان أهل الأرض فلا يفر منهم؛ لأن منصبه يجل عن ذلك؛ ولأن الله - تعالى - وعده بالعصمة من الناس؛ فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثانياً: ما يحرم عليه وآله دون أمته:

١- الصدقة الواجبة، أي: الزكاة.

٢- صدقة التطوع؛ لحديث عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث قال: قال النبي ﷺ: «إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد؛ إنما هي أوساخ الناس»[٢]، وآله هم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب.

٣- أكل ثوم ونحوه مما له رائحة كريهة كبصل وفجل ونحوهما؛ لأن الملائكة تناجيه ﷺ.

٤- الأكل متكئاً - أي: مائلاً على شق - لحديث أبي جحيفة - رضي الله عنه - قال: «كنت مع النبي ﷺ فقال لرجل عنده: لا آكل وأنا متكئ»[٣].

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري.

٥ - تبديل أزواجه اللائي خيرهن فاخترنه؛ لقوله - تعالى -: ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾ [**الأحزاب**: ٥٢].

ثالثاً: ما يباح له دون أمته:

١ - تزويج المرأة من نفسه بلا ولي ولا شهود؛ لحديث أنس - رضي الله عنه - قال: «أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً يبني عليه بصفية بنت حيي؛ فدعوت المسلمين إلى وليمة، فما كان من خبز ولا لحم، أمر بالأنطاع فألقي فيها من التمر والأقط والسمن فكانت وليمته. فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو مما ملكت يمينه، فقالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل وطَّى لها خلفه، ومد الحجاب بينها وبين الناس»(١).

٢- أن الله يزوجه بلا ولي ولا شهود؛ لأن الله - تعالى - زوَّجه زينب بنت جحش من فوق سبع سماوات؛ قال - تعالى -: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا**﴾ [**الأحزاب**: ٣٧].

٣- أن المرأة تهب له نفسها؛ فإن قبل ذلك تكون له زوجة؛ قال - تعالى -: ﴿**وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [**الأحزاب**: ٥٠].

٤ - أنه يزوج المرأة لغيره بدون وليها وبدون إذنها، ويزوج الرجل بدون إذنه؛ لأنه كما قال - سبحانه -: ﴿**أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ**﴾ [**الأحزاب**: ٦]،

(١) أخرجه البخاري.

قال الزرقاني - رحمه الله -: ويزوج من شاء من الرجال بغير إذن، وكذا النساء بغير إذنها ولا إذن وليها. ا. هـ[1].

٥ - له أن يتزوج أكثر من أربع، والأصل في ذلك قوله - تعالى -: ﴿**مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ**﴾ [**الأحزاب**: ٣٨]، قال القرطبي - رحمه الله -: هذه مخاطبة من الله - تعالى - لجميع الأمة، أعلمهم أن هذا ونحوه من السنن الأقدم في الأنبياء أن ينالوا ما أحله لهم، أي: سنَّ لمحمد ﷺ التوسعة عليه في النكاح سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان؛ كان لداود مائة امرأة وثلاثمائة سرية، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، ثم قال: والذين خلوا هم الأنبياء بدليل وصفهم بعد بقوله: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ**﴾ [**الأحزاب**: ٣٩][2].

٦- لا يجب عليه القسم بين زوجاته؛ لقوله - تعالى -: ﴿**تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكَ**﴾ [**الأحزاب**: ٥١]، قال القرطبي - رحمه الله -: اختلف العلماء في تأويل هذه الآية، وأصح ما قيل فيها: التوسعة على النبي ﷺ في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته، وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي ثبت معناه في الصحيح. ا. هـ[3].

٧ - يشرع له الوصال دون أمته؛ لحديث أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا تواصلوا» قالوا: إنك تواصل. قال: «لست كأحد منكم، إني أطعم

---

(١) شرح الزرقاني على مختصر خليل بن إسحاق: ٣/ ١٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ١٩٥.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/ ٢١٤.

وأسقى، أو إني أبيت أطعم وأسقى»[١].

٨ - أنه لا يورث؛ لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة»[٢].

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه الشيخان.

من خصائصه ﷺ الرسالية

١ – خصه الله بالقرآن الكريم معجزة باقية خالدة على مرِّ الدهور وكرِّ الأيام، قال – عليه الصلاة والسلام – : «ما من الأنبياء نبي إلا أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي؛ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»(١).

٢ – أن الله – تعالى – حفظ كتابه الكريم من التبديل والتغيير والزيادة والنقص؛ خلافاً لما أصاب كتب الأنبياء قبله، حيث وصمها الله – تعالى – بالتحريف: ﴿**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ [**البقرة**: ٧٩]، وقال عن القرآن: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [**الحجر**: ٩].

٣ – أعطاه الله خواتيم سورة البقرة: «إني أوتيتهما من كنز من بيت تحت العرش، ولم يؤتهما نبي قبلي»(٢).

٤– ذكره – عليه الصلاة والسلام – في الكتب السابقة، قال – تعالى – : ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [**الأعراف**: ١٥٧]، وفي صحيح البخاري من حديث عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – قال:

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه أحمد.

«والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن»، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾ [**الأحزاب**: ٤٥].

٥- أخذ العهد له على جميع الأنبياء والمرسلين؛ قال - تعالى -: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [**آل عمران**: ٨١].

٦- عموم رسالته إلى الثقلين؛ قال - تعالى -: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**﴾ [**سبأ**: ٢٨]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «وكان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»(١).

٧- كثرة أتباعه وأنصاره؛ كما وعده ربه في كتابه: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [**الفتح**: ٢٨]، وقال - عليه الصلاة والسلام -: «لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما صدَّقه من أمته إلا رجل واحد»(٢).

٨ - كون رسالته خاتمة فلا نبي بعده؛ قال - تعالى -: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**﴾.

[**الأحزاب**: ٤٠]

٩ - كونه سيد ولد آدم؛ عن واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) أخرجه مسلم.

كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[1]. وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2].

١٠- إمامته بالأنبياء في بيت المقدس؛ عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي.. وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء؛ فحانت الصلاة فأممتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد! هذا مالك صاحب النار فسلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام»[3].

١١- معجزاته الكثيرة من جنس ما أوتيه الأنبياء من قبله مع تفرده عنهم بالمعجزة الكبرى وهي القرآن العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) أخرجه مسلم.
(٣) أخرجه مسلم.

من خصائصه ﷺ التكريمية

١ - القسم بحياته ﷺ، قال - تعالى -: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الحجر: ٧٢]، والقسم ببلده: ﴿ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ﴾ [التين: ٣] والقسم له: ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ١ - ٣].

٢ - أن الله - تعالى - لم يناده باسمه في القرآن، بل ناداه بوصف النبوة أو الرسالة خلافاً لغيره من الأنبياء عليهم السلام.

٣ - أن الله - تعالى - غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢].

٤- نُصر بالرعب من مسيرة شهر: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي.. ونُصرت بالرعب من مسيرة شهر»[١].

٥- ما بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة[٢].

٦- يرى من وراء ظهره: «إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي»[٣].

٧ - هو أول من يبعث يوم القيامة: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفَّع»[٤].

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) متفق عليه من حديث عبد الله بن زيد المازني رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه مسلم.

٨ - له شفاعة خاصة يوم القيامة كما في حديث جابر الذي مرَّ معنا آنفاً: «وأعطيت الشفاعة».

٩- كل الأنبياء تحت لوائه؛ ففي حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر، ما من أحد إلا هو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج، وإن معي لواء الحمد، وأنا أمشي ويمشي الناس معي حتى آتي باب الجنة فأستفتح؛ فيقال: من هذا؟ فأقول: محمد. فيقال: مرحباً بمحمد، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً أنظر إليه»[١].

١٠ - هو أول من يجيز على الصراط؛ ففي حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «ويضرب الصراط بين ظهري جهنم؛ فأكون أنا وأمتي أول من يجيز»[٢].

١١ - هو أول من يقرع باب الجنة؛ ففي حديث أنس - رضي الله عنه -: «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة؛ وأنا أول من يقرع باب الجنة»[٣].

١٢- هو أول من يدخل الجنة؛ ففي حديث أنس - رضي الله عنه -: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح؛ فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد؛ فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك»[٤].

١٣- هو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه عليه الأنبياء والمرسلون، وفي ذلك حديث أبي هريرة الطويل في صحيح البخاري.

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه وأقرَّه الذهبي.
(٢) متفق عليه.
(٣) أخرجه مسلم.
(٤) أخرجه مسلم.

١٤- هو صاحب الكوثر؛ قال - تعالى -: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [**الكوثر**: ١]، وعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طيبه - أو طينه - مسك أذفر»[1].

(١) أخرجه البخاري.



نبي الرحمة الإيمانية

أ. د. جعفر شيخ إدريس

jsidris@gmail . com

أرسل الله - تعالى - رسوله محمداً ﷺ رحمة للعالمين؛ **رحمة بشخصه**: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [**التوبة**: ١٢٨]، ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [**آل عمران**: ١٥٩].

ورحمة برسالته: ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [**الأعراف**: ٥٢]، ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ [**العنكبوت**: ٥٠ - ٥١]، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [**يونس**: ٥٧].

اهتمَّ كثير من إخواننا العلماء والدعاة في هذه الأيام بالرحمة المتعلقة بشخص الرسول ﷺ وما كان عليه من مكارم الأخلاق، وكتبوا في ذلك بحوثاً وافية قُرئت في كثير من المؤتمرات في أنحاء العالم الإسلامي ونشرت، بيدَ أنني أريد في هذه الورقة المختصرة أن أركز على الجانب الآخر، جانب الرسالة التي أرسل بها رسول الرحمة، بل على جزء واحد من أجزائها هو لبُّها والأساس الذي تقوم عليه كل أنواع الرحمة التي أرسل بها، ألا وهي رحمة هذه الرسالة بقلوب العباد.

إن كل ما يزيل عن الإنسان أسباب الضيق والعنت والضرر والشقاء وييسر له ما يجعل حياته أطيب هو من رحمة الله - تعالى - بعباده.

ورحمة الله - تعالى - بهذا المعنى وسعت كل شيء، وهي نوعان: رحمة قدرية ورحمة تشريعية. وفي كتاب الله - تعالى - عشرات الأمثلة التي تدل على أنواع الرحمة قدرية كانت أو شرعية، من ذلك: قوله - تعالى - على لسان عبده نوح - عليه السلام - موجهاً الكلام إلى ابنه عندما أبى أن يركب معه في السفينة وظن أنه سينجو من شقاء الغرق بأن يأوي إلى جبل يعصمه من الماء: ﴿ **قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** ﴾ [**هود**: ٤٣].

وشفاء أمراض النفوس مما تأمر به من أنواع السوء هو من رحمة الله - تعالى -: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾.
[**يوسف**: ٥٣]

والفوز العظيم يوم القيامة إنما يكون برحمة من الله تقي الإنسان من سيئاته: ﴿ **وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [**غافر**: ٩].

والنجاة من العذاب رحمة: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [**الملك**: ٢٨].

وكشف الضر رحمة: ﴿ **وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ [**المؤمنون**: ٧٥].

ومن أنواع الرحمة التي يذهل عنها كثير من الناس: ما نسميه اليوم بالمنجزات المادية التي تيسر الحياة. فهذا ذو القرنين يقول عن السد الذي وفقه الله - تعالى - لبنائه: ﴿ **قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا** ﴾.
[**الكهف**: ٩٨]

وهذا صاحب موسى يقول عن كشفه لكنز الغلامين بأمر من الله – تعالى –: ﴿ **وَأَمَّا الْـجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْـمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِـحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** ﴾ [**الكهف**: ٨٢].

جاء هذا الكتاب هادياً إلى كل أنواع الرحمة التي يسعد بها الإنسان في حياته وبعد مماته. جاء بالرحمة النفسية التي هي أصل كل رحمة، ثم جاء بالرحمة العملية التي هي من لوازم تلك الرحمة النفسية ومكملاتها. لكن تركيزنا في هذا المقال إنما هو – كما ذكرنا – على الرحمة المتعلقة بالقلوب، على الرحمة الإيمانية. فنقول: إن الإنسان يسعد وتطيب نفسه إذا ما كانت حاله النفسية الواقعية من معتقدات وتصورات مناسبة مع الحالة النفسية التي فطره الله عليها، فكلما اقتربت حاله الواقعية من حال الفطرة ومقتضياتها كانت حياته النفسية أسعد وأطيب، وكلما ازداد بعده عنها ازداد شقاؤه النفسي مهما عاش في أنواع من النعم الخارجية. وقد أرسل الله – تعالى – محمداً ﷺ كما أرسل سائر إخوانه الرسل برسالة مبناها على فطرته التي فطر الناس عليها: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِـخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [**الروم**: ٣٠].

فالدين الحنيف يأتي مقرّاً لهذه الفطرة ومبنيَّاً عليها، ومفصلاً لمقتضيات الإيمان بحقائقها، ومعطياً الأدلة على صدق تلك الحقائق، والأدلة على زيف ما يخالفها من أنواع الدعاوى والشبهات. وفي هذا كله رحمة واسعة بالمؤمن بما يدعوه إليه رسل الله؛ لأنه يكون حينئذ ذا قلب سليم وعلم وأدلة وحجج يقهر بها الخصوم.

الإنسان مخلوق لله فهو مفطور على الاعتراف بهذه الحقيقة كما هو المشاهَد

على مرِّ الزمان، وكما تشهد به الدراسات الإنثروبولجية الحديثة التي درست ثقافات معظم الشعوب. لكن إذا كان هذا الأصل الإيماني بالاعتراف بوجود الخالق هو الغالب على معظم البشر؛ فإن أكثر الناس يحيدون عن لوازمه ومقتضياته، فيأتي رسل الله - تعالى - ليهدوهم إلى هذه المقتضيات ويدعوهم إلى الإيمان بها ليكون إيمانهم كاملاً.

يؤمن الإنسان حتى قبل مجيء الرسول بأن له خالقاً، لكنه قد لا يذكر هذا الخالق إلا قليلاً، وقد لا يعرف من صفاته ما يؤثِّر في حياته، فتكون حياته في الواقع كحياة الذين ينكرون وجوده سبحانه. كتب أحد الإنجليز المعاصرين كتاباً يدعو فيه إلى الإلحاد، وكان مما ذكره في كتابه أن بعض الدراسات أثبتت أن المؤمنين ليسوا بأكثر استمساكاً بمكارم الأخلاق من الملحدين. وقد شاركتُ بورقة في أحد المؤتمرات كانت رداً على بعض دعاوى هذا الملحد فقلت للناس فيما يتعلق بهذه المسألة: إن كلامه قد يكون صحيحاً لأن ذلك يعتمد على نوع الذين عدَّهم من المؤمنين. ثم ذكرت لهم أن مجرد الإيمان بوجود الخالق لم يعصم العرب الذين أُرسل إليهم الرسول ﷺ من أن يعبدوا معه غيره من كل أنواع الأصنام والأوثان، بل أقول الآن: وإنه لم يعصم الغربيين المتدينين من مثل هذا الشرك.

يأتي الرسول ليقول للإنسان: إنك على حق في إيمانك بوجود الخالق وربوبيته، ويهديه إلى حجج تؤيد هذا الإيمان الفطري وترد على منكريه. من ذلك قوله - تعالى - في كتابه الرحمة رداً على منكري وجوده - سبحانه -: ﴿ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ** ﴾ [**الطور**: ٣٥ - ٣٧].

ثم يقول له: إن هذا الإله الذي تؤمن بأنه هو وحده الذي خلقك وهو وحده الذي يرزقك والذي بيده حياتك ومماتك هو أيضاً وحده الذي ينبغي لك أن تعبده. ويعطيه أدلة كثيرة على ذلك، منها قوله – تعالى –: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [**البقرة**: ٢١ – ٢٢]، ﴿**وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٦) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾.

[**العنكبوت**: ١٦ – ١٧]

في هذه الآيات وغيرها كثير يرشد الله – تعالى – عباده إلى أنه بما أن العبادة إنما هي في أصلها شكر؛ فإن هذا الشكر ينبغي أن يكون لصاحب النعمة لا لغيره.

إذا استجاب الإنسان لهذا الأمر الإلهي فعبد الله – تعالى – وحده ولم يشرك معه شيئاً في هذه العبادة يكون قد استحق بفضل الله – تعالى – أكبر رحمة يرحم بها بشر؛ لأن توحيد الله – تعالى – هو لبُّ كل خير؛ ولأن الشرك به هو أساس كل شر. وهي رحمة يشعر بها الإنسان في قلبه ويجد لها حلاوة لا تدانيها حلاوة، وتجعله يعيش حياة لا حياة أطيب منها. لكنه يبين له أن إيمانه بهذا الخالق لا يكتمل إلا بإيمانه بحقائق أخرى هي من لوازم الإيمان بربوبيته وألوهيته.

الحقيقة الأولى من هذه الحقائق: معرفة صفات هذا الخالق وأسمائه الحسنى، وذلك لأن الإنسان كلما ازدادت معرفته بربه ازدادت خشيته له وازداد قربه منه

فازدادت بذلك سعادته. وكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت كذلك معرفته بمقتضيات تلك الصفات، فازداد فقهه لكلام الله، وازداد تفكره في آيات الله الكونية والكلامية وعلمه بها وبمقتضياتها. وكتاب الرحمة الذي أنزله الله - تعالى - على عبده محمد ﷺ مليء بذكر هذه الصفات، فالرب الذي جرد عبادته له هو المتصف بكل صفات الكمال المنزَّه عن كل صفات النقص، فمن صفات كماله أنه: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [**الحشر**: ٢٢ - ٢٤].

ومنها أنه هو: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٥].

الحقيقة الثانية التي هي من مكملات الإيمان بالله - تعالى -: الإيقان بأنه - سبحانه - لا بد أن يرسل إلى عباده رسلاً وينزل عليهم كتباً تتضمن هدايته لهم. كيف يمد الله - تعالى - عباده بكل ما يحتاجون إليه من أنواع الرزق المادي الذي لا تقوم حياتهم الجسدية إلا به، ثم لا يمدهم بما يحتاجون إليه من أنواع الهداية التي هي قوام حياتهم الروحية التي هي الحياة الحقيقية؟! فالإيمان بضرورة إرساله - سبحانه - للرسل وإنزاله للكتب هو من لوازم معرفة الإنسان بصفات ربه سبحانه؛ لذلك ذم الله - تعالى - أقواماً أنكروا رسالات السماء ووصفهم بأنهم لا يقدرون الله حق قدره إذ

ينكرون بعض ما هو من لوازم صفاته : ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ** ﴾[**الأنعام** : ٩١] .

وكما يهديه – سبحانه – إلى هذه الحقيقة فإنه يهديه إلى مقتضياتها ، فمن ذلك : أنه يهديه إلى الدليل الذي يدل على أن الرسالة هي حقاً من الله – تعالى – وهو أن لا يكون فيها تناقض واختلاف : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا** ﴾ [**النساء** : ٨٢] .

وأن يكون فيها ما يدل على هدايتها ولا سيما إذا ما قُورنت بغيرها من الكتب البشرية : ﴿ **قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ .

[**القصص** : ٤٩]

وإذا كانت الرسالة السماوية أكبر رحمة يرحم الله – تعالى – بها عباده فلا بد أن تكون موجودة في كل زمان ومكان ، وأن يكون بإمكان البشر أن يطلعوا عليها ويهتدوا بها ؛ كما يوجد الهواء اللازم لحياتهم الحسية في كل زمان ومكان ، بل أكثر من ذلك . ينظر الإنسان العاقل حوله باحثاً عن هذه الرسالة في عصره هذا فيكتشف أنه لم يبق من رسالات السماء إلا الرسالة التي أنزلت على نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، ولم يبق من رسل الله رسول تعرف سيرته ليقتدى به إلا نبينا محمد بن عبد الله ﷺ ، فيقول في نفسه : هذا والله إذن هو خاتم رسل الله .

إن الإنسان لا يعيش فرداً منبت الصلة بغيره من البشر لا يتأثر بهم في طريقة أكل أو شرب أو لبس أو سلوك أو عبادة ، بل إن بعض الناس ليتأثر ببعض في كل ذلك ويحذو حذوهم . فمن رحمة الله – تعالى – بالإنسان المؤمن أن يدله على رجل شهد له – سبحانه – بالسير على صراطه المستقيم وجعله قدوة لغيره من الذين يبتغون

الوصول إلى الله - تعالى -: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [**الأحزاب**: ٢١].

فمن أراد الوصول إلى الله - تعالى - بذل جهده في الاقتداء برسوله ﷺ في عبادته وفي خلقه وفي معاملاته.

فالذين يحاولون التنقص من قدر هذا النبي ﷺ لا يعادونه أو يعادون المسلمين فحسب، وإنما يعادون البشرية كلها، إذ يحاولون أن يسدوا عليها الطريق الموصل إلى الرحمة التي جاء بها نبينا محمد بن عبد الله ﷺ.

وإذا آمن الإنسان برسول الله ﷺ وبالرسالة التي أنزلت عليه فإن الله - تعالى - يرحمه رحمة ثانية بأن يهديه إلى الطريقة التي يتعامل بها مع هذه الرسالة السماوية ومع الرسول الذي أنزلت عليه، فلا يقدِّم على كلام الله أو كلام رسوله شيئاً من رأي أو ظن أو أمر لمخلوق، بل يتجنب حتى رفع صوته على صوت الرسول ﷺ: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾.

[**الحجرات**: ١ - ٣]

وإذا كانت رسالة كالرسالة المحمدية موجهة إلى البشر جميعاً، بل حتى إلى الجن؛ فإنه يلزم من ذلك أن تكون رسالة واحدة تفهم على حقيقتها في كل زمان ومكان بعد نزولها، لمن أراد فهمها وحقَّق شروط ذلك الفهم. أعني: أنها لا يمكن أن تكون في طبيعتها قابلة لأن تفهم بأوجه مختلفة متناقضة بحسب زمان القارئ ومكانه

كما يقول بعض الجهلاء اليوم؛ لأنها إذا كانت كذلك لم تكن رسالة واحدة، بل كانت رسائل متعددة، وسبحان الله عن مثل هذا العبث.

الحقيقة الثالثة التي لا يكتمل الإيمان إلا بها والتي هي من لوازم صفاته، ومن لوازم طبيعة مخلوقاته لمن تأملها: هي أن بعد هذه الحياة الدنيا حياة أخرى يلقى فيها المطيع لله جزاء إحسانه ويعاقب فيها الكافر على إساءته. وفي القرآن الكريم أدلة كثيرة على ضرورة وجود هذه الدار وكونها أمر تقتضيه صفات الخالق وطبيعة مخلوقاته. فالله - تعالى - حكيم لا يمكن أن يفعل شيئاً عبثاً. وإرسال الرسل ثم عدم التفريق بين من آمن منهم بالرسالة التي أرسل بها رسله ومن كفر بها وأنكرها؛ نوع من العبث الذي يتنزه الله - تعالى - عنه: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [**المؤمنون**: ١١٥ - ١١٦]، ﴿**كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٤) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ [**القلم**: ٣٣ - ٣٦]. بل إن وجود السماوات والأرض وغيرها من أنواع الخلق هو من الأدلة على وجود تلك الدار الآخرة؛ لأن الله - تعالى - إنما خلق هذه المخلوقات الدنيوية وسخرها لمنافع الناس مسلمهم وكافرهم؛ فكيف يكون مصير النوعين واحداً بعد انقضاء هذه الحياة الدنيا وما فيها؟! ولذلك فكثيراً ما نجد القرآن يقرن بين البعث وخلق السماوات والأرض بالحق: ﴿**أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ**﴾ [**الروم**: ٨]، ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ**﴾ [**الجاثية**: ٢١ - ٢٢].

وللإمام ابن كثير – رحمه الله – كلام نفيس في هذا الصدد فقد قال: (قَالَ تَعَالَى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: ٢٨]؛ أَيْ: لَا نَفْعَل ذَلِكَ وَلَا يَسْتَوُونَ عِنْد اللَّه وَإِذَا كَانَ الْأَمْر كَذَلِكَ فَلَا بُدّ مِنْ دَار أُخْرَى يُثَاب فِيهَا هَذَا الْمُطِيع وَيُعَاقَب فِيهَا هَذَا الْفَاجِر، وَهَذَا الْإِرْشَاد يَدُلّ الْعُقُول السَّلِيمَة وَالْفِطَر الْمُسْتَقِيمَة عَلَى أَنَّهُ لَا بُدّ مِنْ مَعَاد وَجَزَاء فَإِنَّا نَرَى الظَّالِم الْبَاغِي يَزْدَاد مَاله وَوَلَده وَنَعِيمه وَيَمُوت كَذَلِكَ وَنَرَى الْمُطِيع الْمَظْلُوم يَمُوت بِكَمَدِهِ فَلَا بُدّ فِي حِكْمَة الْحَكِيم الْعَلِيم الْعَادِل الَّذِي لَا يَظْلِم مِثْقَال ذَرَّة مِنْ إِنْصَاف هَذَا مِنْ هَذَا، وَإِذَا لَمْ يَقَع هَذَا فِي هَذِهِ الدَّار فَتَعَيَّنَ أَنَّ هُنَاكَ دَاراً أُخْرَى لِهَذَا الْجَزَاء وَالْمُوَاسَاة، وَلَمَّا كَانَ الْقُرْآن يُرْشِد إِلَى الْمَقَاصِد الصَّحِيحَة وَالْمَآخِذ الْعَقْلِيَّة الصَّرِيحَة).

وكما أن مجرد الإيمان بوجود الخالق، بل حتى بربوبيته من غير معرفة بأسمائه وصفاته – سبحانه – وما تقتضيه هذه الصفات لا يكفي لإصلاح حال الإنسان وتعرضه لرحمة الله تعالى؛ فكذلك مجرد الإيمان بوجود دار آخرة لا يؤثر في حياة الإنسان ويصلحها إذا لم تكن له معرفة بتلك الدار وتصوُّر صحيح لها. ولذلك نجد في كتاب الله – تعالى – وفي سنة رسوله ﷺ وصفاً مفصلاً للجنَّة التي يجازى بها المتقون والنار التي يعاقب بها الكافرون حتى كأنهما رأي عين.

يبين الله – تعالى – أن أكبر نعمة ينعم بها على عباده في دار جزائه هي تمكينهم من رؤيته تعالى.

قال النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله – تبارك وتعالى –: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة؟ وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل»،

ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [**يونس** : ٢٦] .

وإذا كانت رؤية الله – تعالى – هي أرقى أنواع النعم في الجنة فهناك نِعَم نفيسة أخرى، منها : كون أهل الجنة إخوة متحابون أزال الله – تعالى – عن قلوبهم كل أثر لِغلٍّ. ومع النعيم المادي هناك رزق يشبه في شكله وأسمائه ما يعرفون من أحسن أرزاق الدنيا من المآكل والمشارب والمساكن والملابس والمناكح لكنه مختلف عنه في حقيقته وإن شابهه في اسمه : ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ** ﴾ [**محمد** : ١٥] .

وكما بيَّن – سبحانه – تفاصيل وصف الجنة وما فيها من أنواع النعيم فإنه بيَّن كذلك تفاصيل وصف النار وما فيها من أنواع العذاب، فقد بيَّن – سبحانه – أنه إذا كان أكبر نعيم ينعم به أهل الجنة هو رؤيتهم لربهم؛ فإن أكبر عذاب يعذب به أهل النار هو حجبهم عن تلك الرؤية : ﴿ **كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ** ﴾ [**المطففين** : ١٥ – ١٦] .

وإذا كان مما ينعم به أهل الجنة كونهم إخوة متحابين فإن من أشد ما يشقى به أهل الجحيم كونهم أعداء متباغضين يلعن بعضهم بعضاً، ثم يضاف إلى ذلك أنواع العذاب الأليم من نار وحرٍّ وسموم وزمهرير وأكل يقطع البطون ولباس يحرق الجسوم .

يذكِّر الله – تعالى – عباده بحقيقة مهمة تتعلق بالدار الآخرة هي كونها دار خلود وأن الحياة الدنيوية دار مؤقتة لا تساوي مدة بقائها شيئاً بالنسبة للدار الآخرة،

ولذلك فإن الإنسان العاقل لا يغترُّ بنعيمها وإن أخذ بحظٍّ وافر منه ويصبر على أذاها وإن ناله ما ناله من شدائدها، وقد بيَّن رسول الله ﷺ الحقيقة التي تدعو إلى ذلك بصورة مؤثرة فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة فيصبغ في النار صبغة ثم يقال له: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ويؤتى بأشد الناس في الدنيا من أهل الجنة فيصبغ في الجنة صبغة فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا والله يا رب! ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط». أخرجه أحمد ومسلم.

ومن تمام الإيمان بالله أن يعرف الإنسان شيئاً عن ملائكة الله – تعالى – وما كُلِّفوا به من أعمال تتعلق بصلة العبد بربه، فأعظم رسالة يؤديها هؤلاء العبيد الذين يفعلون ما يؤمرون هو حملهم لرسالة الله إلى رسله، ثم إنهم هم الموكلون بكل ما يتعلق بحياة الإنسان من أكل وشرب ونعيم وبؤس، وحياة وموت، وغير ذلك.

وكما هو ضروري للإنسان أن يعرف ملائكة الله المطيعين له ويؤمن بهم؛ فإنه من الضروري له كذلك أن يعرف أعدى أعداء الله ويكفر به، ويحذر من طاعته فيما يأمره به من أنواع الكفر والذنوب وما يلقيه في قلبه من أنواع الشهوات والشبهات.

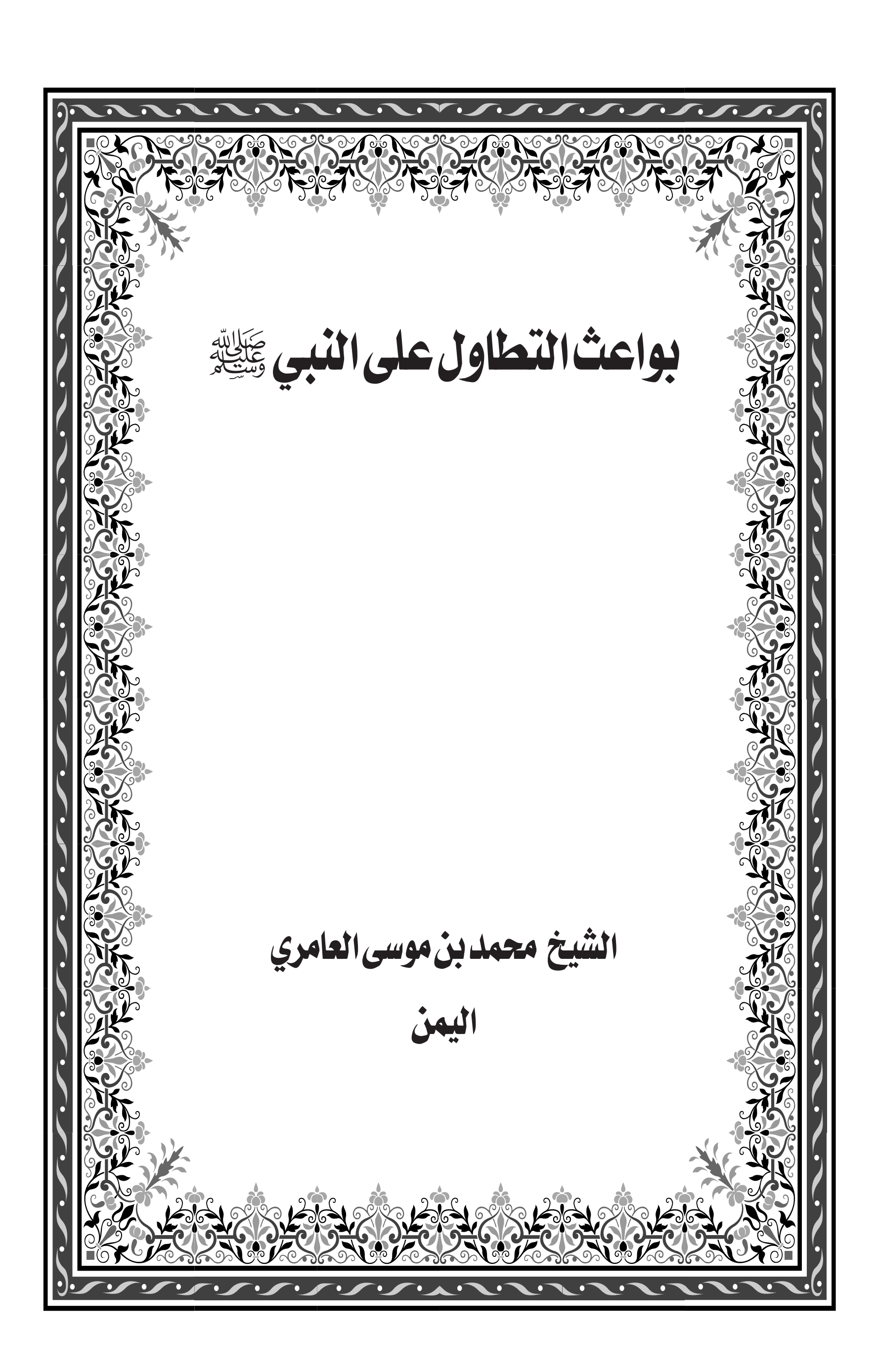
وإذا كان هذا الإيمان هو جوهر الرحمة التي جاء بها رسول الله ﷺ فإنه إيمان تلزم عنه أعمال ظاهرة وباطنة يرحم الله – تعالى – عباده المؤمنين بهدايتهم إليها وإعانتهم عليها فيزدادون بها سعادة وحياة طيبة، فالشهادة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تعبير باللسان عن إيمان استقر في القلب، والصلاة هي أهم العبادات التي تنهى المؤمن عن الفحشاء والمنكر وتجعله دائم الصلة بالله: ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ**

وَأَقِـمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَـاءِ وَالْـمُنكَـرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَـرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

ثـم بقيـة العبادات من صـوم وزكاة وحج كلها مما يقي الإنسـان مـن عذاب الله ويعينه على رضوانه ودخول جنانه .

ثم مكارم الأخلاق التي بُعث الرسول ﷺ بإتمامها والتي هي من لوازم الإيمان وما يتبعه من عـبادات . فالمؤمـن بالله – تعالى – والعامل لتلك الأعمال الصالحة يجد في نفسه ميلاً إلى الاستمساك بمكارم الأخلاق من صدق وأمانة ورحمة بالناس وعدل بينهم .

وإذا ما تهيأ الناس بإيمانهم وعباداتهم ومكارم أخلاقهم ليحسنوا التعامل بينهم جاءهم هذا الدين بكل ما يصلح حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية من أنواع التشريعات التي هي أيضاً رحمة بهم .



بواعث التطاول على النبي ﷺ

الشيخ محمد بن موسى العامري

اليمن

مدخل

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، نبينا محمد بن عبد الله، الصادق المصدوق، وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذابين عن سنته وشريعته إلى يوم الدين.

أما بعد: فهذه الورقة هي في «بواعث التطاول على النبي ﷺ».

تزايدت في السنوات الأخيرة حملات منظمة يقوم بها بعض الزعماء الدينيين والسياسيين والمثقفين والإعلاميين ضد النبي الخاتم خير خلق الله محمد ﷺ.

وليس هذا الأمر جديداً على أعداء الرسل والرسالات، بل هو قديم قدم البشرية كلها، فما بعث الله من نبي إلا ووجد في قومه من يستهزئ به ويسخر منه: ﴿**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [**الأنعام**: ١٠]، ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [**الأنعام**: ١١٢]، ﴿**يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**﴾ [**يس**: ٣٠]، ﴿**كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [**الذاريات**: ٥٢].

فإذا كانت هذه سنة الله في أعداء الرسل وخصومهم؛ فما الجديد في الأمر؟

إن الجديد هو أن التهجم على شخص الرسول ﷺ أصبح ظاهرة بالمعنى العلمي والعرفي لهذا المصطلح، وبخاصة في الآونة الأخيرة، وبالتحديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر المشهورة.

إن الجديد هو أن التطاول والسخرية بمحمد ﷺ تحول من أعمال فردية، أو نخبوية، أو تكتلات دينية محدودة، إلى عملٍ يقوده زعماء سياسيون، وقادة

متنفذون، وأحبار، ورهبان، ومؤسسات، وشركات إعلامية مبرمجة، كما سيتضح من خلال تصريحات رموز وأعلام في المجتمعات الغربية.

يحصل هذا في الوقت الذي ينادي به أولئك الأقوام إلى التعايش السلمي بين الشعوب، وشعارات الاحترام المتبادل بين المجتمعات متعددة الثقافات، واحترام المقدسات الدينية، ودعاوى نبذ الكراهية والتعصب، إلى غير ذلك من اللافتات البراقة، التي ذهب ضحيتها فئام من أبناء جلدتنا، وخدعوا بها بعدما زخرفت لهم بتلكم الألفاظ المعسولة التي ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب.

لقد أضحى التهجم؛ ليس مقتصراً فقط على رسول الله ﷺ - بأبي هو وأمي - بل كذلك الحال في الشرائع والأحكام المنزلة من رب العباد.

ولا فصل أبداً بين الرسول وما أرسل به، فالرسول ﷺ هو صاحب الدعوة، ورمزها الأول، ومثلها الأعلى، فالإساءة إليه إساءة إلى ما أرسل به، والعكس صحيح.

ولم يعد تقليل بعضهم من شأن هذه الظاهرة مقنعاً بعد أن أصبحت حملة ظالمة، نشهد فصولها اليوم بصورة مجدولة، وبعد أن أضحت دول تقوم وترعى مثل هذه التحولات في المجتمعات الغربية.

وبناءً على ما سبق فإنه من المتحتم علينا اليوم أن نبحث الظاهرة حتى يكون التشخيص صحيحاً، والعلاج نافعاً.

وهذا الأمر بحد ذاته يؤكد لنا أهمية فهم واقع الحال، والوقوف على الدوافع الحقيقية لهذه الظاهرة، التي تستهدف مقدساتنا، وصلب ديننا؛ رسالةً ورسولاً.

وقبل أن أدلف إلى ذكر هذه الدوافع التي وقفت عليها في هذا الورقة المتواضعة

أحب أن أسلط الضوء على شيء من سِمَات المشهد الغربي اليوم من خلال النقاط التالية:

١ - بروز التيارات اليمينية المتطرفة في الآونة الأخيرة سواء أكان ذلك في الساحة الأمريكية أم الأوروبية، بحيث أصبح المتعصبون للدين النصراني المحرَّف لاعبين أساسيين في مجريات السياسة العامة، ويملكون التأثير المباشر في مواقع النفوذ، كما يدل على ذلك تمكن تيار المحافظين الجدد من إدارة الحكم والسلطة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأصبح الكثير من الناخبين في الغرب يدلون بأصواتهم في الانتخابات العامة لصالح الأحزاب الدينية الكنسية.

كما أن هناك جدلاً واسعاً اليوم حول الهوية المسيحية لأوروبا عند الحديث عن صياغة الدستور أو التعامل مع جيرانها الأتراك.

٢ - هناك بالمقابل التوجه العلماني غير الديني العام في المجتمعات الغربية، وهم الذين لا يمثل الدين عندهم سوى طقوس وثنية، أو وجدانات قلبية، أو مجرد هوية صرفة، وهؤلاء لا يعيرون أي اهتمام للحرمات والمقدسات، فلا يوجد عندهم أي تحفظ من القدح أو الطعن في الرسل والرسالات بحكم ثقافتهم التي انعكست سلباً على كل الأديان بسبب الثورة على الدين الكنسي المحرف كما هو معلوم.

٣ - تقود الولايات المتحدة الأمريكية حملة ظالمة على العالم الإسلامي بأسره بخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، رافضة تقديم أي تعريف لمصطلح الإرهاب الذي تزعم مكافحته، مستخدمة في ذلك كل إمكانياتها العسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وغير خافٍ على أحد مدى النفوذ الأمريكي على العالم بأسره بما في ذلك المنظومة الأوروبية.

ويرافق هذه الحملة الشاملة الشعواء حملة إعلامية مسعورة على الدين الإسلامي، ووصفه بالإرهاب، والتطرف، والكراهية.

٤ - هناك تخوف كبير وجدل واسع اليوم حول عودة الإسلام بوصفه خصماً حضارياً ومنافساً قوياً للحضارة الغربية، وسنشير إلى جزء منه في ثنايا هذه الورقة.

هذه العوامل وغيرها تشكل أرضية خصبة لبثِّ روح العداء والكراهة نحو الإسلام والمسلمين، وغني عن البيان أن المجتمعات الأوروبية تمثل خليطاً من التوجهات الفكرية، والسياسية، والثقافية المتعددة، ومن المفيد هنا - بل ومن العدل والإنصاف - أن نقول: إن المجتمعات الأوروبية الغربية تحوي أنماطاً من الناس، الذين يمكن أن نصنفهم إلى خمسة أصناف:

١ - فمنهم الذين لا همَّ لهم إلا معاداة الإسلام، وقد شرقوا بهذا الدين، وجحدوا به كما جحد به آباؤهم وأسلافهم من قبل من كفرة أهل الكتاب ومجرميهم من المستكبرين أهل البطر وغمط الإسلام: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [**البقرة**: ١٤٦].

٢ - وطائفة ثانية من الرعاع والجهلة المخدوعين الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا ما تلقفوه من الطائفة الأولى فهم أحوج ما يكونون إلى أن يعرفوا نبي الإسلام، وتعرض عليهم صورته المشرقة. ومن الظلم أن يقصِّر المسلمون في حق هؤلاء ودعوتهم.

٣ - وطائفة ثالثة بين هاتين الطائفتين لا همَّ لهم إلا شهواتهم، وملذاتهم، لا يريدون أن يسمعوا شيئاً عن الإسلام، ولا عن نبي الإسلام، ولا مطمع لهم في البحث عن الحقيقة ولا غيرها، ولا يميّزون بين حق وباطل.

٤ - وطائفة رابعة من أهل الإنصاف منهم، تعرفوا على شيء من محاسن الإسلام وتعاليمه وحكمه، ووقفوا من الإسلام مثل موقف أبي طالب أو قريباً منه، وقدموا بعض المواقف الإيجابية نحو الإسلام، ونبيه، وهم كثيرٌ من النخب الباحثة والمثقفة ومنهم على سبيل المثال: الباحثة الفرنسية جو سلين سيزاري، والصحفي البريطاني روبرت فيسك، وماركوس بورج أستاذ علوم الدين في جامعة أوريغون الأمريكية، وفرانسو يورجا الباحث الفرنسي المرموق، وكذلك كارين امسترونج الكاتبة البريطانية، وصاحبة العديد من المؤلفات عن الإسلام والمسلمين واليهودية، وكذلك ولي العهد البريطاني الأمير تشارلز، وشهادته النادرة التي أسقط فيها صفة التطرف التي يحاول الإعلام الغربي أن يربطها بالإسلام إلى جانب دفاع تشارلز عن فضل الحضارة الإسلامية على القارة الأوروبية وعلى الحضارة الغربية بصفة عامة، فمثل هؤلاء ينبغي أن يعرف لهم فضل موقفهم، وأن يكافؤوا عليه، وأن يُحرص على دعوتهم إلى الإسلام، وحريٌّ بمثلهم أن يسلموا إذا تعرفوا على الإسلام أكثر.

٥ - وأما الطائفة الخامسة فهم مسلمو الغرب فهؤلاء ينبغي أن نكون ردءاً لمحسنهم، وحادبين على مسيئهم.

أولاً: البواعث الذاتية للتطاول على الرسول ﷺ

ونقصد بالبواعث الذاتية ما كان متأصلاً فيهم متجذراً في أعماقهم، ليس من الدوافع والمحفزات الخارجية الطارئة عليهم.

وسنبدأ بهذه البواعث نظراً إلى ما لها من قيمة موضوعية، وعلمية في الربط بين ماضي القوم وحاضرهم، ولتفسير ظاهرة التطاول قديماً وحديثاً حتى يكون التشخيص دقيقاً، وجامعاً لكل أطرافه.

أولاً: العداء الديني «العقدي»:

يقرر القرآن الكريم في غير ما موضع منه قضية العداوة الدينية للإسلام لدى أهل الكتاب، وسخريتهم بتعاليمه، كما في قوله - تعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ**﴾ [**المائدة**: ٥٧ - ٥٨].

وقد عملوا على إضلال المؤمنين وصرفهم عن دينهم كما في قوله: ﴿**وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [**آل عمران**: ٧٢ - ٧٣].

وحينما كان الصراع قائماً بين الرسول ﷺ وبين المشركين رفض أهل الكتاب أن يكونوا محايدين، واختاروا أن يقفوا في صف المشركين: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا**

نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٥١ - ٥٢].

﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

لذا حذرنا القرآن الكريم من هؤلاء، واتخاذهم أولياء: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ولقد كان هذا العداء الديني العقدي سبباً رئيساً في عدم قبول الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية للدعوة الإسلامية، إذ اختارت القتال أمام قوافل الفتح الإسلامي، في حين دخلت شعوب وأمم أخرى في الإسلام طواعية.

وإذا عدنا إلى أطروحة صامويل هنتغون حول صدام الحضارات، نجدها تبني صدام الإسلام مع الغرب على أساس ديني تاريخي طويل، بينما تبني صدام الصين مع الغرب على أساس اقتصادي استراتيجي وتجعله قائماً على مبدأ فكرة الحرب الاقتصادية القادمة بين آسيا والغرب فالوضع يختلف بشكل كبير بين الحالتين[1].

إن الغرب متجذر في تصوره الديني فكرة «النبي الكاذب»، ومن الأدلة الواضحة على العداء الديني ما قام به البابا بيند يكيت السادس عشر ضد الإسلام وبني الإسلام وهو أعلى رمز ديني في الغرب المسيحي حيث ألقى محاضرة في جامعة ريجستر يوم ١٢/ سبتمبر ٢٠٠٦م أمام جمع من العلماء الألمان اقتبس فيها قائلاً: (أرني ماذا قدم

(١) حوار الإسلام مع الغرب مشكلة النمطية ومسؤولية المفكرين المسلمين، عثمان الرؤوف، الشرق الأوسط، عدد ٢٣٥، في ١/١/٢٠٠٢م

محمد من جديد؟ وسوف لن تجد إلا أموراً شيطانية، وغير إنسانية، مثل أوامره التي دعا إليها، بنشر الإيمان عن طريق السيف).

والغريب في الأمر أن المحاضرة كانت عن العلاقة بين الإيمان والمنطق، وأهمية الحوار بين الثقافات والأديان، ومن الواضح أن البابا في محاضرته قد اختار أن يقتبس عبارة الإمبراطور البيزنطي عمانويل الثاني عن الإسلام والجهاد؛ إمعاناً في الكيد والتحريض ضد الإسلام ونبيه؛ لأن هذا الإمبراطور هو الذي حرض الثائرين على الدولة العثمانية في عهد السلطان مراد الثاني الذي قرر معاقبته فاستولى على مدينة سلولنيك سنة ٨٣٣هـ.

ولا ريب أيضاً أن البابا يعرف تماماً أن كلماته تمثل توجهات الكثيرين من معتنقي الدين النصراني، وهذا الهجوم يتزامن مع وصف الإسلام بالفاشية والإرهاب، من قبل الإعلام والساسة الغربيين، ويبدو أنه اختار أن يوجه الكنيسة الكاثوليكية في اتجاه الكنيسة البروتستانتية نفسه، وهو الهجوم على الإسلام وعلى خير خلق الله نبينا محمد ﷺ.

علماً بأن كلمات البابا قيلت في اليوم التالي للذكرى الخامسة لأحداث سبتمبر وفي الوقت نفسه الذي يتساءل فيه العالم الغربي عن مستقبل العلاقة مع العالم الإسلامي، فكأنها تمثل رؤية البابا لمستقبل تلك العلاقة، ولم يصدر من الكنيسة ما ينفي ذلك[١].

وفي الغرب اليوم توجد شركات ومؤسسات إعلامية واقتصادية يملكها قساوسة، لا همَّ لهم سوى الطعن في الإسلام ونبيه، ومن بين هؤلاء على سبيل المثال:

---

(١) انظر: لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب مع نبي الإسلام، د. باسم خفاجي، ص ٣٩ وما بعدها.

١ - جيري فالويل jerry falwell :

وهو قسيس إنجيلي معروف يقيم في مدينة ليتشرج في منطقة فرجينيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وله برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني يصل إلى أكثر من ١٠ ملايين منزل أسبوعياً، ويملك جامعة خاصة تسمى جامعة الحرية «Libwrty univer sity» .

ويهاجم النبي ﷺ من خلال وسائل الإعلام الأمريكية الكبرى، ومن ضمن مقالاته على شبكات التلفزيون الأمريكية ما نصه : (أنا أعتقد أن محمداً كان إرهابياً لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه كان رجل عنف ورجل حرب) .

٢ - بات روبرتسون Pat robertson :

قسيس إنجيلي مؤيد لإسرائيل يملك عدداً من المؤسسات الإعلامية من بينها نادي الـ ٧٠٠ وهو برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في أمريكا إضافة إلى محطة فضائية تصل إلى ٩٠ دولة في العالم بأكثر من ٥٠ لغة، وهي محطة البث النصراني، ومنها إذاعة الشرق الأوسط المتخصصة في تنصير العالم العربي، وقد سعى إلى ترشيح نفسه لمنصب الرئيس الأمريكي عام ١٩٨٨م، وله جامعة أصولية وهي (ريجينت) .

وهو مشهور بمهاجمة الرسول ﷺ، ومن ذلك قوله : (كل ما عليك فقط أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن، إنه يدعو قومه إلى قتل المشركين، إنه رجل متعصب إلى أقصى درجة، إنه كان لصاً، وقاطعاً للطريق . . إلخ) .

٣ - فرانكلين جرهام Franklin Graham :

عمل والده قسيساً خاصاً للرؤساء الأمريكيين منذ عهد ريتشارد نيكسون وحتى الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، وهو الذي قام بالمراسيم الدينية لتنصيب

الرئيس الأمريكي الحالي جورج بوش، ويقوم بحملات كنسية تصل إلى الملايين في العالم[١].

وغني عن البيان أن الإدارة الأمريكية التي يديرها تيار المحافظين الإنجيليين ينطلقون في كثير من سياساتهم من خلال نبوءات لها ارتباط شديد الصلة باليهود والقساوسة سواء أكان ذلك في فلسطين، أم في العراق، فالقادة الأمريكان لهم علاقات متينة مع الكنائس، والقساوسة، وهم سماعون لهم في نبوءات ما يتعلق بآخر الأزمان.

فهذه بعض الشواهد وإلا فإن كتاب الله قد أخبرنا عن غاياتهم، ومقاصدهم الدينية، يقول – سبحانه وتعالى –: ﴿ **وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ** ﴾ [**البقرة**: ١٢٠].

ثانياً: الحقد التاريخي:

ويقصد بذلك الآثار النفسية التي خلفتها الفتوحات الإسلامية حينما فتحت أرض الشام، ومصر، وأرض الأناضول (تركيا)، والأندلس، وشرق أوروبا؛ فمعركة أجنادين، واليرموك، وفتح بيت المقدس، وعمورية، والزلاقة، وحطين، وتحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين، وفتح القسطنطينية، وتوغل الفتح الإسلامي، كل ذلك ظل محفوظاً في ذاكرة الغربيين منحوتاً في جدرانها، الأمر الذي كان له انعكاساته الإجرامية في الحروب الصليبية على العالم الإسلامي، وما تبع ذلك من صور الجرائم الوحشية، ومحاكم التفتيش التي مثّلت – قبل الجرائم المعاصرة – أبشع المجازر في تاريخ الحروب.

---

(١) المصدر السابق.

لقد كانت تصرفات قادة وجيوش الحروب الصليبية تدل على درجة متقدمة من الحقد الدفين، والرغبة في الانتقام بوصفه نوعاً من التعويض عن الخوف المزمن من المسلمين، ومن دينهم.

وقد روى أحد شهود العيان من الرهبان الفرنجة الذين شهدوا احتلال الصليبيين لمدينة القدس سنة ٤٩٢هـ بقوله: (كان قومنا يجوبون الشوارع، والميادين، وسطوح البيوت ليرووا غليلهم من التقتيل، وذلك كاللبؤات التي خُطف صغارها، كانوا يذبحون الأولاد، والشباب، ويقطعونهم إرباً إرباً، وكانوا يشنقون أناساً كثيرين بحبل واحد بغية السرعة، وكان قومنا يقبضون كل شيء يجدونه، فيبقرون بطون الموتى ليخرجوا منها قطعاً ذهبية!! فيا للشره وحب الذهب!! وكانت الدماء تسيل كأنها أنهار في طرق المدينة المغطاة بالجثث)[١].

ويصف راهب آخر المجزرة نفسها دون أن يخفي شماتته بقوله: (حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس، وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم، وبقرت بطون بعضهم فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار، وحرق بعضهم في النار، فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب، وأيديهم، وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوه)[٢].

ومن المؤكد أن هاجس الخوف من الإسلام ما زال قائماً في الوعي الغربي، وهو

(١) حضارة الغرب، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ط ٢.
(٢) المصدر السابق. وانظر: ظاهرة الإسلاموفوبيا قراءة تحليلية، خالد سليمان، والمقال ورقة بحث قدمت في الأصل لمؤتمر فيلادلفيا الدولي الحادي عشر (ثقافة الخوف)، جامعة فيلادلفيا، الأردن، ٢٤-٢٦/ أبريل ٢٠٠٦م.

ما يفسر حالة الهوس الذي يسيطر على مجريات السياسة الغربية تجاه العالم الإسلامي في العصر الحديث :

١- فالتآمر على الخلافة العثمانية، ومحاولة إسقاطها كان انعكاساً لهذا الحقد التاريخي، ففي عام ١٩٠٧م دعت بريطانيا إلى تشكيل لجنة عليا تألفت من سبع دول استعمارية غربية لمناقشة الخطر الذي تشكله الخلافة العثمانية على تلك الدول، وقد خلص التقرير الذي قدمته اللجنة إلى أهمية العمل على خلق حالة من الضعف، والتمزيق، والانقسام في المنطقة، وإقامة دويلات مصطنعة تابعة لتلك الدول، ومحاربة أي شكل من أشكال التوحد الروحي، أو الثقافي، أو التاريخي بين أبناء المنطقة[(١)].

٢- وعندما احتلت القوات البريطانية مدينة القدس سنة ١٩١٧م بقيادة «اللينبي» وهو أول قائد غربي يدخل المدينة منذ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي، هتف اللينبي معلناً (الآن انتهت الحروب الصليبية)، وعندما اجتاحت القوات الفرنسية مدينة دمشق بعد انتصارها في معركة (ميسلون) عام ١٩٢١م توجه قائد القوات الفرنسية الجنرال «غورو» إلى قبر صلاح الدين الأيوبي قائلاً: (انظر يا صلاح الدين ها قد عدنا)[(٢)].

٣- وقد تمثل الحقد التاريخي كذلك فيما قامت به القوات الصربية في البوسنة والهرسك ومنطقة البلقان في التسعينيات من القرن الميلادي الماضي من الأعمال الإجرامية، والمذابح الجماعية، والتصفية العرقية التي ارتكبها الصرب أمام مرأى ومسمع من العالم بأسره، وأمام الحضارة الأوروبية التي لم تحرك ساكناً رغم

(١) دور بريطانيا في تأسيس دولة اليهود ١٨٤٠م - ١٩٤٨م، عبد الفتاح القويس، شؤون اجتماعية، عدد ٧٥ خريف ٢٠٠٢م، ص ١٥٢.

(٢) نحن والعالم، من أجل تجديد رؤيتنا إلى العالم، زكي الميلاد، الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، ٢٠٠٥م، ص ٩٠.

الشعارات الكاذبة التي ترفعها عن حرية العقيدة، والتعددية العرقية، والدينية!!

كل هذا يدلنا على الإرث التاريخي والبعد الصليبي لهذه الأعمال الوحشية.

٤- ولم تكن فلتة لسان تلك التي أطلقها الرئيس الأمريكي الحالي (جورج بوش) الابن عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر حينما قال: «هي حرب صليبية» رغم محاولته الاعتذار عنها لذرِّ الرماد في العيون، وإنما هي ثقافة متعمقة في أذهان رجال السياسة في العالم الغربي، ويعبر عن الإرث الموجود لديهم.

٥- ولا يزال القس الشهير الأمريكي (فيليب بينهام) يجاهر عبر منابر الإعلام بإطلاق الحملة الصليبية ضد الشر لإنقاذ الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق كشف كذبة اسمها الإسلام، معلناً أن النبي محمد ذبح الملايين منذ ظهوره مطلع القرن السابع[١].

إذاً؛ نحن أمام إرث تاريخي ضخم وظفته الكنيسة ورجال السياسة في الغرب ضد الإسلام، والمسلمين، ولا نستطيع أبداً أن نفصل الواقع عن امتداده التاريخي الذي يُدرّس ويُلقى للأتباع، وتصاغ العقلية الغربية على ضوئه، وتنسج حوله الحكايات، والأساطير الشعبية، وتترنم به الأشعار الدينية، والأناشيد القومية.

٦- ولعل من المفيد أن أنقل هنا بعض ما ذكره علاء بيومي - مدير الشؤون العربية - عن آثار الحرب الصليبية على نفسية الغربيين، ونظرتهم إلى الإسلام إذ يقول: (يوضح ديفيد بلا نكس، ومايكل فراستو في مقدمة كتاب قاما بتحريره عن رؤية الغرب للإسلام في العصور الوسطى - عام ١٩٩٩م - أن جذور رؤية الغرب الكراهية للإسلام والمسلمين تعود إلى القرن الحادي عشر الميلادي الذي شهد بداية الحروب الصليبية، والمراحل الأولى لنشأة اليهودية الغربية الحديثة، ويرى المؤلفان أن

(١) انظر: ظاهرة الإسلاموفوبيا، قراءة تحليلية، خالد سليمان، مرجع سابق.

الإسلام لعب دوراً شبيهاً بنيجاتيف الصورة في تشكيل رؤية الأوروبي المسيحي المثالية لنفسه، إذ عمد الأوروبيون إلى تشويه صورة منافسيهم (المسلمين) بوصفه أسلوباً لتقوية صورتهم الذاتية عن أنفسهم. وفي الكتاب نفسه يرى دانيال فيتكس – وهو أستاذ آداب بجامعة ولاية فلوريدا الأمريكية – أن نظرة الغرب الحديثة إلى الإسلام ولدت في المدة التي كانت علاقة أوروبا بالإسلام فيها علاقة خوف وقلق، مما دفع الأوربيين إلى تعريف الإسلام تعريفا ضيقاً كاريكاتورياً بوصفه ديناً يملؤه العنف والشهوة يقوم على الجهاد العنيف في الحياة الدنيا، والملذات الجنسية الموعودة في الآخرة، كما نظروا إلى الرسول – عليه الصلاة والسلام– على أحسن تقدير على أنه واحد من اثنين، إما قسيس كاثوليكي فشل في الترقي في سلم البابوية فقرر الثورة ضد المسيحية، أو أنه راعي جمال فقير تلقى تعليمه على يد راهب سوري ليشكل ديناً جديداً من قشور العقيدتين المسيحية واليهودية.

وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ [**النحل**: ١٠٣].

ثالثاً: التعصب القومي «روح الاستعلاء»:

ويضاف إلى العداء الديني والحقد التاريخي روح وجوهر التعصب للجنس والقوم الذي تعيشه المجتمعات الغربية في نظرتها إلى الشرق وأهله، فالغرب يرى أن الرجل الأبيض الغربي هو سيد العالم، والمؤهل لحكمه، ووفقاً لهذا المبدأ قامت النعرات الفاشية في أوروبا واشتعلت حروبها القومية، وإذا كانت أوروبا قد تخلت عن التعصب النصراني في لحظة تاريخية فإنها لا تستطيع أن تتحرر من عصبيتها الجنسية مطلقاً، وهو مبدأ متعمق فيهم يقوم على تفضيل الغربي على الشرقي مطلقاً.

ومن هنا يقسمون العالم إلى عالم متحضر وعالم ثالث، وآخر حر، ودول

متقدمة، وأخرى متخلفة، وشعوب متمدنة، وأخرى بربرية.

وقد ساعد على هذه النظرة التحولات السياسية، والصناعية، والتقنية التي شهدها الغرب في القرنين الماضيين، وزاد من هذه الروح الاستعلائية سقوط المعسكر الشرقي الشيوعي أمام الغرب في التنافس الأيديولوجي، والصناعي، والسياسي.

ولم يكن هذا الاستعلاء القومي متوقفاً على المسلمين فحسب، أو الجنس العربي، أو الإفريقي، بل تجاوزه إلى أبناء جلدتهم ودينهم، يقول «زفيسفولود» – المتحدث باسم بطريركية موسكو – في ذكرى مرور ٩٥٠ عاماً على تقسيم الكنيسة المسيحية إلى أرثوذكسية، وكاثوليكية: إن إعادة بناء الوحدة الدينية بين المسيحيين لن يتم إلا بعد أن تغير الكنيسة الكاثوليكية سياستها، وتبتعد عن سياسات الحكومات الغربية، وتعود إلى الإيمان الحقيقي بالله.

ويرى «تشابلين» أن انقسام الكنيسة في الماضي كان قراراً سياسياً وليس دينياً، وأنه جاء نتيجة استعلاء الغرب على الشرق واعتبار الغربيين أنفسهم أسياد العالم، وأصحاب الحضارة، وأن من حقهم استعباد شعوب الشرق الفقيرة، وتعليمها كيف تعيش، وما زالوا يريدون أن يلعبوا هذا الدور، والفاتيكان للأسف يدعمهم ويساعدهم على ذلك[1].

ولقد كان لميراث الإسلام لأملاك روما في الشرق، وزحفه إلى أوروبا عبر بوابتيها الشرقية والغربية، وتقديمه أنموذجاً للحضارة الإنسانية المهتدية بالوحي الإلهي في الأندلس، وعلى ضفتي بحر الدردنيل؛ بالغ الأثر على الأوربيين أنفسهم مما دفعهم إلى تشويه صورة الإسلام، ونبي الإسلام، والتحامل عليه، كما يوجد مثلاً في كتاب: محمد والتعصب «لفولتير» الذي وصف النبي ﷺ بألفاظ غير لائقة بمقام

---

(١) صراع الكنيستين في روسيا، مغازي البدراوي، صحيفة الوقت، عدد ٣٠٧، في ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٦م.

النبوة. والكوميديا الإلهية لدانتي حيث تطاول على شخص الرسول ﷺ وصوره بما لا يليق به، ويزخر كتاب نشره «جورج بوش الجد» عام ١٨٣١م بعنوان (حياة محمد) بالحقد على الإسلام والمسلمين، حيث جاء في الكتاب (ما لم يتم تدمير إمبراطورية المسلمين فلن يتمجد الرب بعودة اليهود إلى وطن آبائهم وأجدادهم)[(١)].

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الروح الاستعلائية في مواطن، منها قوله - تعالى -: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [**المائدة**: ١٨].

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [**آل عمران**: ٧٥].

وقد كان هذا الاستعلاء من أسباب جحود أهل الكتابين لمحمد ﷺ أنه نبي عربي وليس من جنسهم: ﴿ **وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [**البقرة**: ٨٩].

إن الغرب نتيجة لهذا الاستعلاء يريد أن يفرض على الآخر الشرقي بل وشعوب العالم بأسره أنموذجه الحضاري!! على أنه الأكمل، والأرقى، والأسمى لما عرفته البشرية!!

ومن ثم فهو يسعى إلى عولمة قيمه، وفرضها على المجتمعات والشعوب الأخرى بالعصا، أو بالجزرة. فالديمقراطية، وحرية السوق، والحرية الشخصية، والتعددية، وغيرها تعد سيفاً مصلتاً على إرادة الشعوب، وخياراتها المستقلة.

(١) حق التضحية بالآخرة، أمريكا والإبادات الجماعية، منير العكش، بيروت، دار الرياض، الريس للكتاب والنشر، ٢٠٠٢م.

لذلك لا غرابة أن ينظر الغرب إلى الآخر، وبخاصة الدول الإسلامية على أنها محور الشر، كما يحصل ذلك ضد بلدان المسلمين كأفغانستان، والعراق، والصومال، والسودان.

ثانياً: بواعث التطاول على النبي ﷺ الخارجية

وأقصد بها البواعث والأسباب الخارجية التي ساهمت في زيادة إذكاء حملة التطاول والاستهزاء بنبينا محمد ﷺ ولها حضورها البارز في العصر الحديث، ومن بينها:

١- التخوف من الإسلام:

هناك قلق جاد من الزحف الإسلامي السلمي إلى داخل مملكة الصليب المقدسة (أوروبا). ولا شك أنه أحد أسباب ودوافع الحملات المسعورة التي تشن ضد الإسلام والمسلمين، خصوصاً ما ظهر في الآونة الأخيرة في دول شمال أوروبا (السويد، والنرويج، والدانمرك، وفلندا، وإيسلندا)[١]، وبخاصة عندما أصبح الدين الإسلامي يعدّ الديانة الثانية الرسمية في السويد والنرويج وفرنسا وحتى الدانمرك.

وبسبب الطبيعة المناخية الباردة لمنطقة شمال أوروبا فإن سكانها الأصليين قد اضطروا إلى هجرها في أوقات سابقة باتجاه أمريكا ومدن الشمس.

كما أن مفهوم الأسرة في هذه الجغرافيا قد انحسر بحيث ظل الرجل مكتفياً بمبدأ المعاشرة فحسب؛ الأمر الذي أدى إلى حدوث انحسار فظيع في نسبة المواليد في هذه المنطقة، مما جعل الاستراتيجيين يبحثون عن مصدر استيراد للبشر من الدول التي تعيش أزمات حروب أو أزمات سياسية، فتدفق المهاجرون المسلمون إلى هذه البلدان

---

(١) وهي دول كانت تعدّ نفسها دوماً مغايرة ومختلفة عن بقية الدول الأوروبية ذات الإرث الاستعماري والتي احتلت لمئات السنين أجزاء واسعة من العالم الإسلامي، إذ كانت دول شمال أوروبا تعدّ نفسها ناجحة ومتميزة في إقامة نظام سياسي إنساني في كل أبعاده، يؤمن بالإنسان أولاً وأخيراً، وبناء على ذلك سنت قوانين أساسية تنص على «مبدأ حرية التدين» وعدم جواز المساس بأي دين، أو التحامل عليه، بما في ذلك الدين الإسلامي.

طالبين حق اللجوء السياسي، أو الإنساني، أو غير ذلك، وتحصلوا على حق الإقامة الدائمة، بحيث أدى ذلك إلى ارتفاع نسبة المسلمين في هذه البلدان بشكل ملحوظ خلال ثلاثين عاماً.

فقد أصبح عددهم في السويد أكثر من نصف مليون مسلم، وفي النرويج أكثر من ٢٧٠ ألف مسلم، وفي الدانمرك قرابة ٢٠٠ ألف مسلم، وفي فلندا ٥٠ ألف مسلم، وهذا التنامي الإسلامي في هذه المناطق وغيرها جعل كثيراً من المنظمات اليهودية والكنسية تنادي بالخطر المحدق بهذه المجتمعات؛ كجمعية «كلمة الحياة العالمية» و«شهود يهوو»، ومن هنا قامت دراسات واسعة تشير إلى عمق الأزمة الاجتماعية والثقافية والعقدية بعد عشرين سنة، وقد أكد بعض الباحثين الإسرائيليين على أن مستقبل الصهيونية في قلق إذا أصبح «محمد» و«خالد» من صناع القرار في أوروبا في الجيل الثالث المسلم المولود في هذه البلاد، وقد أشار إلى هذا التنامي الأستاذ الدكتور محمد الأحمري في كتابه «ملامح المستقبل» في معرض حديثه عن زيادة عدد المسلمين في الغرب نسبة إلى الغربيين تحت عنوان «المسلمون لا يندمجون» إذ يقول: (في تصفحي لكتاب نهاية التاريخ لمحت موقف الكاتب من المسلمين، فقد اشتكى أنهم يستعصون على الحضارة الغربية، وأنهم يرون أن لهم حضارتهم وموقفهم الذي يخالفها، ومن قبله تحدث تويني عن موقف الحضارة الإسلامية، وأنها من الحضارات الباقية، أو التي سيكون لها دور، ثم مؤرخ آخر مهم وهو كاتب دورات التاريخ الأمريكي «تشالسنيجر» أشار إلى مشكلة الذوبان في المجتمع الأمريكي مشيراً إلى أقليات ستتعصى على الاندماج، ومرّت بضع سنين بعد هذا ليتحدث «هيتجون» مطولاً عن المسلمين الذين ينمو عددهم، ويزيد تعليمهم، ولا يندمجون، وأن دينهم سيصادم العالم أو حضارتهم، وقد كان يروغ حول وصف صراعات الديانات ومواجهاتها القادمة - كما كانت تلوح بين عينيه - ليسمي ذلك بصدام الحضارات

فالغرب صنع منذ زمن طويل عبارات يلف نفسه داخلها هارباً من تاريخه المرير مع نفسه ومع الناس، كتابه يحذر من الحرب الدينية ولكن يفلسف لها)[1].

وبناء على هذه النظرة فإن سرعة انتشار الإسلام في الغرب وتنامي وجوده كان دافعاً رئيسياً في حنق الساسة، وقادة الفكر، والزعماء الدينيين، من هذا الوجود؛ وهو ما دفع الكثير إلى أن يعبروا عن غيظهم بالإساءات إلى القرآن أو الإسلام أو الرسول ﷺ.

أحداث الحادي عشر من سبتمبر:

وهي أحد الأسباب التي جعلتهم يزيدون من تهجمهم ضد الإسلام ونبي الإسلام، إذ بعد هذه الأحداث أصبح الهجوم على الإسلام ونبيه عاماً وعلى مرأى ومسمع من العالم.

وقد كانت حياة المسلمين في منطقة شمال أوروبا طبيعية وعادية حتى جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر في أمريكا فاستطاعت أمريكا أن تحرك اللوجستي في شمال أوروبا للتحذير من خطر المسلمين.

ومن تلك اللحظة وبعد الاستفتاء الشهير الذي أجراه الاتحاد الأوروبي حول الدولة الشريرة في العالم حيث كانت نتيجته أن دولة إسرائيل هي الدولة الشريرة في العالم، وهي الخطر على السلام العالمي بفضل تصويت المواطنين الأوربيين من أصول إسلامية، قامت حملات التشويه للإسلام وللرسول ﷺ حيث أطلق قس سويدي يدعى «لوناردو سوغارد» تصريحاً مفاده (أن محمداً الرسول العربي معقد ومزواج ومحب للفتيات القاصرات)، وتبين أنه تلقى الضوء الأخضر من الكنيسة

---

(١) د. محمد الأحمري، ملامح المستقبل (فصل: إنما العزة للكاثر)، ص ١٩٤.

الإنجيلية بكاليفورنيا - كنيسة المحافظين الجدد - وتزامناً مع ذلك طالبت إذاعة دانمركية محلية بطرد المسلمين جميعاً من الدانمرك، ثم تلاحقت الإساءات في ذلك، من الرسومات، إلى تصريحات الساسة في الدانمرك والنرويج، إلى الإصرار بعدم الاعتذار للمسلمين.

زيادة عدد المساجد وانتشار بيع نسخ القرآن والكتب الإسلامية:

ومن الأمور التي تدعو إلى تخوف الغربيين من الإسلام زيادة أعداد المساجد في دول الغرب، حيث بدأت هذه المساجد تنافس أعداد الكنائس في كل من: باريس، ولندن، ومدريد، وروما، ونيويورك، وقد بلغ عدد المساجد في أمريكا وحدها ما يقرب من ٢٠٠٠ مسجد، وترتفع في بريطانيا نحو ألف مئذنة مسجد، وفي فرنسا وحدها ١٥٥٤ مسجداً ولا تسع المصلين، وفي ألمانيا تقدر عدد المساجد بـ٢٢٠٠ مسجد ومصلى، وفي بلجيكا بنحو ٣٠٠ مسجد ومصلى، وفي هولندا ما يزيد على ٤٠٠ مسجد، وفي إيطاليا ترتفع مئذنة ١٣٠ مسجداً أبرزها مسجد روما الكبير، ومن العجيب أن بعض هذه المساجد كانت كنائس فاشتراها المسلمون وحولوها إلى مساجد بحمد الله.

ويضاف إلى ذلك انتشار بيع نسخ القرآن الكريم، والكتب الإسلامية، فعلى الرغم من الآثار السيئة والواسعة على النشاطات الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلا أنه مع ذلك ازداد في العالم الغربي الإقبالُ على التعرف على الإسلام، وأصبح القرآن الكريم من أكثر الكتب مبيعاً في الأسواق الأمريكية والأوروبية.

تحذيرات الصحف الغربية من انتشار الإسلام:

ونتيجة لهذه المؤشرات التي تدل على نمو سريع للإسلام فإن الإعلام الغربي - بخاصة الصحافة - قد قام بدوره في إطلاق صيحات التحذير وقرع آذان الغربيين صباحاً ومساءً من انتشار واسع لدين الإسلام في معاقل النصرانية، ومن ذلك ما ذكرته صحيفة «التايم الأمريكية»: (وستشرق شمس الإسلام من جديد، ولكنها في هذه المرة تعكس كل حقائق الجغرافيا فهي لا تشرق من المشرق كالعادة وإنما ستشرق في هذه المرة من الغرب. . .).

وأما جريدة «الصانداي تلغراف» البريطانية فقالت في نهاية القرن الماضي: (إن انتشار الإسلام مع نهاية هذا القرن - يعني: الذي مضى- ومطلع القرن الجديد - يعني: الذي نحن فيه - ليس له من سبب مباشر إلا أن سكان العالم غير المسلمين بدؤوا يتطلعون إلى الإسلام وبدؤوا يقرؤون عن الإسلام فعرفوا من خلال اطلاعهم أن الإسلام هو الدين الوحيد الأسمى الذي يمكن أن يُتبع، وهو الدين الوحيد القادر على حل مشاكل كل البشرية).

مجلة «لودينا» الفرنسية قالت - بعد دراسة قام بها متخصصون -: (إن مستقبل نظام العالم سيكون دينياً، وسيسود النظام الإسلامي على الرغم من ضعفه الحالي لأنه الدين الوحيد الذي يمتلك قوة شمولية هائلة).

وفي عام ٢٠٠١ نشرت صحيفة «نيويورك تايمز» مقالاً، ذكرت فيه أن بعض الخبراء الأمريكيين يقدرون عدد الأمريكيين الذين يعتنقون الإسلام سنوياً بـ ٢٥ ألف شخص، وأن عدد الذين يدخلون في الإسلام تضاعف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أربع مرات حسب تقديرات بعض الأوساط الدينية.

والعجيب أن هذا الإقبال على الإسلام يحدث بالرغم من ملاحظة أمور مهمة:

أولاً: أن الأوضاع الراهنة ليست في مصلحة الإسلام والمسلمين، إذ التخلف والأوضاع السيئة في بلاد المسلمين قد تعطي نظرة سلبية عن المسلمين.

ثانياً: الجهود الضخمة التي يبذلها النصارى في سبيل نشر الديانة النصرانية.

ثالثاً: خنق العمل الخيري والتضييق على الأنشطة الإسلامية.

رابعاً: استغلال ضعف المسلمين، وفقرهم، وقلة العلم بينهم، وغير ذلك، ليشوشوا على المسلمين وليلبسوا عليهم دينهم.

خامساً: ارتباط أهل النفاق في العالم الإسلامي بأعداء الإسلام والمسلمين، وتقديمهم الدعم والمساندة فيما يطلبون.

سادساً: إبراز وإظهار شخصيات المتهجمين على الرسول ﷺ.

وخلاصة الأمر أن الخوف والقلق من الإسلام القادم قد أصبح ظاهرة في لغة السياسة والإعلام الغربيين، وهو ما يعرف اليوم بظاهرة «الإسلاموفوبيا» وهو مصطلح يعني الخوف من الإسلام، وقد ظهر بشكل كبير بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وهو يشير إلى أزمة الثقة بالإسلام عقيدة وسلوكاً.

والجدول التالي يرصد عدد مرات ظهور المصطلح في أكثر الجرائد الإنجليزية شهرة ونفوذاً اعتماداً على دائرة البحث الإلكترونية الأمريكية «lixis nexis»[(١)]:

(١) الإسلاموفوبيا وحقوق الإنسان، هيثم مناع، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية، في ٢/ ٢/ ٢٠٠٧م، بتصرف.

العام / الصحيفة	٢٠٠٦م	٢٠٠٥م	٢٠٠٤م	٢٠٠٣م	٢٠٠٢م	٢٠٠١م
تايمز (بريطانية)	٩٢	٤٤	٢٣	١٣	١٢	١٢
غارديان (بريطانية)	٣٨	٤٤	٥٠	٢٠	٢٩	١٤
إندبندنت (بريطانية)	٣٠	٤٢	٣٧	١١	١٥	٢٢
تورنتوستار (كندية)	٣٨	١٨	١١	١	٣	٣
نيويورك تايمز (أمريكية)	١٠	٤	٧	٣	٢	٢
واشنطن بوست (أمريكية)	٥	٥	٢	٢	٣	٢

المواقف السياسية:

ومن أهم وأخطر بواعث التطاول على الرسول ﷺ مساندة الحكومات للشعوب الغربية على هذا التطاول، فحينما احتج المسلمون في الدانمرك - البالغ عددهم ٢٠٠ ألف مسلم والذي يمثل دينهم الثاني بعد الديانة البروتستانتية - وقدموا مذكرة إلى الحكومة الدانمركية رفضت قبول المذكرة، وأصرت على توفير غطاء قانوني تحت مبرر «حرية التعبير»، ورفض المدعي العام رفع دعوى قضائية ضد الصحيفة بتهمة انتهاك مشاعر أكثر من مليار مسلم في العالم، وقال: إن القانون الذي يستخدم لتوجيه تهم بسب انتهاك حرمة الأديان لا يمكن استخدامه ضد الصحيفة.

وقد صرحت «مارجريت الثانية» ملكة الدانمرك أن الإسلام يمثل أعلى تهديد على المستويين العالمي والمحلي، وحثت حكومتها على عدم إظهار التسامح تجاه الأقلية المسلمة، وقد تابع رئيس وزراء السويد ما فعله رئيس وزراء الدانمرك، فصرح بأنه لا يستطيع أن يقمع الحريات، ولا أن يعتذر عما فعله غيره، كما أن الصحيفة السويدية قالت كأختها الدانمركية من قبل: لن يسمع منا المسلمون أي اعتذار.

وبريطانيا مثلاً قد ناصرت سلمان رشدي المرتد مؤلف آيات شيطانية؛ حيث أعطته دار «فايكنج وينجوين» ثمانمائة ألف دولار مقابل كتابه، وحمته بحجة حرية النشر، وقام كلينتون باستقبال سلمان رشدي في البيت الأبيض مستفزاً لمشاعر المسلمين ومتحدياً لجميعهم.

ولما قامت المرتدة هرسي - وهي نائبة هولندية من أصل صومالي - بسبِّ الرسول ﷺ استضافها حزب الشعب السويدي الداعم للكيان الصهيوني، وكذلك استضافتها الحكومة الدانمركية، واستقبلها رئيس الحكومة، وقلدها وساماً رفيعاً أعرب فيه عن إعجابه لجرأتها وآرائها نحو الإسلام.

والشواهد على ذلك كثيرة جداً، وإنما الغرض من هذا الإشارة إلى أن من أهم الأسباب والدوافع لجرأة التطاول على نبينا محمد ﷺ هو الدعم والمساندة السياسية من قبل الأنظمة الأوروبية.

وأما ما يزعمونه من دعاوى الحرية فإن تطبيقهم لهذا القانون إنما يكون في غير ما يتفق عليه ملؤهم وذوو أمرهم، وقد ظهر زيف هذا الشعار عندما أعلنوا سيف قانون السامية ضد كل من يشكك في محرقة الهلوكست اليهودية، كما حوكم جارودي في فرنسا والمؤرخ إرفنيق البريطاني في النمسا.

والظاهر أن من دوافع السياسيين لدعم هذا التطاول جملة أسباب، منها:

- البواعث العقدية والدينية كما سبق.

- وقد يكون من دوافعهم قياس مدى ردود الأفعال عند المسلمين فيما إذا انتهكت مقدساتهم، ربما ليقدموا على خطوة أخرى من هذا القبيل، أو أسوأ، وهذا ما يفسر بعض الكلمات الاستفزازية التي يطلقهم قساوسة أو ساسة، كتلك الكلمة التي أطلقها قسيس حاقد في حق نبينا محمد ﷺ ووصفه بأنه رسول القتل، والشرير وأنه زير نساء

- قاتلهم الله أنى يؤفكون - ثم يتبعه بيرلسكون رئيس إيطاليا باتهام الإسلام علانية بأنه دين عنف، وكذلك ملكة الدانمرك وصفت الإسلام بأنه دين دموي، وينبغي أن يوقف في وجهه، وكذلك تصريحات وزير الداخلية الفرنسي التي أججت العنف أكثر بين أبناء الجيل الثاني من المسلمين.

- ومنها تحريض الرأي العام وتوجيهه نحو عدو مشترك وصرفه عن الاهتمامات الخاصة والداخلية المتعلقة بالعجز الاقتصادي.

- ومنها الحصول على أكبر قدر من أصوات الناخبين وكسبهم في معركة انتخابية وحزبية.

- الابتزاز للثروة والضغط على الساسة المحليين.

- صرف الأنظار عن فشل سياسي وعسكري في المنطقة، وإشغال الرأي العام بمعارك جانبية.

- الحرص على الجمع القومي، وإيجاد حواجز تحول دون النشاطات الإسلامية في الغرب.

- الحرص على كسب دعم اللوبي المتنفذ في الدوائر السياسية الغربية.

- الحرص على كسب شخصيات جديدة من معسكر النفاق والردة.

- إشغال المسلمين دائماً بمعارك وردود الأفعال وصرفهم عن العمل والإنتاج.

- جر المسلمين إلى معارك شاملة ليسوا مستعدين لها وإقحامهم في ردود أفعال غير مدروسة لتحجيمهم ووَأْد أنشطتهم.

- الرغبة في إسقاط الرموز الدينية التي تتمتع بتعظيم الأتباع والشعوب.

- فتح المجال لمجاميع الردة والنفاق وتشجيعهم على ذلك.

- الحرص على إيجاد البلبلة في الصف الإسلامي حول علاج هذه المسألة.

- إيجاد الحيلولة المبكرة دون وصول المسلمين إلى مواقع النفوذ والقرار في المؤسسات الأوروبية بوصفه نوعاً من الضربة الوقائية.

دوافع اقتصادية:

وهذه الدوافع قد تكون أبرز في تيارات النفاق والردة التي يحرص أهلها على كسب رضا الغرب بالإساءة إلى دينهم كأمثال سلمان رشدي الهندي وغيره من الذين يحرصون على الجوائز والامتيازات.

أو بعض الساسة الذين يحرصون على الدعم المالي من شركات اللوبي الصهيوني، أو الكنائس التبشيرية في المجتمعات الأوروبية، لدعم سياساتهم وأنشطتهم الانتخابية، ولكي تدر عليهم الهبات، والأعطيات، لمضاعفة أنشطتهم، أو المؤسسات الإعلامية الكاسدة التي ترى في هذه الإساءة رواجاً لصحفها على قاعدة (خالف تُعرف).

أو الزعماء السياسيون الذين يحتاجون إلى الثروة لدعم أنشطتهم الانتخابية، أو القنوات الإعلامية الفاشلة، التي لم تجد ما تستر به سؤتها من الإنتاج الإعلامي سوى السب والتهم.

الجهاد في سبيل الله:

ولا ريب أن الغرب كذلك يدرك مدى ما تنطوي عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، من الحث والترغيب في فريضة الجهاد في سبيل الله، سواء من خلال الدراسات النظرية التي تقدمها مراكز البحوث المختلفة عن الإسلام، والجهاد، إضافة إلى الأعمال الاستشهادية، وصور المقاومة المختلفة، يستوي في ذلك منها

ما كان مشروعاً، أو غير مشروع، حيث يلقي المفكرون الغربيون في ذلك باللائمة على نبينا محمد ﷺ وأنه جاء بالعنف والجهاد، ولا يخفون ذلك، كما جاء في المحاورة التي استشهد بها البابا من كلام الإمبراطور البيزنطي الأرثوذكسي (إيمانويل الثاني) في القرن الرابع عشر الميلادي في محاورته لرجل مسلم: فقط أرني ما أتى به محمد وجاء جديداً عنده ستجد فقط ما هو شرير ولا إنساني كأمره الذي نادى به بالسيف. ولم تكن هذه زلة لسان من البابا، بدليل إردافه وتأييده لهذه الكلمة عندما أشار إلى الآية ٢٥٦ من سورة البقرة وهي قوله - تعالى -: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٦]، حيث قال: هذه الآية نزلت عندما كان محمد لا يزال لا قوة له وتحت التهديد.

التنافس الحضاري:

لقد جاء النبي محمد ﷺ بنظام سياسي وفكري متكامل، ينازع الغرب في المسلّمات الأساسية، وكذلك في طرق التنظيم والإدارة، وسياسة المجتمعات، وأخيراً في نمط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع، وبين المجتمعات المختلفة، وإنه ببساطة نظام متكامل موازٍ للنظام الغربي ولا يلتقي معه وإنما يقدم بديلاً قوياً وخطيراً له (هذا ما يدفع بالغرب لمقاومة المد الإسلامي وهو ذاته محور الحملة الاستعمارية للولايات المتحدة الأمريكية والتي أعلن بوش صراحة في وصف من تقاتلهم بأنهم يريدون إعادة ترتيب هيكلة العالم وإقامة خلافة إسلامية)[١].

٢- التصور الخاطئ:

من الدوافع المهمة في التطاول على نبي الإسلام محمد ﷺ وجود التصور الخاطئ، والفهم المغلوط المضلل عن الإسلام ونبي الإسلام، حيث ارتسمت في أذهان جمهور

---

(١) د. باسم خفاجي: الأصول الفكرية لعلاقة الغرب مع تيار الإسلام.

الغربيين وغيرهم من المجتمعات الكافرة صورة كريهة عن الإسلام والمسلمين.

ونحن نعلم من خلال القرآن الكريم أن هناك مضلِّلين هم الأحبار والرهبان من الذين أوتوا الكتاب والذين يعرفون النبي الكريم كما يعرفون أبناءهم، يقول - تعالى -: ﴿**الَّذينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [**البقرة**: ١٤٦]، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [**البقرة**: ٨٩]، وقال: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ [**الأعراف**: ١٥٧]. فهذا الصنف من الزعماء الدينيين والباباوات لا ريب أنهم تولوا كبر الإساءات إلى الإسلام ونبي الإسلام، وهم المعبَّر عنهم في القرآن الكريم بـ(فريق، طائفة، أو الأحبار والرهبان).

إذ عمد هؤلاء إلى تشويه صورة النبي ﷺ فاتحين الباب على مصراعيه لدهمائهم لعدة أسباب، منها:

الحسد:

كما قال - تعالى -: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾ [**البقرة**: ١٠٩].

حب المال والجاه:

كما قال - تعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً**﴾ [**البقرة**: ١٧٤].

كما أن هناك المضلَّلين وهم الدهماء والرعاع الذين لا يعرفون عن الإسلام إلا الصورة القاتمة التي ارتسمت في أذهانهم بما يتلفقونه من مثقفيهم وساستهم عبر وسائل الإعلام المختلفة.

وقد ساعد على الإساءة إلى الإسلام ونبي الإسلام ﷺ عدة عوامل أشير إلى أهمها:

١- الدراسات الاستشراقية:

التي ظلت وما زالت تسعى لإعطاء صورة مظلمة عن الإسلام، حيث يذهب القليل من إنتاج المستشرقين - وهو كثير- إلى صانعي السياسة والقرار في الغرب. بينما يذهب الكثير من إنتاجهم إلى الرأي العام عن طريق أجهزة متطورة للإعلام والدعاية ليؤكد صوراً نمطية للإسلام أو يشوهها[١].

ويرى إدوارد سعيد في سلسلة من مؤلفاته على رأسها: الاستشراق ١٩٧٨م؛ أن معرفة الغرب للإسلام في هذه المرحلة كانت بغرض السيطرة عليه وليس فهمه، وأن عملية المعرفة هذه تمت بشكل منظم نسبياً تعاونت فيه مؤسسات الفكر والمعرفة الأوروبية تعاوناً وثيقاً مع مؤسسات الاستعمار الرسمية لمدِّها بالمعرفة اللازمة للسيطرة على المجتمعات المستعمرة.

وخلال هذه المرحلة نظر الغرب إلى الشرق بما في ذلك العالم الإسلامي بأسلوب أصبح نموذجاً يُدرس عن التشويه المتعمد الذي يمكن أن تقوِّم به حضارة ما صورة حضارة أخرى، وهو يقوم على:

---

(١) حوار الحضارات: السياسي أولاً، جميل مطر، المستقبل العربي، العدد ٣٢٥، مارس ٢٠٠٦م، ص ٥٧.

أولاً: النظر إلى الشرقي أو المسلم على أنه الآخر المستقل تماماً عن الـ (أنا) أو الذات الأوروبية.

ثانياً: تنظيم علاقة الأوروبي من خلال سلسلة من الثنائيات الفكرية، يضع فيه الآخر في مقابل الـ (أنا) الأوروبي، وعلى سبيل المثال: تم النظر إلى الشرقي على أنه متخلف وحشي، في مقابل الغربي المتقدم المتحضر، كما نظر الغربي إلى الشرقي على أنه جاهل فقير، في مقابل الغربي المتعلم الثري، كما رأى الغربي أنه الأبيض القوي، في مقابل الداكن الضعيف وهكذا.

٢ - المناهج التعليمية:

المناهج التعليمية في العالم الغربي ما تزال مثقلة بكمٍّ هائل من التضليل المغلوط عن الإسلام، وهي نتاج يعود أغلبه إلى الدراسات الاستشراقية.

٣- اللوبي اليهودي:

حيث لعب دوراً خطيراً بفضل إمكاناته الاقتصادية والإعلامية، إذ استطاع أن يعطي للرأي العام الغربي صورة مشوهة عن الإسلام ونبيه محمد ﷺ، كما استطاع أن يصوّر دولة «اليهود» بأنها دولة حضارية وديمقراطية ضعيفة يهدد العرب والمسلمون أمنها ووجودها.

وقد أشار عضو مجلس النواب الأمريكي السابق «بول فندلي» - الذي خبر العالم الإسلامي عن قرب - إلى دور اللوبي اليهودي في إعطاء صورة سيئة عن المسلمين، والذي أخذ على عاتقه أن يسعى إلى كسر حاجز الجهل الغربي بالإسلام، والعمل على تصحيح المفاهيم والصور النمطية الخاطئة المتصلة بهم، ودحض الأضاليل التي تستوطن أذهان الغربيين، وبخاصة المجتمع الأمريكي، مضيفاً إلى ذلك من أسباب التضليل:

١-الاقتصار على الحديث عن الأخلاق اليهودية والمسيحية في المجتمع الأمريكي، بوصفها الأخلاق العالية المقبولة، الجديرة بالاتباع، مع تجنب الإشارة إلى الأخلاق الإسلامية، وتصويرها بشكل منفر في حال الحديث عنها، بحيث غدت اليهودية والمسيحية في نظر الأمريكي أنموذجاً للتقدم، والحضارة، والأخلاق، وأصبح الإسلام تعبيراً عن القوة المتخلفة والخطرة.

٢- وسم الإسلام بالإرهاب، والتعصب، واحتقار المرأة، والافتقار إلى التسامح مع غير المسلمين، ورفض الديمقراطية، وعبادة إله غريب وانتقامي[١].

٣- تخوف الغربيين من خطر إسلامي متصاعد وخشيتهم من الحرب الإسلامية الغربية القادمة.

٤-تركيز وسائل الإعلام الغربية على تصوير الحركات الإسلامية وبخاصة حركات المقاومة على أنها حركات إرهابية لا تحترم الديمقراطية وحقوق الإنسان.

وما ذكره (فندلي) شاهد على طبيعة الصورة الخاطئة لدى عامة المجتمعات الغربية عن الإسلام.

٤- أسباب أخرى:

وهناك أسباب أخرى ساهمت في إعطاء صورة مضللة عن الإسلام والمسلمين، لا بأس من الإشارة إليها بإيجاز:

- الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين السيئ سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعلمياً.

---

(١) بول فندلي: لا سكوت بعد اليوم، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ٢٠٠١م، نقلاً عن مقال منشور في الموقع الإلكتروني: ثمرات المطابع، على الرابط التالي:
http://www.thamrrat.com/Tourpage3.htm

- الخلط بين الإسلام وبين أخطاء بعض المنتسبين إليه سواء من كان منهم في جهة الغلو والتشديد، أو الذين هم في جهة الانحلال والتفريط، ومن ثمَّ يتم تحميل الإسلام جرائر هذين النموذجين.

- مساهمة بعض المرتدين والمنافقين من أبناء الإسلام في تشويه صورة الإسلام وشريعته ونبيه ﷺ كما حصل ذلك من جملة، ومنهم:

سلمان رشدي - هندي الأصل - مؤلف كتاب (آيات شيطانية) وروايات أخرى، منها (أبناء منتصف الليل) وتشاليمار (أو المهرج) الذي عدَّ الإسلام الخطر الأكبر، الذي يهدد الحضارة الغربية، وصوّر فيها بطل القصة المسلم على أنه إرهابي، لا همَّ له سوى إرغام الناس على بناء المساجد، وإخفاء النساء تحت البراقع. وقد حصل على العديد من الجوائز في الغرب؛ من ذلك: «جائزة بوكر» و«جائزة ويترد» لأفضل رواية و«جائزة أفضل روائي ألماني للعام» و«جائزة أرستون» من الاتحاد الأوروبي و«جائزة بودابست الكبرى للأدب» و«بريمومنتافا» و «جائزة الدولة النمساوية للأدب الأوروبي»، ومؤخراً وليس آخر منحته ملكة بريطانيا «وسام فارس» تكريماً له، بناء على اقتراح من الحكومة البريطانية وقد ترجمت مؤلفاته إلى أكثر من أربعين لغة.

تسليمة نسرين وهي طبيبة من بنغلاديش تحولت لاحقاً إلى كاتبة وروائية وقد حكمت عليها محكمة بنغلاديش بالسجن بسبب تهجمها على الإسلام، وإساءتها لمشاعر المسلمين في روايتها «لاجا» أو العار. وقد صدرت فتاوى بردّتها وهُددت بالقتل بعد أن دعت إلى إعادة النظر في القرآن الكريم لأجل إعطاء المسلمة المزيد من الحقوق وهي منذ ذلك الحين تتردد على فرنسا والسويد بشكل أخص وتقيم حالياً في الهند[1].

---

(١) صحيفة الرياض، عدد ١٢٥٣٦، تاريخ ١١/ ٨/ ١٤٢٣هـ، وعدد ١٣٣٩٥، تاريخ ١٩/ ١/ ١٤٢٦هـ.

أيان هيرسي علي: وهي صومالية الأصل، وكانت عضواً في الحزب الليبرالي (v.v.d)، وألَّفت قصة فيلم (الاستسلام)، الذي تسبب في اغتيال ثيوفان جوخ على يد أحد المسلمين في نوفمبر ٢٠٠٤م وقد كانت تعيش تحت حماية الشرطة.

سهلة شفيق كاتبة وروائية إيرانية الأصل، منفية إلى فرنسا وهي مؤلفة كتاب «الرجل الإسلاموي الجديد في السجن السياسي» في إيران عام ٢٠٠٢م.

إحسان جامي مؤسس ما أسماه «المسلمين السابقين».

ابن وراق وقد اشتهر بكتبه «لماذا لست مسلماً» و«الخروج من الإسلام» و«المرتدون يتحدثون» و «أصول القرآن»، وهو يعمل حالياً باحثاً في معهد نيويورك لإعداد بحث فلسفي وتاريخي حول أصول الإسلام وكتابه المقدس.

إرشاد منجي وهي هندية الأصل من مواليد أوغندا، هربت مع عائلتها المسلمة الأصل إلى كندا، وهي زميلة جامعة بال ومؤلفة كتاب «مشكلة الإسلام اليوم» و «مسلمة تنادي بإصلاح دينها».

مهدي مظفر وهو أستاذ جامعي من أصل إيراني يعيش منفياً في الدانمرك كتب عدة مقالات عن الإسلام والإسلاموية ومنها «السلطة في الإسلام من محمد إلى الخميني»[(١)].

إلى غير ذلك من الموصوفين بالأدباء الحداثين والمستنيرين!! وهم في حقيقة أمرهم إما مرتدين أو زنادقة منافقين يبحثون عن الشهرة والمال أو ابتلاهم الله بكراهية الإسلام وأهله، عافانا الله من ذلك ولطف بنا.

ويضاف إلى أسباب التصور المنحرف والخاطئ عن الإسلام أمور أخرى، منها:

---

(١) انظر: موقع إسلامي ديلي.

١- تقصير المسلمين بعامة والدعاة بخاصة في تبليغ الإسلام كما أراده الله ورسوله ﷺ.

٢- الغفلة عن وظيفة الدولة الإسلامية في جانب الإرسال والتمثيل الدبلوماسي.

٣- ضعف الأهلية لدى الإعلاميين في الشعوب الإسلامية، والتقصير الشديد في تبليغ محاسن الإسلام.

٤- ضعف الدول والشعوب الإسلامية عن القيام بواجبها نحو دينها.

٥- الخلط في المعاني والمصطلحات العقدية والفكرية: كمصطلح الحريات، ومصطلح النظرة إلى الآخر، ومصطلح الأنانية، ومصطلح الموازنة بين المصالح والمفاسد.

وكذا المصطلحات السياسية: كوظيفة الدولة، ووظيفة الحاكم، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، والعلاقة بين الدولة والفرد، وواجبات الدولة نحو الرعية، والشورى.

والمصطلحات الاجتماعية: كغياب الحدود، والحقوق العامة، والحقوق الخاصة.

وأخيراً: المصطلحات الأخلاقية: كالصدق، والحياء، والعدالة والمساواة، والاحترام المتبادل.

كل هذه المعاني قد أدى ضعفها أو غيابها إلى تكوين صورة منفرة عن المسلمين.

ثالثاً: الخاتمة والتوصيات

❖ لا تزال قضية البواعث بحاجة إلى مزيد من البحث والتوثيق، بحيث نستطيع أن ننزل كل باعث على فئته لكي تتم معالجة كل فريق من المتطاولين بحسب الباعث أو البواعث المتعددة لديهم.

❖ يجب الاهتمام بتلك الفئات التي لا تزال تجهل نبي الإسلام محمد ﷺ.

❖ إيجاد وسائل متعددة لإيصال الصورة الناصعة عن الإسلام وأهله إلى مسامعهم، ومن ذلك: التأكيد على وجود أكثر من فضائية وبأكثر من لغة تخاطب تلك المجتمعات إضافة إلى ذلك طباعة الكتب المفيدة في الموضوع بلغات متعددة.

❖ اقتراح أن يكون هناك سعي وضغط شعبي لحمل الحكومات في العالم الإسلامي على تحديد مواقف رسمية من كل دولة يثبت وقوفها إلى جانب المسيئين لنبينا محمد ﷺ، ويمكن ذلك بالبيانات الصادرة من العلماء، والنقابات المختلفة، والجماعات.

❖ الاهتمام بالمنصفين من الغربيين، واقتراح أن يكون هناك برامج للتواصل معهم وتشجيعهم ودعوتهم إلى مؤتمرات، أو لقاءات، أو استضافات رسمية، إن أمكن بوصفها مكافأة لهم على إنصافهم.

❖ الوقوف مع مسلمي الغرب في محنتهم هذه على وجه الخصوص.

❖ استمرار هذا المؤتمر وأن يستضاف فيه بعض المنصفين من الغربيين إن أمكن.

❖ إيجاد مراكز بحوث ودراسات ووسائل إعلام يكون من أهم أولوياتها:

- التعريف بالإسلام - كما أراده الله ورسوله - لدى الغرب.

- إبراز التطرف الديني في الغرب وإفرازاته السيئة.

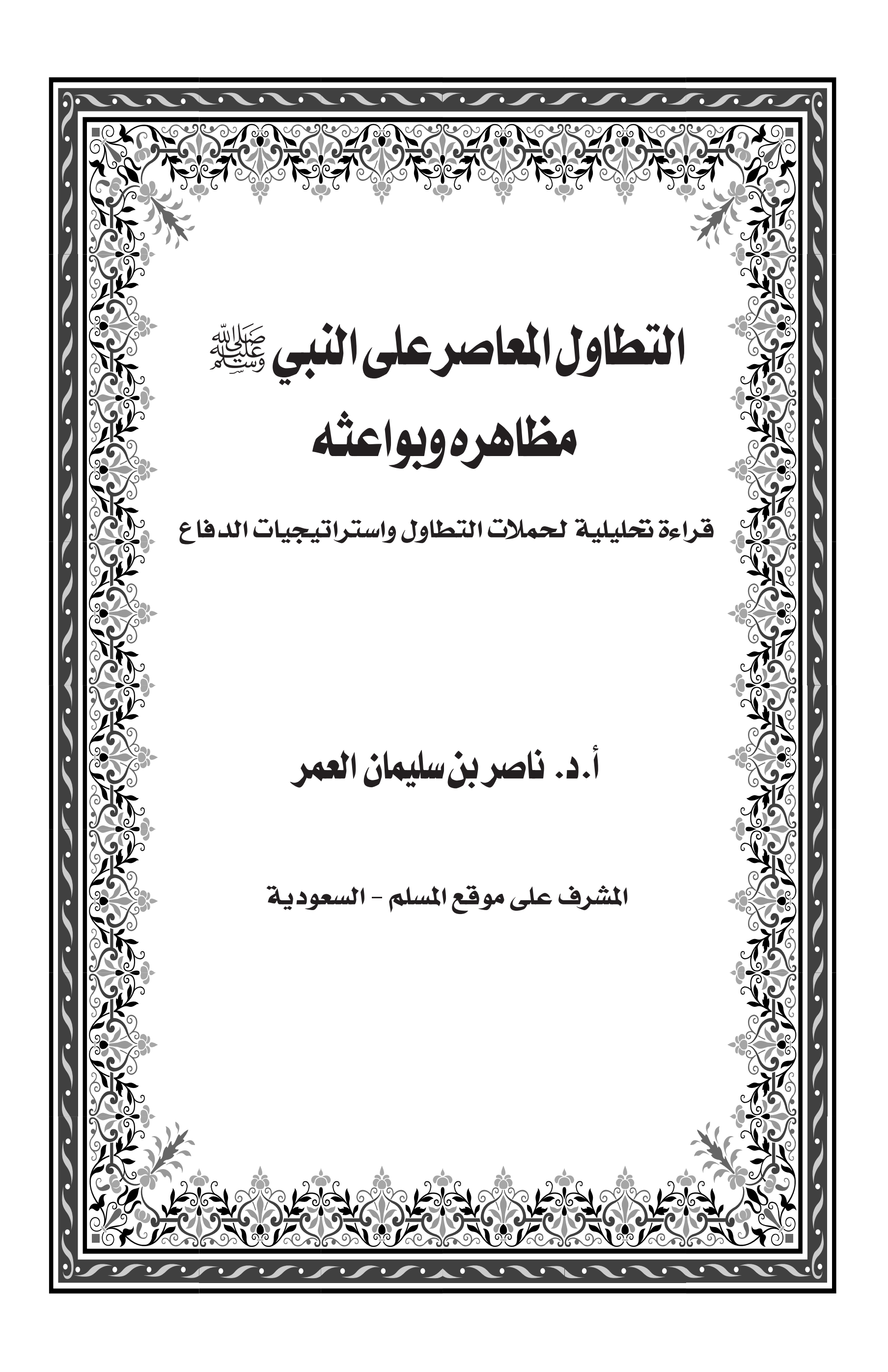
- تحذير المجتمعات الغربية من خطر اللوبي الصهيوني عليهم وعلى الإنسانية.

- إبراز تاريخ الصليبيين الأسود وما قاموا به من مجازر في حق المسلمين.

- إبراز محاسن الحضارة الإسلامية على الإنسانية عموماً وعلى الأوروبيين خصوصاً.

- التفريق بين الإسلام بوصفه ديناً وبين واقع المسلمين اليوم.

نسأل الله أن يوفق المسلمين لما فيه الخير والنجاح، وأن يعينهم على نصرة الإسلام ونبي الإسلام محمد ﷺ، والحمد لله أولاً وأخيراً.



التطاول المعاصر على النبي ﷺ مظاهره وبواعثه

قراءة تحليلية لحملات التطاول واستراتيجيات الدفاع

أ.د. ناصر بن سليمان العمر

المشرف على موقع المسلم - السعودية

■ **مدخل:**

إن من سنة الله - تعالى - التدافع بين الخير والشر وأهل الإيمان والكفر، ﴿ **وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ [**الحج**: ٤٠].

فالله - تعالى - يدفع شر الكفار والفجار بالحق وأهله، ويكون ذلك ببذل الأسباب الحسية والمعنوية؛ كإعداد القوة، ورباط الخيل، وكالدعاء وأعمال البر، وغير ذلك مما يدفع البلاء.

وهذا التدافع بين الحق والباطل قَدَرٌ كوني لازم، ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، وليمحص الذين آمنوا ويصطفي منهم من شاء، وليهلك من هلك عن بينة.

ولما كانت الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - رأس دعاة البشرية إلى الحق والخير، لم يكن بد من معارضة أهل الباطل وأذاهم لهم، ولهذا كان أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

ففي صحيح ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أنه قال: يا رسول الله! من أشد الناس بلاء؟ قال: «الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى العبد على حسب دينه»[1].

والبلاء النازل بالناس أنواع، من جملته البلاء الذي يصيب أهل الحق من أهل الباطل، وقد نال الأنبياء من ذلك البلاء الوافر، وقد أخبر الله - تعالى - في القرآن عن قتل الأنبياء ولا سيما من قِبل أعداء الله من بني إسرائيل. قال

---

(١) صحيح ابن حبان (٢٩٠٠)، (٢٩٢١)، والحاكم (١٢١)، (٥٤٦٣).

الله - تعالى -: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [**النساء**: ١٥٥].

وهذا الإنسان إذا بلغ به الكبر وتجاوز القدر حداً يخرج معه إلى إيذاء الله بقوله: كيف يعجب من إيذائه رسله وأولياءه؟ وتأمل الجرأة واعجب من قول عَبيد الله الذين خلقهم ودبّر أمرهم ورزقهم من الطيبات، وأنزل عليهم من بركات الأرض والسماء: ﴿**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [**آل عمران**: ١٨١]، فهل من دواعي العَجَب بعد ذلك أذى أمثالهم للأنبياء؟ قال الله - تعالى -: ﴿**سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ**﴾ [**آل عمران**: ١٨١]، فلا عجب والله في أن يصدر من أمثال هؤلاء أذى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ**﴾ [**الأنعام**: ١١٢ - ١١٣].

لكن العجب أن لا ينتصر أهل الحق لرُسُل الله، والله - تعالى - يقول: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [**الحديد**: ٢٥].

فيا عبد الله! أين رائحة الإيمان منك وأنت لا يتغير وجهك من مسِّ رسولك ﷺ ولا يتمعر؟ تلك والله غاية برد القلب وسكون النفس، وما كان ذلك في قلب قط فيه شيء من إيمان، وذلك والله هو الخذلان: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [**الحج**: ٤٠]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [**محمد**: ٧ - ٨].

فنسأل الله أن يثبت أقدامنا وأن ينصرنا بنصْرِنا رسلَه.

■ مظاهر التطاول القديم:

ذكر في المدخل أن العداء قديم بدأه إبليس، فقال الله - تعالى -: ﴿ **فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى** ﴾ [طه: ١١٧]، ثم تتابع الأبالسة عليه وتواصوا به، ونجَمَ عنه التطاول والأذى بأنواعه على عباد الله الصالحين؛ ابتداءً من الغمز واللمز والتعريض بالكلام، وانتهاءً بالقتل، وكل ذلك نال أنبياء الله، فأصابتهم من العِدا الآفات والآلام، ولحقهم منهم الغضب والضجر، ونالهم بسببهم الإعياء والتعب، وقد أصاب نبِيَّنَا من ذلك ما أصابه، قالوا: ساحر، كاهن، مجنون، صابئ، وألقوا سلى الجزور على عاتقه، وشجَّه الكفار وكسروا رباعيته، وسقي السم وسُحِر، ثم قضى نحبه فتوفي ﷺ ولحق بالرفيق الأعلى، فتخلص شهيداً من دار الامتحان والبلوى. ففي صحيح البخاري قالت عائشة - رضي الله عنها -: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبْهَرِي من ذلك السم»[1].

قال القاضي عياض: «وأصاب غيره من الأنبياء ما هو أعظم منه؛ فقُتلوا قتلاً، ورُموا في النار، ونُشروا بالمياشير، ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الأوقات، ومنهم من عصمه كما عُصِم بَعْدُ نبيُّنَا من الناس. فلئن لم يَكْفِ نبيَّنَا ربُّه يد ابن قَمِيْئَةَ يوم أُحد، ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته أهل الطائف؛ فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى ثور، وأمسك عنه سيف غَوْرَثِ، وحَجر أبي جهل، وفرس سُراقة. . ، وهكذا سائر أنبيائه مبتلى ومعافى، وذلك من تمام حكمته سبحانه؛ ليظهر

(١) صحيح البخاري (٤١٦٥).

شرَفهم في هذه المقامات، ويبيِّن أمرهم، ويتم كلمته فيهم، وليحقق بامتحانهم بشَرِيَّتهم، ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم؛ لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضُلال النصارى بعيسى ابن مريم، وليكون في مِحَنِهم تسلية لأممهم، وفور لأجورهم عند ربهم، تماماً على الذي أحسن إليهم»[1].

وهذا يبين طرفاً من العداء القديم وحكمته، وبعض ضروب تطاول الأقزام على الغُرِّ الجَحَاجِحة العظام، ﴿**وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [**البروج**: ٨]، وهذا التقرير جواب السؤال المأمور بطرحه في المائدة: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [**المائدة**: ٥٩]، وقديماً قال سحرة فرعون لفرعون: ﴿**وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ [**الأعراف**: ١٢٦]، فالسنة التي ركبها هؤلاء الذين نبغوا في دبر الزمان قديمة.

▪ التطاول المعاصر:

وأما المعاصرون فقد جروا على سَنَن أسلافهم السابقين، من أئمة الكفر الملاعين: ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ [**الذاريات**: ٥٣].

غير أن هؤلاء فاتهم النيل من نبينا ﷺ في ذاته وشخصه، لكن نفوسهم الخبيثة أبت إلاّ تسخير ما أنتجه العصر في التطاول عليه وسبِّه، فأحدثوا وسائل وأساليب جديدة للطعن لم يعرفها الشيطان ولم يُمْلِها على من سبقهم، فجمعوا بها - كما جمع أسلافهم - بين نوعي التطاول والأذى: بالقول، وبالفعل.

أما التطاول بالقول فهو واحد، تتفنن العبارات، وتختلف اللغات، والمضمون

---

(١) الشفا: ٢/ ١٥٨.

هو المضمون.

وأما التطاول بالفعل فربما وقع من الأولين شيء منه فآذاه حساً، كما في وَضْعِ سلى الجزور، وكذا الشوك والقاذورات، وكما في الحرب والجرح والشج والسمِّ، ونحو ذلك من أصناف الأذى الحسي الذي لحق ذاته الشريفة ﷺ.

وقد فات هذا ونحوُه هؤلاء المتأخرين بموته ﷺ ولحوقه بالرفيق الأعلى، وتخلُّصه من دار الامتحان والبلوى، غير أنهم أبوا إلاّ أن يضربوا في عار الفعل بسهم، فسخّروا أقلامهم للطعن والتطاول بالرسم ونحوه مما لم يكن معروفاً عند أسلافهم.

والتطاول المعاصر كالتطاول القديم:

- إما أن يصدر من كفار أصليين، كاليهود والنصارى الحاقدين، كما حصل من ابن الأشرف اليهودي، وكما حصل من فئام من المشركين، ويحصل اليوم من يهود ونصارى حاقدين؛ بعضهم قساوسة، وبعضهم ساسة متدينون، وبعضهم علمانيون.

- وإما أن يصدر من مرتدين؛ كما حصل قديماً من ابن خطل، وابن أبي السرح قبل فيْأَتِه رضي الله عنه، ويصدر اليوم من أمثال الصومالية المرتدة أيان حرصي، ومؤسس جمعية المرتدين الإيراني إحسان جامع الذي يصف النبي ﷺ بأنه شخصية مرعبة، ومثل هؤلاء طوائف من العلمانيين والشيوعيين الذين ما فتئوا يطعنون تصريحاً أو تلميحاً، وكلما أمن أحدهم العقوبة تمادى في إساءة الأدب.

مظاهر القسم الأول: التطاول بالقول:

والحوادث كثيرة، ولكني أكتفي بنماذج لها مراميها، فأشير على الصعيد الإعلامي إلى نماذج محدودة، وعلى الصعيد الديني إلى نماذج لشخصيات مشهورة

مقربة من بعض ساسة الغرب :

- فأما الصعيد الأول : فمنه ما اشتهر في بعض المواقع وما نشرته صحيفة هيوستن برس الأمريكية الأسبوعية في ولاية تكساس، من إعلان لدار عرض أمريكية تعرض فيلماً إباحياً بعنوان : «الحياة الجنسية للنبي محمد».

ورغم الاحتجاجات التي تلقتها دار السينما من مسلمي ولاية تكساس، إلا أنها رفضت إيقاف عرض الفيلم، واستعانت بالشرطة لصدِّ المتظاهرين.

ومع ذلك لم يتم اتخاذ أي إجراء لمنع عرض الفيلم من قبل المسؤولين.

- ومن الحوادث القديمة نسبياً والتي تذكر في هذا الصدد؛ حادثة الهجوم على المقر الرئيس لمنظمة «بني بريث»[(١)]، ومبنيين رئيسيين في واشنطن العاصمة عام ١٩٧٧م؛ طلبت فيه مجموعة إسلامية إلغاء الفيلم السينمائي «محمد رسول الله»، ودَفْعِ مبلغ ٧٥٠ دولاراً غرامة، وتسليم الرجال الذين قتلوا «مالكوم إكس»[(٢)] الداعية المعروف باسم : الحاج مالك شباز.

---

(١) منظمة صهيونة ترمى بالماسونية.

(٢) مسلم أمريكي كان في مبدأ أمره مقدَّماً في حركة أمة الإسلام، يدين بعقيدة الإليجا، وهي طائفة باطنية عنصرية مشبوهة، يرى بعض المحللين أنها مدعومة بغرض هدم الإسلام باسم الإسلام، ولاسيما بين الزنوج، ثم يسّر الله لمالك الحج ولقاء العلماء بالجزيرة ومصر والسودان، فرجع وأنشأ جماعة أسماها «جماعة أهل السنة» وشرع في الدعوة إلى دين الحق بصورته الصحيحة، وظل على هذه الحال يُسلِم على يديه الفئام ويرجع إلى الدين الحق مَنْ خُدِع بالأفكار الباطنية، حتى كان يوم ١٨ شوال سنة ١٣٨١ هـ عندما دُعي مالك شباز لإلقاء محاضرة بجامعة نيويورك، وعندما صعد المنصة وأخذ يدعو إلى الإسلام أُحدِثت مشاجرة مفتعلة في وسط القاعة، فالتفت= = إليها الحاضرون، وفي غفلة من الناس؛ انطلقت ثماني عشرة رصاصة غادرة من ثلاثة رجال بالصف الأول لتستقر في جسد هذا الداعية.

والغرض من هذا بيان أن الحملة على نبينا ﷺ قديمة في الغرب وقد كانت لها آثارها إذَّاك، ولكنها تنشط حيناً وتضمحل حيناً آخر.

– ومن هذا القبيل نشاط عدد من الإعلاميين الغربيين قديماً وحديثاً ودَأبهم على تشويه صورة الإسلام والمسلمين عن سبق إصرار وترصُّد؛ بدعوى حرب الراديكالية[1]:

وهذا ليس بالأمر الجديد؛ ففي عام ١٩٨٥ خصص الإعلامي الفرنسي المخضرم (برنار بيفو) في برنامج ثقافي كان ذائع الصيت يدعى «أبوستروف» أو (فاصلة بالعربية، حلقةً خاصةً عن «القرآن والعنف»، دعا إليها محمد أركون، وعلال سي ناصر، وجيل كيبل وآخرين. رغم هذا العنوان القاطع للحلقة الذي يربط دون تردد بين القرآن والعنف، نجد أن هذا الصحافي يعترف منذ البداية وهو يقدم للموضوع بأنه لم «يقرأ» القرآن! إلا أنه فيما يبدو كان قادراً على استخلاص الحُكم بأن القرآن يدعو إلى العنف حتى بدون قراءته!

واليوم تجد بعض الكتَّاب قد سلك تلك السبيل، ومن أمثلتهم الصحفيون الدانماركيون والسويديون.

– ومن المرتدين الذين اقتحموا مجال العمل الإعلامي أيان حرصي؛ التي قالت: «النبي محمد بالقياس بالمعايير الغربية؛ هو شخص منحرف ومستبد»، واستشهدت بأنه تزوج من طفلة عمرها تسع سنوات. وقد رُفعت مجموعة من تهم التمييز من قبل عدة منظمات إسلامية ومسلمين بشكل فردي ضدها، إلا أنها لم تصل أبداً إلى المحاكم؛ لقناعة المدعي العام بأن: «آراءها لا تؤثر على وضع المجتمع المسلم في

---

(١) ولا شك أن هذه إساءة لمن دعا إلى الإسلام والقرآن وبلَّغهما وقام بهما خير قيام ﷺ، وإن كان غيرها أصرح.

هولندا، وأن تصريحاتها لا تحوي أي استنتاجات تتعلق بمسلمي هولندا، وأن حقوقهم كمجموعة وكأقلية لم تنكر». وطبعت كتابها (قفص العذارى) والذي أكدت فيه نيتها إنتاج فيلم على شاكلة فيلم حياة براين، سيتناول حياة النبي محمد المليئة بالألوان على حد وصفها؛ حيث أكدت على أنه سيقوم شخص بتمثيل دور النبي محمد [ﷺ]، وستذكر فيه الجوانب التي تفترض أن باقي المسلمين لا يودون أن تظهر للعلن عن النبي محمد [ﷺ]. واستشهدت بما قالت أنه حب النبي محمد [ﷺ] لزوجة ابنه، وكيف أنه غاب في غار وعاد ومعه الحل السحري لزواجه منها. وفي ٢٣ نوفمبر ٢٠٠٥م وفي مقابلة مع صحيفة (صابفو) الدانماركية على خلفية قضية الصور الكاريكاتورية؛ ناقشت ما أسمته مشكلة اعتبار القرآن مقدساً عند المسلمين بغض النظر عن تمسكهم بالدين فقالت: «التقيت مؤخراً بعض الصحفيين العرب وأخرجت قرآناً من حقيبتي وألقيته على الأرض، فقامت فتاة تركية غير محجبة وكانت تبدو علمانية، وقالت لي: أطالب بأن تلتقطي القرآن وتعيديه إلى حقيبتك! أجبتها بأن هذه نسختي وبأنني أفعل بها ما أريد. والذي يحدث الآن بأنك لا تستطيع إعادة تفسير محتوى القرآن لأن كل شيء حوله (الغلاف، الرسائل، الحبر) مقدس».

وقد أسهمت مع المخرج الهولندي (ثيو فان جوخ) في إصدار أحد أشهر الأفلام الملبسة المسيئة للإسلام وكان عنوانه (الخضوع)، وكانت نتيجة إصدار الفيلم اغتيال مخرجه من شاب مسلم مغربي نَذَرَ نفسه لهذا الشأن، نسأل الله أن يثبته ويفرج عنه[1].

- وأما الصعيد الثاني وهو المتمثل في بعض القيادات الدينية، فالمتأمل يجد أن إساءات عظيمة لنبينا ﷺ بدرت من أشخاص لا يقال: ليست لديهم معرفة بالأديان، بل لهم خبرة بالأديان، بل إن الإساءة إلى رسول الله ﷺ جاءت من رجال

(١) هذه المعلومات موجودة بترجمتها في موسوعة (الوكيبيديا) العالمية على شبكة الإنترنت.

الدين النصارى أنفسهم، بل من رؤوسهم ومرجعياتهم، سواءً كانوا كاثوليك أو بروتستانت.

أما الكاثوليك فحسبُنا كلمة رئيسهم القريبة التي رفض أن يعتذر عنها، بل أَسِف لسوء فهم المسلمين، ولِما سببته كلماته من مردود غير حميد تجاه بعض النصارى!

وإذا كان مقدم النصارى ورئيسهم لا يتورع عن أن ينقل في جمع رسمي معدٍّ له ومهيأ ما قاله إمبراطور بيزنطي يقدح فيه في رسول البشرية؛ فكيف يتورع من هم دونه ممن هم أقل مسؤولية، وكلماتهم أقل اعتباراً وأثراً؟

هذا مع أن لهذا (البنديكت) كلمات أخرى تعرَّض فيها للإسلام، ومن العجب أن بعضهم يزعم بأن الرجل ناقل، وكأن هذا يرفع عنه الجرم! قال القاضي عياض – رحمه الله –: «إن اتُّهم هذا الحاكي فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره، أو كانت تلك عادة له، أو ظهر استحسانه لذلك، أو كان مولعاً بمثله والاستخفاف له، أو التحفظ لمثله وطلبه، ورواية أشعار هجوه ﷺ وسبه؛ فحكم هذا حكم الساب نفسه، يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره؛ فيبادر بقتله، ويعجل إلى الهاوية أمه»[١]. ولهذا أمر النبي ﷺ بقتل الجاريتين اللتين كانتا تتغنيان بهجاء ابن خطل له، مع أنهما لم تنشِئا شعراً، وإنما رددتا وقالتا ما أنشأه غيرهما على وجه فيه إقرار واستحسان.

وأما البروتستانت فقبل أربع سنوات تقريباً في عام ١٤٢٣هـ، نشطت حملة قساوسة في أمريكا غرضها الطعن في نبينا ﷺ وتشويه صورته:

– فعُرِف منهم (جيري فالويل Jerry Falwell)[٢] الهالك في ربيع الآخر من

---

(١) الشفا: ٢/ ٢٠٩.

(٢) قسيس إنجيلي معروف، قطَن منطقة لينشبرج بولاية فرجينيا، كان له برنامج أسبوعي إذاعي

العام الماضي، وهو صاحب كتاب: (فلنتقدم إلى معركة هرمجدون)[1]، وضع في أوله - عليه من الله ما يستحق - سيرة زائفة لنبينا ﷺ.

ويجدر هنا قبل نقل كلمة ذائعة له أن يُعلم أن حزب بوش في ١٦/ أكتوبر/ ٢٠٠٢م قام بتكريم كل من القسيسين (بات روبتسون) و (جيري فالويل)؛ لمساهمتهما في دعم التيار اليميني المحافظ والحزب الجمهوري.

فمما قاله هذا الهالك: «في رأيي أرسى المسيح مثالاً للحب، وموسى فعل الشيء نفسه؛ لكنَّ محمداً ضرب المثل المناقض لهما». وقال - عليه من الله ما يستحق - في حديث له بُثَّ يوم الأحد بتاريخ ٦/ أكتوبر/ ٢٠٠٢م على برنامج «٦٠ دقيقة»: «أنا أعتقد أن محمداً كان إرهابياً، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه كان رجل عنف، ورجل حروب». وهذا يشعرك بمعنى الإرهاب الذي يحاربون! ونحن لا ندري ماذا قرأ للمسلمين؟ هل قرأ ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[**الأنبياء**: ١٠٧]؟

وتلفزيوني يصل إلى أكثر من ١٠ ملايين منزل، وله جامعة أصولية تسمى جامعة الحرية، عُرِف بسبه وشتمه لنبينا محمد ﷺ. ويجدر بالذكر أن الصهاينة أهدوه طائرة خاصة من نوع ويندستريم ثمنها (٢,٥ - ٣,٥) مليون مع قطع غيار بقيمة نصف مليون دولار. وهو يُباهي بأنّه يقطع بطائرته النّفاثة ١٠ آلاف ميل في الأسبوع للدّعاية الانتخابيّة لمرشّحيه. وظهر فولويل بوصفه أوّل سياسي أمريكي مرموق يقول: على أمريكا دعم (إسرائيل) ليس من أجل مصلحة (إسرائيل) فقط، ولكن من أجل المحافظة على أمريكا نفسها. ومع اقتراب انتخابات ١٩٨٠ زاد بروز (فالويل) وسلّطت الصّحافة أضواء على منظّمته المعروفة باسم الأكثرية الوطنيّة، وقرّر ريغان مكافأته فمنحه ميداليّة تحمل اسم: (فلاديمير زيف جابوتنسكي) الأيديولوجي الصّهيوني اليميني أستاذ (بيغن). وقد قالت قريس هالسل: «لِفالويل وبيغن الأهداف نفسها: إنّهما يعشقان القوّة ويبرّران العنف من أجل تحقيقها».

(١) وهي معركة نهاية التاريخ التي يرى البروتستانت حتميتها مع المسلمين عند سفح هرمجدون، وقد نشر هذا الكتاب في موقعه على الإنترنت: www.falwell.com.

والعجيب أن هذا القسيس الذي يصف الرحمة المهداة بما يصفه به يُعدُّ من أقوى أنصار الدولة الصهيونية في اليمين الأمريكي! حتى قال: «إن معنا ٧٠ مليون شخص، ولا شيء يمكن أن يصب غضب الجمهور المسيحي على رأس هذه الحكومة أكثر من التخلي عن (إسرائيل) أو معارضتها في مسألة حيوية». وفي ١٤ أبريل/ نيسان ١٩٩٨ نشرت جريدة «يو إس إيه توداي» الأمريكية مقالاً لفالويل ينتقد فيه إدارة الرئيس الديمقراطي بيل كلينتون لما عدَّه فالويل ضغطاً تمارسه إدارة كلينتون على (إسرائيل) للقبول بخطة السلام الأمريكية، وقال في مقالته تلك: إن ضغط أمريكا على إسرائيل «يجب أن يُقلِق كل من يأخذون على محمل الجد وَعْدَ إبراهيم بخصوص أرض (إسرائيل)»، وذلك في إشارة إلى إيمان الإنجيليكانيين بأن الله وعد إبراهيم – عليه السلام – بأن يعيد أرض (إسرائيل) لليهود.

فانظر كيف يمجد وينصر قتلة الشيوخ، ومغتصبي الأرض، ومهلكي الحرث والنسل، ثم يطعن في الرحمة المهداة والنعمة المسداة ﷺ؟

إن كلمة هذا الكافر شر من كلمة سلفه الغوي المبين: ﴿**فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّاراً فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ**﴾ [**القصص**: ١٩]، فتلك حادثة عين قبل النبوة لها حظها من الخطأ، وأما هذه فمن نحو كلمة فرعون: ﴿**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ [**غافر**: ٢٦]، إنها كلمة قوم السوء الفاسقين: ﴿**أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾ [**الأعراف**: ١٢٧]، وهي الكلمة التي قيلت عن يسوع في التلمود: «لقد ضلل يسوع، وأفسد إسرائيل وهدمها».

- ومثال آخر لرجال دينهم: القس (بات روبرتسون Pat Robertson)[(١)]، أحد مؤيدي بوش، وقد كان له أثره الكبير في فوز بوش برئاسة الحزب الجمهوري في مارس ٢٠٠٠، فقد كان يقود الائتلاف اليميني النصراني المؤيد له، وقد كشف عن هذا منافس بوش (جون ماكين). كما أن بوش يدعمه دعماً كبيراً[(٢)]، وقد أشير إلى تكريم الحزب الجمهوري له مع (جيري)، وقد تصدر (نشيد المسيح) افتتاح أعمال المؤتمر القومي للحزب الجمهوري من أجل اختيار بوش مرشحاً رسمياً في مارس ٢٠٠٠، وأعلن فيه تبنِّيه لأفكار تيار اليمين النصراني.

يقول بات روبرتسون في برنامج (هانتي كولمز Hannity Colmes) بُثَّ في قناة فوكس الإخبارية Fox News: «أنا أقول: هذا القرآن ما هو إلاّ سرقة من المعتقدات اليهودية، ثم استدار محمد بعد ذلك ليقتل اليهود والنصارى في المدينة. أنا أقصد: أن هذا الرجل كان قاتلاً سفاك دماء»، وقال: «أظن أن الإرهاب قد غدا تياراً وليس فقط عند حفنة من المتطرفين. إذا اشتريت مصحفاً اقرأه بنفسك فستجد عنفاً يبشر به».

وقد أُجبِر هذا الرجل على الاعتذار عن قوله هذا، ولكنه عاد ليقول في كتابه الذي صدر حديثاً باسم: (الاسم The Name) ص ٧١: «الإسلام أسسه فرد

---

(١) قسيس إنجيلي، معروف باهتماماته السياسية، وتأييده المطلق للدولة الصهيونية، يمتلك عدداً من المؤسسات الإعلامية من بينها نادي الـ ٧٠٠، وله برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى امتلاكه محطة فضائية تصل إلى ٩٠ دولة بأكثر من ٥٠ لغة وهي محطة (البث النصراني) وغيرها، كما أنه يقف خلف أكبر تحالف سياسي ديني في الحزب الجمهوري وهو «التحالف النصراني».

(٢) قام البيت الأبيض في يوم الجمعة ٤/ أكتوبر/ ٢٠٠٢م بالإعلان عن منحة دينية قدرها نصف مليون دولار أمريكي للقسيس (بات روبتسون). والجدير بالذكر أنها المنحة الأولى التي يمنحها البيت الأبيض لمؤسسة أو شخصية دينية.

بشري مقاتل يسمى محمداً، وفي تعاليمه ترى تكتيك نشر الإسلام من خلال التوسع العسكري ومن خلال العنف إذا كان ضرورياً» وقال: «الإسلام بخلاف المسيحية؛ في تعاليمه الأساسية تعصُّب عميق ضد أصحاب الديانات الأخرى»، فتأمل قوله عن النبي ﷺ: «إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين، إنه رجل متعصب إلى أقصى درجة، إنه كان لصاً وقاطع طريق، ما يدعو إليه خديعة وحيلة، ٨٠٪ من القرآن نُقِل من نصوص النصرانية واليهودية ثم استدار ليقتل اليهود».

وقارن هذا القول بكلمة اليهود في التلمود: «الناصري [أي: المسيحي] هو الذي يتبع تعاليم كاذبة، يبتدعها رجل يدعو إلى العبادة في اليوم الأول التالي للسبت». وفي تلمود اليهود أيضاً: «إن المسيح كان ساحراً ووثنياً»، وقالوا: «إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم بين الزفت والقار»، «لقد ضلل يسوع، وأفسد إسرائيل وهدمها»، صدق الله: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ [**الذاريات**: ٥٢ - ٥٣]، ﴿ **تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ [**البقرة**: ١١٨].

والتهم التي تلفَّظ بها بات روبرتسون فيها من مغالطات أسلافه الماضين الشيء الكثير، وقد جاء رد بعضها في القرآن؛ كقول الله - تعالى -: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَّرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ [**العنكبوت**: ٤٨]، ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾ [**النحل**: ١٠٣].

ثم تتكرر الصورة مرة أخرى، فيجعل المفسدين من الذين فعلوا بالمسلمين الأفاعيل بمكة والمدينة، ونقضوا العهود والمواثيق، وعمدوا إلى قتل النبي ﷺ مراراً وقتلوا من أتباع دينه من قتلوا.. يجعلهم ضحية ويجعل المسلم البريء مفسداً!

- مثال ثالث لرجال دينهم: (جيري فاينز)[١]، الرئيس السابق للمؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية، والذي يمدحه بوش جهاراً؛ فيذكر عنه أنه من المتحدثين بصدق عن دينهم، وهذا الرجل عمّد بوش ليكون من النصراء الأوائل لسماحة العقيدة. يقول هذا الرجل عن نبينا ﷺ: «... شاذ يميل للأطفال، وتزوج اثنتي عشرة زوجة؛ آخرهن طفلة عمرها تسع سنوات..».

وهذا الكلام قولٌ من قائله بغير عرفان، مع كذب بيّن لا برهان له به، ويكفي أن يعلم قائلُه أن النبي ﷺ تزوج زوجه الأولى خديجة وهي تكبره بأكثر من خمسة عشر عاماً على المشهور، وأنه لمّا بنى بعائشة وهي ابنة تسع لم ينكر أحد هذا، ولا تكلم به المنافقون الحاضرون الذين هم في الحرص على الكيد والطعن في النبي ﷺ مع (جيري فاينز) سواء، ولكنهم أعلم بواقع ذلك الجيل وأعرف به؛ فمعهود عندهم أن تُنكَح المرأة إذا بلغت التسع وبلغت شأن النساء، ولذلك ما بنى بها النبي ﷺ حتى بلغت التسع، مع أنه تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين، ثم إنه لم يتزوج بِكراً غيرها، وهو سيد قومه، بل سيد البشر أجمعين.

إن هذا الكلام يذكِّرنا بكلام قتلة الأنبياء من قبله في المسيح ابن مريم وأمه، فقد اتهموها بالشذوذ في تلمودهم، فقالوا في تلمودهم: «إن يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي، حملته أمه خلال مدة الحيض من العسكري (بانديرا) بمباشرة الزنى». وفي كتاب صمويل الثاني[٢] يرمون داود - عليه السلام - بالزنى بزوجة (أُورِيَّا الحِثِّيّ) في فصل كامل عُنونَ له بـ (خطيئة داود وخداعه)؛ فقد بعثَ - على زعمهم - داودُ

---

(١) وهو راعي كنيسة جاكسون فيل في فلوريدا، وهو من أبرز المتحدثين في المؤتمر السنوي للكنائس المعمدانية الجنوبية، وهو أكبر مؤتمر ديني يعقد في كل عام.

(٢) الفصل الحادي عشر وما بعده.

- عليه السلام - هذا الرجل ليموت في الحرب ويتزوج امرأته التي فجر بها، وكانت قد حملت منه. والعجيب أن في ثنايا القصة ما يبين أن أُوريا الحِثِّيَّ الذي صوروه مظلوماً تزوج من تلك المرأة وهي طفلة (تنام في حضنه كأنها ابنته)! ومع ذلك لم ينقد هذا الرجل وأمثاله من هذا شيئاً وجاء لينتقد ما تقره العقول السوية!

يطعنون في نبينا لتزوجه تسع نساء ثم يذكرون لداود - عليه السلام - نبيهم الذي يعظمون في كتبهم المعتمدة ما لم يكن لرسول الله ﷺ عُشْره! بل يذكرون عن سليمان بن داود - عليهما السلام - أنه كانت له سبعمائة زوجة وثلاثمائة محظيّة، فانحرفن بقلبه عن الرب(١)! وقالوا: أُولِع سليمان بنساء غريبات كثيرات، مع أنه كان منهياً من الزواج منهن، إلاّ أنه فعل!

ويزعمون أن لوطاً [عليه السلام] شرب الخمر وواقع ابنتيه البكر والصغيرة(٢).

فعجباً لمن في ملتهم واعتقادهم مثل هذا، ثم يأتون يشنِّعون على ما أحلّه الله لرسوله ﷺ من الزوجات مع ظهور حِكَمِه العظيمة! وقد تضافرت الأمارات الدالة على أن زواجه منهن - رضي الله عنهن - لم يكن للهو واللعب.

وأخيراً: يحسن التنبيه إلى أن هؤلاء القساوسة تجيء إساءاتهم في مجامع مشهودة أثناء مناسبات مقصودة، فهم يعنون ما يقولون ويتعمدونه ويرتبون له، فليست كلماتهم فلتات لسان غير مقصودة، بل العداوة معلنة صريحة يدعى لها، وانظر كيف اختار (جيري فاينز) الاجتماع السنوي في مدينة سانت لويس بولاية ميسوري الأمريكية ليلقي طعوناته في نبينا ﷺ، ولم يكتفِ بذلك بل قال: إن الله الذي يؤمن به المسلمون ليس هو الرب الذي يؤمن به المسيحيون، وقال: «لن يقوم الرب بتحويلك

---

(١) بسط هذا في سفر الملوك الأول في الفصل الحادي عشر، وعنوانه: (زوجات سليمان).

(٢) كما في سفر التكوين (١٩/ ٣٠ - ٣٨) وعنوان الفصل: خطيئة ابنتي لوط.

إلى إرهابي يحاول تفجير الناس وأخذ أرواحهم»، فالسياق كله طعن في نبي الإسلام ودينه، ومع ذلك يلقون تأييد الحزب الجمهوري، وينالون ثناء رئيسه.

مظاهر القِسْم الثاني: التطاول بالفعل:

وهو قديم حتى بعد موته ﷺ، وقد أثبتت كتب التاريخ المعتبرة محاولات بعض الفرنجة - لعنهم الله - قصد المدينة لنبش الحُجرة النبوية ونقل صاحبها ﷺ، ليأخذوا من المسلمين جُعْلاً على زيارته. قال الذهبي في تاريخ الإسلام: «فقام صلاح الدين لذلك وقعد، ولم يمكنه أن يتزحزح من مكانه، فأرسل إلى سيف الدولة ابن منقذ نائبه بمصر أن جهز لؤلؤاً الحاجب، فكلمه في ذلك فقال: حسبك، كم عددهم؟ قال: ثلاثمائة ونيف كلهم أبطال.

فأخذ قيوداً بعددهم، وكان معهم طائفة من مرتدة العرب، ولم يبقَ بينهم وبين المدينة إلا مسافة يوم، فتداركهم، وبذل الأموال؛ فمالت إليه العرب للذهب، واعتصم الفرنج بجبل عالٍ، فصعد إليهم بنفسه راجلاً في تسعة أنفس، فخارت قوى الملاعين بأمر الله - تعالى - وقويت نفسه بالله، فسلّموا أنفسهم، فصَفَدَهم وقدِم بهم القاهرة، وتولى قتلهم الفقهاء والصالحون والصوفية»[1].

وقد ذكر بعضهم بضعة محاولات لنبش القبر الشريف من قبل النصارى على مر التاريخ، ومحاولات غيرها لبعض الباطنية من الرافضة.

ومن المظاهر المعاصرة الحادثة هذه الرسوم الكاريكاتورية، وليست الدانمارك أول من يحدثها.

وقد رسَم قبلَ سنوات كاتبٌ ينتمي إلى دولة عربية كاريكاتيراً معرِّضاً بنبينا ﷺ؛ ديكاً وحوله تسع دجاجات وعلق: (محمد جمعة زوج التسعة).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ٤٢/ ٣٦٤ - ٣٦٥.

وقد ثارت القضية حينها وكتبت ردود في مجلة لواء الإسلام وغيرها.

غير أن السويديين والدانماركيين المعتدين جاؤوا بما لم يُسبَقوا إليه، فقد جاهروا بنشر رسومهم المعبِّرة عن تُهَم مختلفة ورزايا متعددة، ولم يكتفوا بذلك حتى أكدوا قصدهم بتكرار نشرها على صفحات الإنترنت وغيرها، بل تمادى بعضهم في الرسم بعد احتجاجات المسلمين، فوضع بعضهم لتلك الرسوم مقاطع مرئية فيديوية متحركة، وخصصت صفحات تجمع ما صدر من تصوير لنبي الإسلام ﷺ خلال العقود الأخيرة كلها، وأشد من ذلك تضمنته صفحات الإنترنت.

- مدخل لدوافع التطاول على نبي الإسلام ﷺ والواجب تجاهه:

هذه مجرد توطئة وسرْدٍ لأصولها، وقد رأيت أن فائدة هذا البحث تكمل بالإشارة إليها، ولا يليق بنا عرض المشكلة وذكر السب والشتم والتطاول دون الإشارة إلى بواعثه وسبل دفعه وتخطي آثاره[١].

وقد أشير في أول البحث إلى بعض الدوافع وهي العداوة القديمة بين الحق والباطل، وأخطأ من ظن أن الإشكال مع الغرب جاء من جهة عدم تصوُّرِهم جميعاً للإسلام أو لنبيه ﷺ، وقد شاع أثناء التعدي الدنماركي على شخص النبي الكشريم ﷺ عبارة غير دقيقة اتخذت شعاراً، ونصُّها: (لو عرفوه لأحبوه)، والله - تعالى - يقول: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [**آل عمران**: ٧١]. ويقول - عز وجل -: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [**الأنعام**: ٢٠]، فكثير منهم يعرفون الكتاب ويكتمونه حسداً وبغياً، وكثير منهم يعلمون أن

---

(١) لم أجد ضمن عناصر موضوعي أو موضوع المشارك الإشارة إلى العلاج الذي نملكه، والإشارة إليها من الأهمية بمكان. ولذا، أدرجتها لتكتمل الفائدة.

محمداً هو رسول الله حقاً، ومع ذلك أبوا إلاّ أن يناصبوه العداء في الحاضر، كما ناصبه أسلافهم العداء في الماضي، وهم يعلمون، ولهذا أثنى الله على من خالف هواه منهم وانصاع للحق الذي عرف، فقال - سبحانه -: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [**الأعراف**: ١٥٧].

وفي قصة إسلام عبد الله بن سلام الحبر البحر - رضي الله عنه - في صحيح البخاري وغيره ما يبين هذه الحقيقة بجلاء[1].

فهذا السبب لا ينبغي أن يُغفَل ويهمل. وكذلك فإن من الواجب ألا يغالى فيه ويعمم، فإن هذا من دواعي تفاقم الإشكال لا حله، وهذا مقتضى الإنصاف الذي علَّمنا إياه ديننا، كما في قول الحق - سبحانه -: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾ [**آل عمران**: ١١٣].

وعدم المغالاة فيه تكون بمراعاة أمرين:

أحدهما: استحضار أن هناك خمس طوائف من الغربيين؛ فكما أن هناك طائفة أولى من المستكبرين باطري الحق وغامطي الإسلام، فإن هناك طائفة ثانية من الجهلة المغرر بهم. أما الطائفة الثانية فلا يعرف أهلها عن الإسلام إلاّ ما صورته الطائفة الأولى، فهؤلاء المساكين يجب أن يُنقِذَهم بنو الإسلام، فيعرّفوا بنبي الثقلين ﷺ وبدين الحق، فتعرض لهم صورته المشرقة في سكينة وهدوء. وتقصيرُ المسلمين في حقهم من الظلم لهم.

---

(١) انظر في: الصحيح (٣٦٩٩)، (٤٢١٠).

أما الطائفة الثالثة فهي بين هؤلاء وهؤلاء، وهم المعرضون الذين لا يريدون معرفة الحق وتمييزه من الباطل، يصمون آذانهم ويستغشون ثيابهم، إما لهوى أو ظلم أو جهل، وهؤلاء ينبغي أن يرغَّبوا في الإسلام وينبّهوا إلى أهمية النظر فيه، فإن أعرضوا أُلحقوا بالفريق الأول.

وأما الطائفة الرابعة فهم المنصفون من الغربيين الذين عرفوا شيئاً من الإسلام فبانت لهم تعاليمه السمحة وتشريعاته الحكيمة، وعرفوا شيئاً عن نبينا ﷺ فعظموه، فوقفوا موقف أبي طالب من نبينا محمد ﷺ، وقاموا مقام غيره ممن حمى بعض أهل الإسلام وذبّ عنهم.

ومن هؤلاء على سبيل المثال: جوسلين سيزاري الباحثة الفرنسية، وروبرت فيسك الصحافي البريطاني، وماركوس بورج أستاذ علوم الدين في جامعة أوريغون الأمريكية، وفرانسوا بورجا الباحث الفرنسي البارز، وكذلك كارين أرمسترونج الكاتبة البريطانية والراهبة الكاثوليكية سابقاً وصاحبة العديد من المؤلفات عن الإسلام والمسيحية واليهودية.

وكذلك الأمير الإنجليزي تشارلز، وكلنا يعلم شهادته النادرة التي أسقط فيها صفة التطرف التي يحاول الإعلام الغربي أن يربطها بالإسلام، إلى جانب دفاعه عن فضل الحضارة الإسلامية على القارة الأوروبية وعلى الحضارة الغربية بصفة عامة.

وأمثال هؤلاء ينبغي أن يُعرَف لهم فضلهم، وأن يُكافَؤوا عليه، وأن يُحرص على دعوتهم وهدايتهم، فليس هؤلاء كغيرهم من بني جنسهم.

وأما الطائفة الخامسة والأخيرة فهم مسلمو الغرب، فهؤلاء ينبغي أن نكون ردءاً لمُحسنهم، حادبين على مسيئهم، حريصين على هدايته وتوجيهه التوجيه الأمثل.

الأمر الثاني الذي تنبغي مراعاته:

معرفة الأسباب الأخرى التي ساعدت على التجرؤ والتطاول من قبل أوباش الغرب وجهاله على نبينا ﷺ، على الرغم من توافر عوامل التعريف بالإسلام ونبيه ﷺ في عصر الفضائيات وثورة الاتصالات.

ولعل أهم هذه الأسباب اثنين:

الأول: تقصير بني الإسلام في عرض صورة الإسلام الواضحة النقية والتعريف بنبيه ﷺ.

والثاني: عرض صورة لمسْخ مشوَّهٍ والتصريح بأنها صورة الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، أو الإيهام بذلك عمداً أو خطأً.

ولا شك أن هذين السببين يتداخلان مع ما سبق ذكره، ولا سيما الثاني؛ فإن أثر الغرب في هذا ظاهر، بيد أن الغرب ليس هو كل شيء فيه، كما أن حقد الغربيين له من يدعمه من الأطراف العميلة المؤثرة وليست كل شيء فيه.

أما تقصير بني الإسلام في عرض صورة الإسلام الواضحة النقية والتعريف بالنبي ﷺ فيشمل أموراً، منها:

- تقصيرهم في التعريف به وعرض أخباره ابتداء.

- وتقصيرهم في تنقية الصورة المشوهة بالشُّبَه الغربية أو المستغربة الناطقة بالعربية.

- تقصيرهم في بيان الأخطاء ومعالجتها على المستوى الداخلي والخارجي، فعندما تُزوَّر ممارسات باسم الإسلام خطأً ويُزعَم أن محمداً ﷺ جاء بها، ثم لا يوضح بجلاء أن الإسلام منها براء داخل الصف المسلم أو خارجه؛ فإما أن تبقى الصورة

مشوهة عند إغفال الاعتراف بالخطأ وتصحيحه في الذهن الغربي؛ وإما أن تتكرر الأخطاء عند إغفال توعية الصف المسلم وحواره وتعريفه بالخطأ الذي وقع فيه.

فلعل ما سبق من أسباب داخلية وخارجية هي أعظم الأسباب التي قادت إلى تشوُّهِ صورة الإسلام لدى الغرب.

وانضاف إليها عامل مهم ساعد المتطاولين على التطاول؛ ألا وهو ضعف بني الإسلام وقلة حيلتهم، وإلاّ فالغرب يحترم القوي، ولهذا لا تجد الكاثوليك اليوم يطعنون في البروتستانت، ولا العكس، وكذلك شأن الطائفتين مع اليهود، مع أن محاكم التفتيش وتاريخهم الغابر يبين حجم الاختلاف بينهم ولكن القوي يُحترم، وقد قيل:

تراهم يظلِمون من اسْتَرَكُّوا

ويجتنبون من صَدَق المِصَاعا[1]

وفي الختام يحسن التنبيه إلى أن العلاج الذي نملكه يتعلق بأمور:

أولاً: علاج المظاهر والأسباب التي للمسلمين فيها يد؛ كتصحيح واقعهم، وإنكار المناكر التي ليست من الإسلام في شيء، وتبيين الدين الصريح الناصع الذي جاء به نبينا محمد ﷺ، والاجتهاد في التعريف به، مع الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدل الأحسن.

ثانياً: مدافعة الباطل وأهله الناقمين على الإسلام ومجاهدتهم جهاداً كبيراً، وتزوير شبهاتهم؛ من أجل إيصال صورة الإسلام ونبيه ﷺ للناس بيضاء نقية كما هي عليه في الواقع.

---

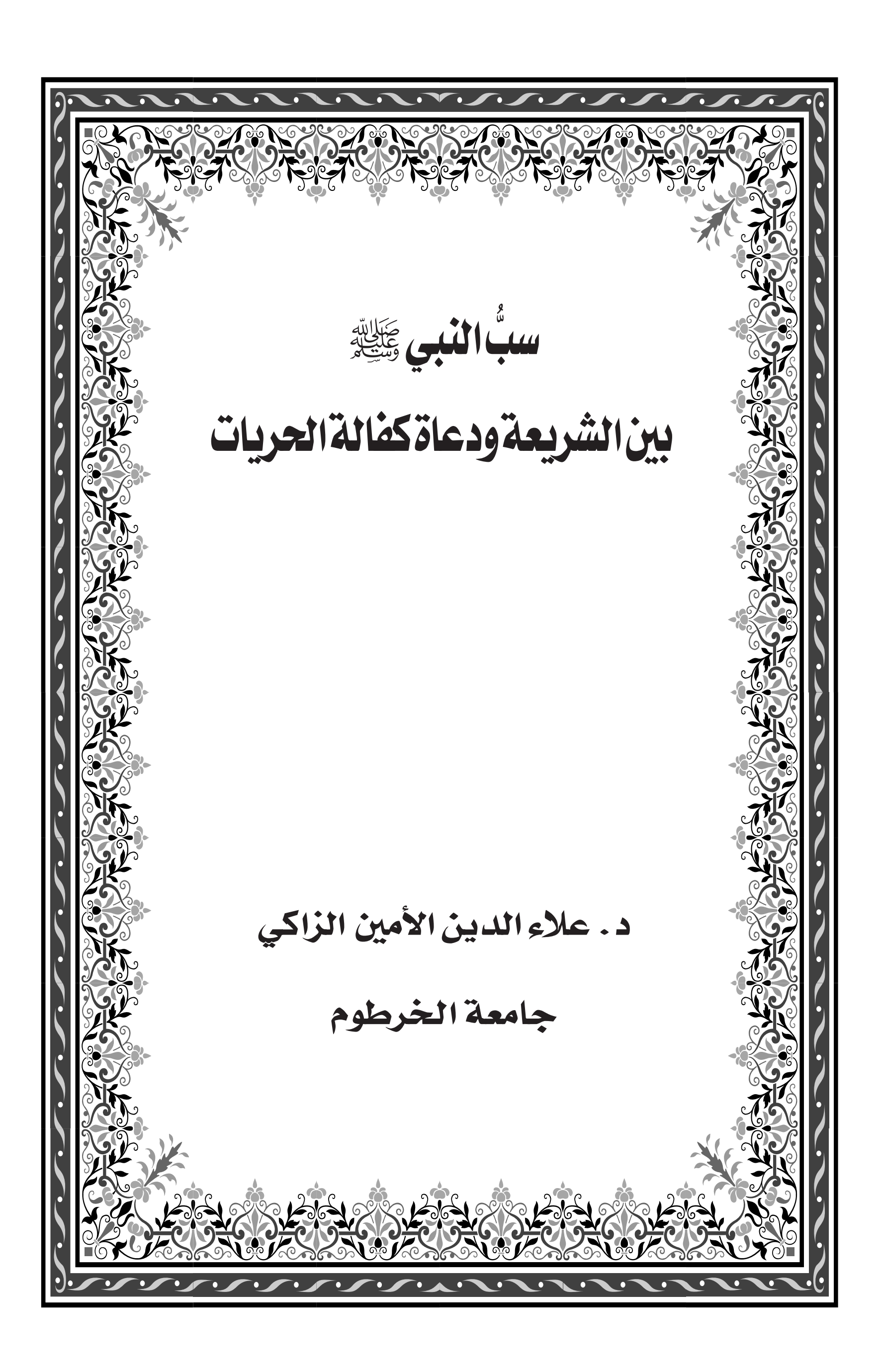
(١) استركوا: استضعفوا، والمصاع: الضراب والجلاد.

وهذا يتطلب خطاباً إعلامياً عصرياً نقدياً موضوعياً يغزو الأسواق الغربية؛ فالفضائيات الإسلامية – ويتوقع أن يكون لها ظهور في السنوات المقبلة – ينبغي أن تُعنى بتصدير الثقافة الإسلامية أشد من عناية الغربيين بتصدير ثقافتهم عبر أفلامهم وموادهم الإعلامية الفضائية المختلفة.

ثالثاً: علينا أن نعمل لتكون أمتنا أمة قوية يرهبها الأعداء؛ فإن القوي مهاب، ولهذا لا يجرؤ كثير من هؤلاء المتطاولين على الطعن في باطل، مثل: المحرقة اليهودية؛ فنفوذ أدعيائها كَفَلَ لها من القوانين ما يُجرَّم به الطاعنون فيها، وقد قال الله – تعالى –: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ** ﴾ [**الأنفال**: ٦٠].

كما أن الحاجة إلى الالتجاء إلى الله ماسة، والاعتماد عليه كبيرة، والدعاء لأهل الضلال من الكفار بمعرفة الحق واتِّباعه. وفي صحيح البخاري: أن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: كأني أنظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضرَبَه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!».

فكما أننا بحاجة إلى دعاء الله بأن يهلك الظالمين المستكبرين المعرضين من الكافرين المستهزئين؛ نحن أيضاً بحاجة إلى أن نسأله – سبحانه – أن يهدي ضالهم غير المكابر أو المعرض المحارب، ويدُلَّ حائرهم، ولا سيما أولئك النفر الذين لا يزالون ينافحون عن الإسلام ونبيه ﷺ.



سبُّ النبي ﷺ
بين الشريعة ودعاة كفالة الحريات

د. علاء الدين الأمين الزاكي

جامعة الخرطوم

المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فلا يختلف اثنان من أهل القبلة في أن الواجب نحو رسول الله ﷺ هو تمام التوقير والتعظيم والمحبة والاتباع والتسليم، والتحكيم في الصغير والكبير. وقد جاء في الحديث الصحيح: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» ومن الثلاث التي من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[1].

وقد بلغ تعظيم الصحابة لرسول الله ﷺ مبلغاً عظيماً، حتى قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه -: «ما كان أحد أحبَّ إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلاله، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت؛ لأني لم أكن أملأ عيني منه»[2].

وقد قال رب العزة - جل جلاله -: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]، وقال - تعالى -: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [**الأحزاب**: ٣٦]. فتمام الأدب معه ﷺ باتباع سنته، والإذعان لها، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق.

وقد نقل القاضي عياض في كتابه الشفا عن أبي إبراهيم التجيبي أنه قال: «واجب

---

(١) البخاري، برقم ١٦.

(٢) مسلم، برقم ١٦.

على كل مؤمن متى ذكره، أو ذُكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر، ويسكن في حركته، ويأخذ في هيبته وإجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه، ويتأدب بما أدَّبنا الله به»، وعلق القاضي عياض بقوله: «وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وأئمتنا الماضين رضي الله عنهم»(١).

وروى القاضي - بسند جيد - عن ابن حميد قال: «ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال مالك: يا أمير المؤمنين! لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله - عز وجل - أدب قوماً فقال: ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**﴾ [**الحجرات**: ٢].

ومدح قوماً فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ**﴾ [**الحجرات**: ٣].

وذم قوماً فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ [**الحجرات**: ٤]، وإن حرمته ميتاً كحرمته حياً»(٢). ولا يزال الناس يحافظون على هذه المكانة وينتفضون عند انتقاصها فكان هذا المؤتمر والذي هو مجلس علم قطع الناس له المسافات نصرة لرسول الله ﷺ وحماية لجنابه.

وقد كلفت من قبل اللجنة المنظمة بإعداد ورقة عن سبِّ النبي ﷺ وعلاقته بكفالة الحريات. فاستعنت بالله وتوكلت عليه لأشارك ولو بكلمة في نصرة المصطفى ﷺ.

وقد قسمت الورقة إلى قسمين: قسم أتحدث فيه عن حكم الساب لرسول الله ﷺ في الشرع. وقسم أتحدث فيه عن كفالة الحريات والاحتجاج بها لإباحة ذلك.

---

(١) الشفا: ٢/ ٤٠.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/ ٤١.

المبحث الأول: سبُّ النبي ﷺ وأنواعه

المراد بسبِّه ﷺ هو التعرض له بأمر يقلِّل من مكانته، وأنواعه عديدة، منها:

الأول: التصريح؛ وهو سبُّه بكلمات واضحة لا تحتمل التأويل، وبالوقوع في عرضه صراحة وهو أشد أنواع السب.

الثاني: التعريض؛ وذلك بالهمز واللمز واستخدام الإشارة؛ كقول المعرض برسول الله ﷺ: (فلما أن جاءه الأعمى فما عبس وما تولى)، يمدح رئيس دولته.

التّعريض بسبّ النّبيّ ﷺ كالتّصريح، ذكر ذلك فقهاء الحنفيّة والمالكيّة، والشّافعيّة، وهو قول للحنابلة. ويقابله عندهم أنّ التّعريض ليس كالتّصريح. وقد نقل القاضي عياض - رحمه الله تعالى - إجماع العلماء وأئمّة الفتوى من لدن الصّحابة ومن بعدهم على أنّ التّلويح كالتّصريح. وقال ابن تيمية: (قال أصحابنا: التعريض بسب الله وسب رسوله ﷺ ردة وهو موجب للقتل كالتصريح)[1].

الثالث: سبُّ أصحابه رضي الله عنهم:

قال ابن أبي العز: (فالذي يسب وزيري النبي ﷺ فقد سب النبي، والذي يقول: إن أبا بكر عدو للإسلام فهو متهم لرَسُول الله، ومتهم للأمة كلها)[2]. فسبُّ الصحابة - رضي الله عنهم - سب للنبي - عليه الصلاة والسلام - الذي صحبهم، فالمرء على

---

(١) الصارم المسلول: ١/ ٥٢٦.

(٢) شرح الطحاوية.

دين خليله. وسب الصحابة - رضي الله عنهم - طعن في سنته؛ لأنهم نقلة السنة والطعن في الناقل طعن في المنقول.

الرابع: سب سنته أو الاستخفاف بها فهذا كالمستهزئ به ﷺ.

المبحث الثاني: حكم سب النبي ﷺ

من المعلوم أن سبَّ النبي ﷺ تتعلق به عدة حقوق:

١ - حق الله سبحانه:

من حيث كفره برسوله، ومعاداته لأفضل أوليائه، ومن حيث طعنه في كتابه ودينه؛ فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة، ومن حيث طعنه في ألوهيته؛ فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل وتكذيبه تكذيب لله - تبارك وتعالى - وإنكار لكلامه وأمره وخبره وكثير من صفاته.

٢ - حق جميع المؤمنين:

يعني: من هذه الأمة ومن غيرها من الأمم، فإن جميع المؤمنين مؤمنون به خصوصاً أمته فإن قيام أمر دنياهم ودينهم وآخرتهم به، بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بواسطته، فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم، كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين. كما قال ﷺ: «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده»[١].

٣ - حق رسول الله ﷺ:

من حيث خصوص نفسه؛ فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله، وأكثر مما يؤذيه الضرب، بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه،

---

(١) البخاري، برقم ١٤.

خصوصاً من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة، فإن هتك عرضه مع علو قدره قد يكون أعظم عنده من قتله، فإن قتله لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره كما أن موته لا يقدح في ذلك، بخلاف الوقيعة في عرضه فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة.

ويختلف حكم سب النبي ﷺ باختلاف الصادر عنه، وهو إما مسلم أو كافر معاهد أو كافر محارب.

أولاً: إذا كان مسلماً:

أجمع العلماء على كفر من سب النبي ﷺ إذا كان مسلماً، وقد نقل الإجماع غير واحد من العلماء، فمن ذلك:

قال الإمام إسحاق بن راهويه - رحمه الله -: أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله، أو سبَّ رسوله ﷺ، أو دفع شيئاً مما أنزل الله - عز وجل - أو قتل نبياً من أنبياء الله - عز وجل - أنه كافر بذلك، وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ والمتنقص له كافر، والوعيد جاء عليه بعذاب الله له، وحكمه - عند الأمة - القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر.

وقال شيخ الإسلام أبو العباس - رحمه الله -: (وتحرير القول فيه أن الساب إن كان مسلماً فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم)[1].

(١) الصارم المسلول: ١/ ١٠.

وقال أيضاً: (إن سبَّ الله أو سبَّ رسوله كفر ظاهراً وباطناً، سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء وسائر أهل السنة القائلين بأن الإيمان قول وعمل)[١].

وقال ابن قدامة: (وقذف النبي ﷺ وقذف أمه ردة عن الإسلام وخروج عن الملة وكذلك سبه بغير القذف)[٢].

وقال ابن حزم: (صَحَّ بِمَا ذَكَرْنَا أَنَّ كُلَّ مَنْ سَبَّ اللَّهَ تَعَالَى، أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِ، أَوْ سَبَّ مَلَكاً مِنْ الْمَلائِكَةِ أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِ، أَوْ سَبَّ نَبِيّاً مِنْ الأَنْبِيَاءِ، أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهِ، أَوْ سَبَّ آيَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ اسْتَهْزَأَ بِهَا، وَالشَّرَائِعُ كُلُّهَا، وَالْقُرْآنُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ بِذَلِكَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ، لَهُ حُكْمُ الْمُرْتَدِّ، وَبِهَذَا نَقُولُ)[٣].

ومستند هذا الإجماع قول الله – تعالى –: ﴿**يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ [**التوبة**: ٦٤ – ٦٦].

فهذه الآية نص في أن الاستهزاء بالله وبآياته وبرسوله كفر، فالسب بطريق الأَوْلى، وقد دلت الآية أيضاً على أن من تنقص رسول الله ﷺ فقد كفر، جاداً أو هازلاً.

فإذا ثبت كفره وجب على الحاكم إقامة حد الردة عليه وهو القتل.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المغني مع الشرح الكبير: ١٠/ ٢٣٢.

(٣) المحلى بالآثار.

قال ابن المنذر : أجمع عامة أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ عليه القتل .

وقال الخطابي : «لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله» .

وقد وقع الخلاف حول استتابته .

ثانياً: إذا كان ذميّاً:

إن الذمي إذا سب النبي ﷺ فقد صدر منه فعل تضمن أمرين :

أحدهما : انتقاض العهد الذي بيننا وبينه .

الثاني : جنايته على عرض رسول الله ﷺ وانتهاكه حرمته وإيذاء الله ورسوله والمؤمنين وطعنه في الدين ، وهذا معنى زائد على مجرد كونه كافراً قد نقض العهد ، ونظير ذلك أن ينقضه بالزنى بمسلمة أو بقطع الطريق على المسلمين وقتلهم وأخذ أموالهم أو بقتل مسلم ، فإن فعله مع كونه نقضاً للعهد قد تضمن جناية آخرى فإن الزنى وقطع الطريق والقتل من حيث هو هو جناية منفصلة عن نقض العهد له عقوبة تخصه في الدنيا والآخرة زائدة على مجرد عقوبة سب النبي ﷺ ، قال ابن تيمية : (قد ثبت بالسنة أن النبي ﷺ كان يأمر بقتل الساب لأجل السب فقط لا لمجرد الكفر الذي لا عهد معه فإذا وجد هذا السب وهو موجب للقتل والعهد لم يعصم من موجبه تعين القتل ، ولأن أكثر ما في ذلك أنه كان كافراً حربياً ساباً والمسلم إذا سب يصير مرتداً ساباً وقتل المرتد أوجب من قتل الكافر الأصلي والذمي إذا سب فإنه يصير كافراً محارباً ساباً بعد عهد متقدم، وقتل مثل هذا أغلظ)[١] .

---

(١) الصارم المسلول : ١/ ١٧٣ .

والدليل على قتله:

أولاً: قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا**﴾ [**الأحزاب**: ٥٧]، فعلَّق اللعنة في الدنيا والآخرة والعذاب المهين بنفس أذى الله ورسوله فعلم أنه موجب ذلك.

ثانياً: قوله - تعالى -: ﴿**وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ**﴾ [**التوبة**: ١٢]، قال الجصاص: (وَظَاهِرُ الْآيَةِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ أَظْهَرَ سَبَّ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ فَقَدْ نَقَضَ عَهْدَهُ)[١].

ثالثاً: عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ يَهُودِيَّةً كَانَتْ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ وَتَقَعُ فِيهِ، فَخَنَقَهَا رَجُلٌ حَتَّى مَاتَتْ، فَأَبْطَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَمَهَا[٢].

وهذا الحديث نصٌّ في جواز قتلها لأجل شتم النبي ﷺ.

رابعاً: عَنْ ابْنِ عَبَّاس أَنَّ رَجُلاً أَعْمَى كَانَتْ لَهُ أُمُّ وَلَدٍ تَشْتُمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَتَقَعُ فِيهِ، فَيَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَيَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، فَلَمَّا كَانَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ جَعَلَتْ تَقَعُ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَتَشْتُمُهُ، فَأَخَذَ الْمِغْوَلَ [سيف قصير] فَوَضَعَهُ فِي بَطْنِهَا وَاتَّكَأَ عَلَيْهَا فَقَتَلَهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ ذُكِرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَجَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: أَنْشُدُ اللَّهَ رَجُلاً فَعَلَ مَا فَعَلَ لِي عَلَيْهِ حَقٌّ إِلَّا قَامَ. فَقَامَ الْأَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا صَاحِبُهَا، كَانَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ فَأَنْهَاهَا فَلَا تَنْتَهِي، وَأَزْجُرُهَا فَلَا تَنْزَجِرُ، وَلِي مِنْهَا ابْنَانِ مِثْلُ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ، وَكَانَتْ بِي رَفِيقَةً، فَلَمَّا كَانَ الْبَارِحَةَ جَعَلَتْ تَشْتُمُكَ وَتَقَعُ فِيكَ، فَأَخَذْتُ الْمِغْوَلَ فَوَضَعْتُهُ فِي

---

(١) أحكام القرآن.

(٢) أبو داوود برقم ٤٣٦٢، وجوَّده ابن تيمية.

بَطْنِهَا وَاتَّكَأْتُ عَلَيْهَا حَتَّى قَتَلْتُهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَدَرٌ»[١].

قال الصنعاني: (الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يُقْتَلُ مَنْ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ وَيُهْدَرُ دَمُهُ، فَإِنْ كَانَ مُسْلِماً كَانَ سَبُّهُ لَهُ ﷺ رِدَّةً فَيُقْتَلُ، قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ مِنْ غَيْرِ اسْتِتَابَةٍ وَنَقَلَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ الْأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ أَنَّهُ يُسْتَتَابُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ إلَّا أَنْ يُسْلِمَ)[٢].

ثالثاً: إذا كان محارباً:

فقتله من باب أولى فهو جمع بين الكفر والمحاربة وسب النبي ﷺ. فعَنْ صَالِحِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي فَإِذَا أَنَا بِغُلاَمَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ! هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ؛ مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا. فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الآخَرُ فَقَالَ لِي مِثْلَهَا، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِي جَهْلٍ يَجُولُ فِي النَّاسِ، قُلْتُ: أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي سَأَلْتُمَانِي. فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهُ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ فَقَالَ: «أَيُّكُمَا قَتَلَهُ». قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَا قَتَلْتُهُ. فَقَالَ: «هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا». قَالاَ: لاَ. فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ فَقَالَ: «كِلاَكُمَا قَتَلَهُ»[٣].

---

(١) أبو داود، برقم ٤٣٦٣، صححه الألباني.

(٢) سبل السلام: ٥/ ٤٨٠.

(٣) البخاري، برقم ٣١٤١.

المبحث الثالث: كفالة الحريات وسب النبي ﷺ

المطلب الأول: مفهوم الحرية:

يقصد بالحرية: قدرة الإنسان على فعل الشيء أو تركه بإرادته الذاتية، وهي ملكة خاصة يتمتع بها كل إنسان عاقل ويصدر بها أفعاله، بعيداً عن سيطرة الآخرين؛ لأنه ليس مملوكاً لأحد لا في نفسه ولا في بلده ولا في قومه ولا في أمته.

وهذه الحرية في مجالات مختلفة، منها:

أولاً: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية: وتشمل التالي:

أ - **الحرية الشخصية**: والمقصود بها: أن يكون الإنسان قادراً على التصرف في شؤون نفسه، وفي كل ما يتعلق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه، في نفسه وعرضه وماله، على ألا يكون في تصرفه عدوان على غيره.

ب - **حرية التنقل (الغدو والرواح)**: والمقصود بها: أن يكون الإنسان حراً في السفر والتنقل داخل بلده وخارجه دون عوائق تمنعه، قال - تعالى -: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [**الملك**: ١٥].

ج - **حرية المأوى والمسكن**: فمتى قدر الإنسان على اقتناء مسكنه؛ فله حرية ذلك.

د- **حرية التملك**: ويقصد بالتملك: حيازة الإنسان للشيء وامتلاكه له، وقدرته على التصرف فيه، وانتفاعه به عند انتفاء الموانع الشرعية.

هـ - حرية العمل.

ثانياً: الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية:

أ - **حرية الاعتقاد**: ويقصد بها: اختيار الإنسان لدين يريده بيقين، وعقيدة يرتضيها عن قناعة، دون أن يكرهه شخص آخر على ذلك؛ فإن الإكراه يفسد اختيار الإنسان، ويجعل المكره مسلوب الإرادة، فينتفي بذلك رضاه واقتناعه، وقد قال الله - تعالى -: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٦].

ب - **حرية الرأي**: وتسمى أيضاً بحرية التفكير والتعبير.

ج - **حرية التعلم**: طلب العلم والمعرفة حق كفله الإسلام للفرد، ومنحه حرية السعي في تحصيله، ولم يقيد شيئاً منه، مما تعلقت به مصلحة المسلمين ديناً ودنيا.

د - **الحرية السياسية**: ويقصد بها: حق الإنسان في اختيار سلطة الحكم، وانتخابها، ومراقبة أدائها، ومحاسبتها، ونقدها.

ويختلف مفهوم الحريات في الشريعة عن غيره.

المسألة الأولى: مفهوم الحريات في الشريعة:

مفهوم الحرية في الإسلام هو أن الإنسان له كامل الحقوق والتصرف ولكن بضوابط؛ لئلا تكون فوضى. وتتلخص هذه الضوابط في التالي:

أ - أن لا يكون فيها تعدٍّ لحدود الله - تعالى - وانتهاك لشرعه.

ب - ألا تؤدي حرية الفرد أو الجماعة إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

ج - ألا تفوت حقوقاً أعم منها، وذلك بالنظر إلى قيمتها في ذاتها ورتبتها ونتائجها.

د - ألا تؤدي حريته إلى الإضرار بحرية الآخرين.

فالحرية في الإسلام لا تعني الفوضى وارتكاب الموبقات والمنكرات باسم الحرية واستباحة محارم الله والانغماس في الشهوات المحرمة، فالحرية التي تبيح هذه المحظورات هي فوضى، وتصور خاطئ للحرية، وقد صحح الإسلام هذا التصور الخاطئ وقرر حرية الناس منذ ولادتهم، وأنه لا يجوز استعبادهم، كما لا يجوز تقييد حرياتهم وكل حق لهم، يقابله واجب عليهم؛ ليكون هناك توازن في الحياة والتعايش مع الآخرين ولكن وَفْق حدود الشرع.

قال - تعالى -: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [**البقرة**: ١٨٧].

وقال - تعالى -: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [**البقرة**: ٢٢٩].

وقال - تعالى -: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**﴾ [**النساء**: ١٣ - ١٤].

فعمر ابن الخطاب - رضي الله عنه - يقبل نصيحة خولة بنت حكيم والناس معه على حمار فاستوقفته طويلاً ووعظته وقالت: يا عمر! قد كنت تدعى عميراً، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين، فاتقِ الله يا عمر! فإنه من أيقن بالموت خاف

الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب، وهو واقف يسمع كلامها، فقيل له: يا أمير المؤمنين! أتقف لهذه العجوز هذا الوقوف؟ فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت إلا للصلاة المكتوبة، أتدرون من هذه العجوز؟ هي خولة[١]. وهذا كمال الحرية. وعمر نفسه - رضي الله عنه - هو الذي قال: دعني يارسول الله أضرب عنقه فقد نافق الرجل[٢].

المسألة الثانية: مفهوم الحريات عند العَلْمانيين ومن وافقهم:

إن مفهوم الحرية عند العلمانيين حرية مطلقة، لا يقيدها دين ولا شرع سماوي، بل تسورها قوانين أرضية غير متفق على نصوصها، فهي أسوارمتحركة، لها مسارات متعرجة بحسب البلاد والمجتمعات. كما يقولون: (الدين لله والوطن للجميع).

وهذه هي الفوضى التي تقضي على أمن المجتمع وعلى استقراره وسلامته.

وهذا المفهوم يحوي كثيراً من المفاسد، منها ما يلي:

أولاً: استباحة الشرع للعامة والخاصة وإبطال أصوله وفروعه وانتهاك محارمه وتجاوز حدوده.

ثانياً: إبعاد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنها مقيدة للحريات فيُسَبُّ الله - تعالى - ويُسَبُّ رسوله بغير نكير في إطار كفالة الحريات. ويترتب على ذلك انتشار الفساد وعلو الشر.

ولا بد من الإشارة إلى أن المنكر أعم من المعصية فقد يصدر المنكر من غير المكلف

---

(١) تفسير القرطبي: ١٧/ ٢٢٠.

(٢) صحيح البخاري، برقم ٣٠٨١.

كالكافر والصبي فيجب الإنكار عليه، ولا يحتج بكفالة الحريات لإبعاد الإنكار، فأغلب أعداء هذه الفريضة هم دعاة كفالة الحريات. قال الإمام الغزالي: (إن المنكر أعم من المعصية إذ من رأى صبياً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه وكذا إن رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة فعليه أن يمنعه منه)[1].

(١) إحياء علوم الدين: ٢/ ٣٢٤.

المبحث الرابع: شبهات العَلْمانيين دعاة الحرية

الشبهة الأولى: ترغيب الناس في الإسلام:

فلو أقيم حد الردة على سابِّ النبي ﷺ المسلم وقتل الكافر لكان ذلك منفراً للناس من الدخول في الإسلام.

فهو بمثابة من يدخل الكنيسة ويتمسح بالصليب ليتزوج بامرأة يرجو إسلامها فيدخلها في الدين ليخرج هو منه.

والسؤال: هل يسترضى الكافر بسبِّ الشرع وأصوله ليدخل في الدين؟

الشبهة الثانية: (لا إكراه في الدين):

يستدل بعض العَلْمانيين بقوله - تعالى -: ﴿**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٦]، باعتبار أن الشخص له ما يقوله وما يعتقده حتى تغيير دينه. وهذا المفهوم يوظفه العلمانيون لاستباحة الدين.

وبطلانه واضح؛ لأن المفسرين أجمعوا على أن المقصود عدم إكراه أحد للدخول في الدين بل بالقناعة، بدليل قوله - تعالى -: ﴿**قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [**البقرة**: ٢٥٦] ولا يمكن أن تكون دليلاً لجواز سب الشرع والدين وسيد المرسلين.

ولأن الأمر لا يعني الساب في شخصه ولكن تعدى إلى أمر آخر وهو الشرع.

فلو كان استدلال العلمانين صحيحاً لما قال ﷺ: «من بدَّل دينه فاقتلوه»[١]، ولما أقام أبو موسى ومعاذ – رضي الله عنهما – حد الردة في الذي تهوَّد.

ولو كان الاستدلال صحيحاً لما أهدر النبي ﷺ دم المرأة التي كانت تسبه، ولما أمر بقتل كعب بن الأشرف إلى غير ذلك.

(١) البخاري: برقم ٢٨٥٤.

المبحث الخامس: إلزامات عقلية ومنطقية

أولاً: هل الحريات في الغرب موجودة حتى يستدل بها لاستباحة سب النبي ﷺ:

إن الغرب لا يعرف الحريات في القضايا التي يعدّونها خطوطاً حمراء حتى يحتج بها لإباحة سب النبي ﷺ، وهناك شواهد عديدة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

أولاً: في عام ١٩٩١م قام (جنتر ديكارت) زعيم الحزب الوطني الديمقراطي الألماني (يميني متطرّف) بعقد محاضرة استضاف فيها محاضراً أمريكياً أشار فيها إلى أن رواية قتل اليهود بالغاز غير صحيحة. وترتب على ذلك أن قُدّم (ديكارت) للمحاكمة، وعوقب طبقاً للقانون الذي يحظر الأحقاد بين المجموعات العرقية.

ثانياً: وفي شهر مارس ١٩٩٤م حوكم (ديكارت) مرة أخرى وحكم عليه بالسجن لمدة عام واحد مع وقف التنفيذ، بالإضافة إلى غرامة خفيفة، مما أدى إلى تعرّض القضاة الذين حاكموا (ديكارت) لموجة من الغضب والنقد من القضاة الآخرين، بسبب ضآلة العقوبة التي حكموا بها، مما أدّى إلى تدخل المحكمة الفيدرالية التي أبطلت الحكم وأمرت بإعادة المحاكمة.

ثالثاً: وفي إبريل ١٩٩٤م أعلنت المحكمة الدستورية الألمانية أن أية محاولة لإنكار حدوث (الهولكوست) لا تتمتع بحماية حق حرّية التعبير التي يمنحها الدستور الألماني، مما دفع البرلمان الألماني إلى أن يسن قانوناً يجرّم أيّة محاولة لإنكار وقوع (الهولكوست)، ويوقع بمرتكب هذه الجريمة عقوبة حُدّدت بالسجن خمس سنوات بغضِّ النظر عمَّا إذا كان المتحدّث ينكره أو لا.

رابعاً: وفي عام ١٩٩٣م تم نشر ترجمة ألمانية لكتاب أمريكي عنوانه (العين بالعين)، غير أن الناشر تنبَّه إلى خطورة الأمر فقام على الفور بسحبه وإتلاف كل نسخ الطبعة الألمانية رغم توزيعها في السوق، تحاشياً للوقوع تحت طائلة القانون أو إثارة غضب الرأي العام، وذلك لأن الكتاب يورد أن (ستالين) كان يتعمَّد اختيار اليهود للقيام بالأعمال البوليسية السريّة في بولندا بعد الحرب العالمية الثانية.

خامساً: وفي النمسا من المتعارف عليه قانونياً معاقبة كل من أنكر وجود غرف الغاز التي أقامها النازيون أثناء الحرب العالمية الثانية بالسجن، غير أنه في العام ١٩٩٢م تم تعديل القانون ليطال التجريم أية محاولة تنكر أو تخفّف أو تمدح أو تبرّر أيّاً من جرائم النازية، سواء بالكلمة المكتوبة أو المذاعة[١].

ثانياً: أليس هناك قوانين مقيدة للحريات تقتضي الضرورة وجودها؟

إن الفطرة السليمة والواقع يشهدان بضرورة وجود حدود للحريات حتى لا تكون سبباً في فوضى عارمة تثمر الدمار والخراب.

فهناك الكثير من القوانين التي يلتزم بها الناس حتى دعاة الحرية مع أنها مقيدة للحريات، فإذا جاؤوا إلى المسائل الشرعية جعلوها كَلَأً مباحاً محتجين بكفالة الحريات. ومن هذه القوانين: قانون الجمارك والضرائب الذي يقيد حرية التملك، وقانون المرور الذي يقيد حرية الحركة، وقانون الانتخابات الذي يقيد حرية الممارسة السياسية، إلى غير ذلك من القوانين.

فهذا اعتراف واضح ودليل صريح على أن الحرية لا بد لها من حدود يجب ألا تتجاوز.

---

(١) راجع هذه النماذج وغيرها في كتاب مجموعة الخطب والدروس، علي بن نايف الشحود.

ويستغرب المرء حين يجد أن مقدَّسات المسلمين وحدها هي الكَلأُ المباح الذي لا يعاقب القانون مقترفه بأية عقوبة، ويفتح فيه الباب على مصراعيه.

ثالثاً: حرية الفكر أم حرية الكفر:

من الواضح أن أهل الحريات المطلقة لا يريدون حرية الفكر لأنهم يعلمون جيداً أن الإسلام في ميدان الحوار لا يُبارَز ولا يُهزَم، وإنما أرادوا حرية الكفر، وكل من يعترض يعدُّ عدواً للحريات ولربما أصبح تكفيرياً إذا أصدر حكم الله تعالى.

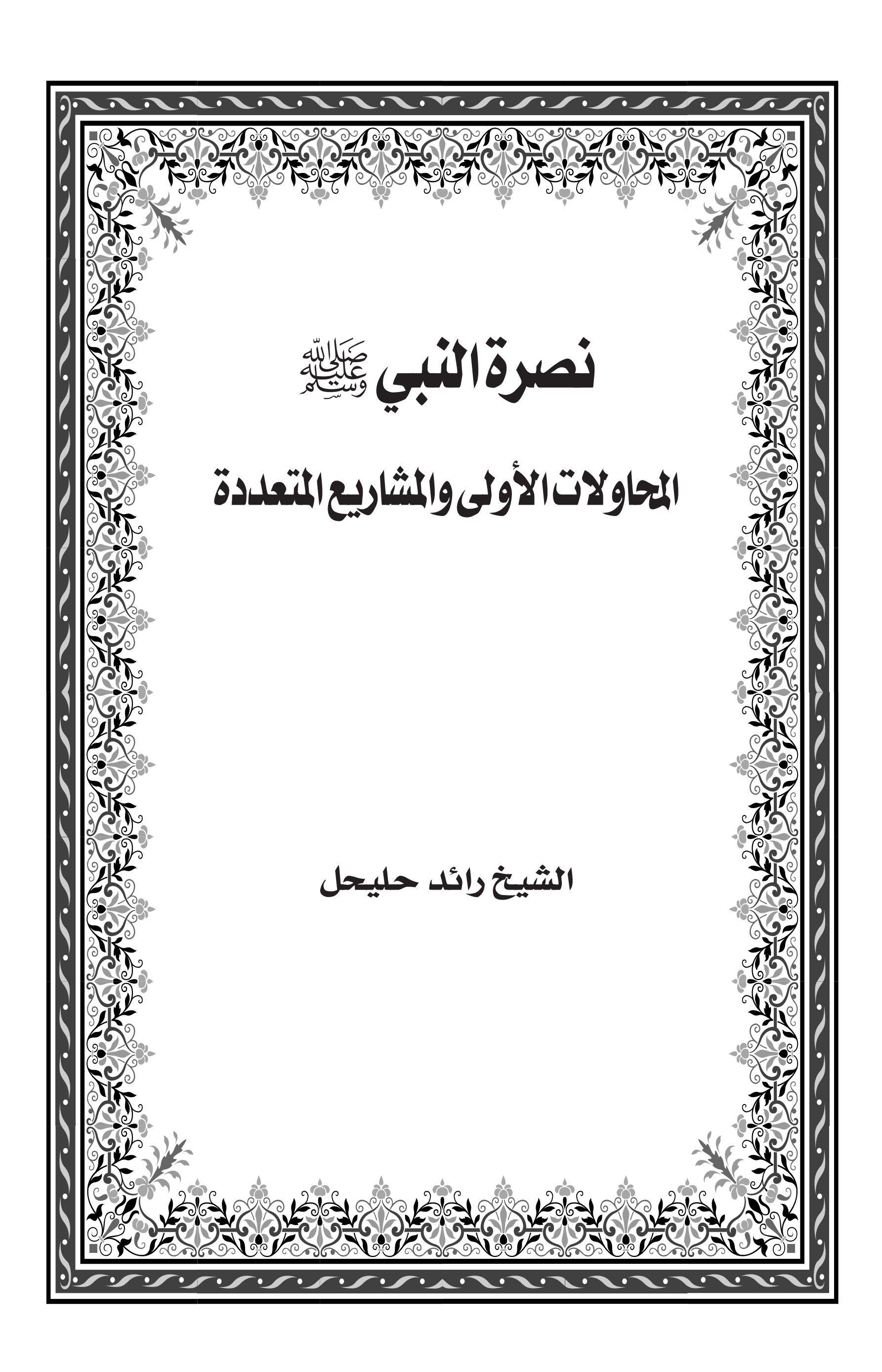
الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد وضح جلياً من خلال الورقة أن الغرب لا يعرف الحريات ولا يحترم حق الناس في العبادة حتى يباح بها سب النبي ﷺ، ولكنها الحريات العرجاء التي بها ينتقص الدين ويتعرض لجناب سيد المرسلين، ولا يخفى على أي عاقل ما تحمله هذه الكلمة في طياتها.

ولو كانت لي توصية في ختام هذه الورقة فهي لأمة المصطفى ﷺ أن توحد صفها في مواجهة أعداء نبيها وأن تلتمس كل الوسائل المشروعة والمتاحة لمواجهتهم.

والله الموفق.



نصرة النبي ﷺ

المحاولات الأولى والمشاريع المتعددة

الشيخ رائد حليحل

ملخص البحث

بعد سرد موجز لبدايات القضية وعرض لردود الفعل المبدئية عليها والتي كانت في الغالب فردية أو شبه ذلك.

وكانت الردود من داخل الدانمرك وذلك قبل خروج القضية للعالم الإسلامي.

وبعد تسارع الأحداث وظهور الصلف الدانمركي وعدم التجاوب؛ تم إشراك العالم الإسلامي ليقوم بدوره الحضاري والرسالي في الرد على المعتدين وحماية جناب المصطفى ﷺ.

ولقد كانت النصرة في أبهى حلة، إذ كانت فتحاً وتوفيقاً ربانياً، ولقد كان أثرها على المسلمين عظيماً؛ فهي التي جمعتهم بعد طول شتات، وأثرت في غير المسلمين إذ أوجدت عندهم صدمة جعلتهم يراجعون أنفسهم، فتضاعف دخول بعضهم في الإسلام وبشكل ملحوظ وتحديداً عقب الرسومات وردَّات الفعل عليها.

بدأت ردَّات الفعل تتبلور وتتنامى وترتفع وتيرتها فصدرت البيانات الرسمية، والشعبية ومن الشخصيات المؤثرة والجمعيات والتيارات، وخرج العديد من المقالات التحليلية والفكرية والردود وكانت شاملة ومتنوعة (كماً ونوعاً). ولقد أسهم الشعراء وتبعهم المنشدون بالنصرة المباركة، ثم ظهرت طفرة الشعارات والفلاشات والبنرات، مما كان له الأثر التشجيعي الكبير والحافز المهم لاستمرار جذوة النصرة. وكان للكتاب دوره وقد بدأت بوادر ترجمة خجولة تحتاج إلى تنسيق ومتابعة وتخطيط.

أما الإعلام فحدِّث ولا حرج سواء على صعيد القنوات الفضائية المساهمة في

النصرة أو المتخصصة التي أنشئت لهذا الغرض النبيل، وعلى صعيد شبكة المعلومات فقد كان لها قصب السبق.

وقد أوردت الكثير من الأمثلة والروابط والعناوين بشكل يشبه الإحصاء لتعمَّ الفائدة.

وفي العموم فقد كانت الحركة طيبة، وكل بني آدم خطاء، والمهم الاستفادة من هذه التجربة وتوظيف الطاقات والجهود وضرورة الاستمرار والثبات وعدم التراجع مع ضرورة التقييم للتحسين وليس للتواني، ومن الضروري التنسيق بين المساهمين بالنصرة حتى لا تهدر الطاقات بتكرار الجهود وحتى يتقوى بعضنا ببعض ونتعاون على البر والتقوى كما أمرنا ربنا سبحانه وتعالى.

مدخل للبحث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ:

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [**آل عمران**: ١٠٢].

﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [**النساء**: ١].

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)** ﴾ [**الأحزاب**: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فهذه ورقة عمل مقدَّمة من العبد الفقير إلى الله: رائد شفيق حليحل إلى مؤتمر (رحمة للعالمين)، وهو مهتم بقراءة تحليلية لحملات التطاول وإستراتيجية الدفاع، وستكون مداخلتي ضمن محور (التعريف بمشاريع الدفاع عن النبي ﷺ)، والذي عقد في السودان وأقامته مجلة البيان بالتعاون مع إذاعة طيبة في السودان.

فأقول مستعيناً بالله – عز وجل –:

إنه لا يخفى على كل مهتم ما يتعرض له الإسلام وأهله من اعتداء من أهل

الكفر. ومن المعلوم أن الهجوم على مقدسات المسلمين ليس أمراً جديداً بل هو قديم قِدَم الرسالة السماوية المباركة، فقد قال الله - عز وجل -: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** ﴾ [**الفرقان**: ٣١]، وقال: ﴿ **وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ** ﴾ [**الأنعام**: ١٠].

ولم تكن إساءات الدانمرك الأولى ولن تكون الأخيرة، ولكن حكمة الله - عز وجل - اقتضت أن تكون تلك الرسومات الآثمة محنة؛ لكن في ثناياها منحة، فقد أثارت تلك الرسومات ضجة عالمية وألهبت روح الحماس الصادق في أمة الحبيب ﷺ وهبت معالم نصرة سوف لن ينساها الكفار فضلاً عن المسلمين.

وقد بدأت سلسلة تلك الإساءة يوم الجمعة الأخيرة من شهر شعبان الموافق ٣٠/ ٩/ ٢٠٠٥م.

وأصبح معلوماً للمتابعين أن تلك الرسومات (١٢) أصدرتها جريدة (اليولاند بوسطن) الدانمركية مصحوبة بمقال للمحرر الثقافي للجريدة يطالب فيه المسلمين بتقبُّل تلك الإساءة بروح رياضية، وأن عليهم أن يذعنوا لذلك مهما كان قاسياً؛ لأن ذلك من بديهيات الديموقراطية التي تكفل للجميع حرية التعبير.

وبعد تشاور وتداول مع أكثر من جهة تم التوافق على عقد لقاء يجمع الأغلبية العظمى من المسلمين - داخل الدانمرك - للتشاور والتباحث فيما يلزم القيام به وعمله، وبالفعل تم التوافق على عملٍ ما أياً كانت ماهيته المهم هو عدم السماح للمسيئين بتمرير إساءتهم دون تسجيل موقف يمليه الواجب الديني ويحتّمه الواقع وملابسات الإساءة، والمسؤولية التاريخية والحضارية والتي نحن بوصفنا مسلمين مقيمين في الدانمرك مؤتمنون عليها.

بشائر النصرة:

كانت البداية أشبه بجهود فردية، وهنا لا يسعني إلا أن أشكر إخوة نبلاء أخذوا الموضوع على عاتقهم؛ متابعةً لمجريات الحدث ورصداً للأحداث وترجمةً لما يتعين ترجمته، وهم إخوة فضلاء من لبنان والصومال وفلسطين، فجزاهم الله خير الجزاء، وهم والله بمثابة (الجندي المجهول)، فأسأل الله أن يعلي قدرهم ويجعل عملهم خالصاً لوجهه الكريم.

كان لي - بفضل الله - شرف كتابة أول رد على الرسومات وقد ترجم إلى الدانمركية وأرسل إلى وسائل الإعلام.

وفي أول جمعة من رمضان (مباشرةً عقب نشر الرسوم) تمَّ حث الناس على المشاركة في النصرة حتى لا يقال: إن الأئمة فقط هم الذين انزعجوا - كما صورت الصحيفة - وبالفعل تعاطف الناس فخرجوا منهم المتصل ومنهم الذي أرسل رسالة عبر الفاكس أو البريد حتى إن الصحيفة بعد ساعتين أقرت بالكم الهائل من الاستنكارات التي تلقتها.

ثم تبلورت الفكرة ليعرض على الناس عدة نماذج من الاستنكار ويختار المسلم منها إن كان عاجزاً عن الكتابة بنفسه، ثم بدأت حملة لجمع التواقيع التي بلغت - بفضل الله - حوالي عشرين ألف توقيع قدمت لاحقاً إلى الجهات المختصة لدعم القضية من الجهة القانونية.

ومن أجل تفعيل القضية تم مراسلة الجهات الرسمية مثل: وزير الثقافة وبعض الساسة والبرلمانيين.

وفي الوقت نفسه تم مراسلة سفارات العالم الإسلامي الموجودة في العاصمة الدانمركية (كوبنهاجن).

وبعد تسارع الأحداث وإصرار الصحيفة على موقفها والذي تمثل بأمرين:

الأول: إفرادها عبر موقعها الإلكتروني رابطاً خاصاً بعنوان سيئ (انظر: إلى صورة محمد) ووضعوا تلك الرسومات.

الثاني: إصدارهم مقالاً - ولأول مرة في عمر الدانمرك كلها - باللغة العربية بعنوان لافت فيه حيدة عن حقيقة المشكلة ليبرروا بذلك إساءتهم (الكلمة حرة).

هذا الإصرار من الصحيفة قابله دعم حكومي تمثل بالامتناع عن مقابلة سفراء العالم الإسلامي، وتصريحهم بأن حرية الرأي لا يمكن التنازل عنها - زعموا - واستقبال امرأة من أصل صومالي - هولنديّة - وهي من كتبت سيناريو فيلم وثائقي مسيء قتل مخرجه - لاحقاً - من شاب متحمس. فاستقبلها وقلّدها وساماً - أعني: رئيس الوزراء - واستقبلت على القناة الدانمركية وأعلنت أنها مرتاحة جداً للأجواء الديموقراطية في الدانمرك مما شجعها لإصدار الجزء الثاني من فيلمها في الدانمرك - مشروع استكمال لفيلمها - ناهيك عن إصدار صحيفة أخرى لصور أسوأ من سابقتها، وكذا ما أقدم عليه مجهولون وفي أكثر من مكان بإرسال رسائل إلى بعض المسلمين تحتوي على رسومات أشد وأنكى مما نشر يزعمون أنها لرسولنا ﷺ.

فكانت كل المؤشرات توحي بأن القوم يريدون منا أن نتقبل الأمر وبذلك نكون قد استفدنا من الغرب وأتقنّا فن الديموقراطية على طريقتهم وهواهم.

فكان لزاماً علينا أن نتحرك بشكل منظم فكانت بدايات تبلور لجنتنا (اللجنة

الأوروبية لنصرة خير البرية) وإن كانت لا تحمل يومها هذا الاسم بل عرفت يومها (لجنة الدفاع عن النبي ﷺ) فأصدرنا بياناً.

وطبعاً تُرجم هذا البيان وأرسل إلى الإعلام الدانمركي. ولما وجدنا أن الحمل علينا كبير قررنا أن نطلع العالم الإسلامي على ذلك: لخطورة الموقف، ولأن الموضوع أثير عبر الشبكة الإلكترونية (فأصبح عالمياً) وموقف رئيس الوزراء الدانمركي مع السفراء وتجاهل الصحيفة والحكومة أصوات المسلمين في الدانمرك، عند ذلك بدأنا بإطلاع العالم الإسلامي على التفاصيل لتكتمل الصورة وليأخذ أهل الحل والعقد دورهم في إزالة هذا المنكر العظيم فكان بياننا الثاني موجهاً إلى العالم الإسلامي.

وللتواصل المثمر تمّ إرسال الوفود إلى العالم الإسلامي فكانت البداية بمصر والتي نسجل لسفيرتها كل الشكر والتقدير لمواقفها الإيجابية والتي شجعت وأعانت وسرعت بسفر وفدنا إلى مصر وكانت النتائج طيبة سواء على الصعيد الرسمي ممثلاً بالخارجية المصرية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ومشيخة الأزهر ودار الإفتاء، أو على الصعيد الشعبي.

وجاءت زيارة لبنان لعدة اعتبارات، منها: التعددية (الطائفية)، ومن جهة ثانية موضوع له علاقة بالحوار الثقافي الذي ترعاه الدانمرك والذي كانت بدأت فيه بخطوات عملية فأردنا الضغط عليها من خلال ذلك بإفشال مشروعها الذي يتناقض تماماً مع ما أقدموا عليه من إساءة، وضرورة إفهامهم أن الحوارات الثقافية لا يمكن أن تُبنى بهذه الطريقة الاستبدادية، وأنهم أحوج من غيرهم إلى يعرفوا أصول الحوار الثقافي؛ فقبل أن يعلّموا الناس لا بد أن يتعلموا هم أنفسهم، وبديهي أن فاقد الشيء لا يعطيه.

وبعدها كفانا الله عناء السفر إلى البلدان حيث تسارعت الأحداث وهبَّت النصرة في العالم كله.

والذي ميز تلك المرحلة – أعني: بدايات النصرة – أنها كانت دانمركية بامتياز، إذ إن من قام بها هم من الدانمرك، وكانت تراعي البيئة والمفاهيم السائدة في الدانمرك، واتبعنا فيها ما هو متاح في عرف المجتمع الدانمركي؛ من جمع توقيعات ورفع دعاوى قضائية ومحاولة اختراق الإعلام الذي وجدناه حصناً منيعاً إلا الشيء البسيط والذي حرك بدوافع تنافسية. ولم تخل تلك الفترة من مدٍّ وجزر وشدٍّ وجذب والذي زادت وتيرته بعد تصاعد وتيرة النصرة وبعد بعض المخاوف الخاصة أو العامة الدعوية أو الشخصية والتي جعلت بعضهم متردداً بين إكمال المسيرة، أو الاكتفاء بما قدَّم ظناً منه أن الذمة قد برأت ونحو ذلك مما لا يخفى على المهتمين.

ولكن إنصافاً أقول: إن تلك الحقبة قد أظهرت طاقات كانت مخفية وأفكاراً خلاقة وإبداعية، وتضحيات جمَّة دفع ثمنها بعض الأخيار ممن سرِّح من عمله أو كسدت تجارته أو خسر بعض متاع الحياة الدنيا، ولكن لا شك أن العاقبة عند الله فنرجو الإخلاص والقبول.

إنجازات لا بد أن نقرَّ بها:

يحلو لبعض المحبطين دائماً أن لا ينظر إلى الجانب المضيء والمشرق ولا يرى إلا النصف الفارغ من الكأس، فتراه يتحدث عن الغوغائية والانفعالية غير المنضبطة والمظاهر السلبية التي واكبت أعمال النصرة وكأنه متشكك من كل شيء، لسان حاله بل مقاله: ماذا حققنا؟ ونحو ذلك، وأنا أقول: تحقيق النتائج أو عدمه أمره إلى الله، ونحن ما علينا إلا إبراء ذمتنا بأداء ما علينا من واجب.

فقد وجهنا رسالة واضحة إلى كل العالم أننا قوم نجلُّ ونحب ونفدي رسولنا ﷺ بكل ما نملك، فهو أعز عندنا من كل شيء حتى من أرواحنا التي بين جنبينا.

وإليكم تلك البشارة:

نشرت صحيفة دانمركية (متدينة) مقالاً يتعاتب فيه القساوسة أنهم لم يبشروا بدينهم كما ينبغي ولم يحملوا رسالتهم بالشكل الصحيح كما فعل المسلمون، فقد اعتنق الإسلام حوالي سبعة آلاف دانمركي خلال عامين - أي: من بعد الرسومات - ومعظمهم تحت سنِّ الثلاثين، بينما من سبع سنوات لم يعتنق النصرانية سوى ٧٠٠، وهم ليسوا بالأصل من المسلمين (فيكند أفيزن) ١٠/ ٢٠٠٧م.

فإياكم أن تظنوا أن القوم لم تأثِّر بهم نصرتكم، بل والله لقد أثرت جداً، بل لقد ذهل القوم ففي حساباتهم المادية لا داعي لكي ينتفض العالم كله بهذا الشكل من أجل رسم كاريكاتوري لشخص رحل عن هذا العالم منذ أربعة عشر قرناً ولذلك كان لنصرتكم الحافز لهؤلاء كي يقبلوا ليتعرفوا على الإسلام، ولا عجب أن علمنا أن أكثر شيء راج كهدية بعد الرسومات وفي أعز المناسبات - عندهم - هو القرآن الكريم.

أتظنون أن النصرة وما واكبها كان بسيطاً أو يسيراً؟ أبداً.

سلوا منابرنا كم صدحت باسمه ومجدته ﷺ وعلى رأس ذلك - درة المنابر - أعني: الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى المبارك - ردَّه الله إلينا - وسائر المساجد في شرق الأرض وغربها وحتى في أوروبا.

سلوا شبكة المعلومات - الإنترنت - على سعتها كم ضاقت أمام الحجم الهائل للمشاركات، حتى المنتديات البعيدة عن الالتزام لم يعد لها همٌّ إلا النصرة، كم من

روابط خاصة بالنصرة فتحت بل حتى مواقع جديدة حتى إن المتصفح عبر الباحث الإلكتروني ليحار من أين يبدأ ومتى سينتهي.

راجعوا المحطات الأرضية والفضائية كم أفردت من برامج ولقاءات لنصرة الحبيب ﷺ.

وكم من محطات مختصة بالنصرة فتحت أو هي في طريقها إلى الافتتاح.

سلوا الشعراء كم أمدتهم النصرة فأثارت قريحتهم ولَكَم عجزت الأقلام عن كتابة كل ما عنَّ على بالهم.

وسائل المنشدين كم تغنوا بحبه والذود عنه والذب عن سنته وسامحوني إن قلت حتى بعض المغنين شارك في ذلك.

راجعوا محلات المسلمين - حتى هذه اللحظة - كم ستجدوا من شعارات النصرة - كماً ونوعاً -.

كم من المقالات النافعات كتبت، وكم من البيانات الساطعات قد سطرت، وكم من الكتب ألفت أو ترجمت.

بل كم من البنرات والفلاشات قد وجدت وهي تقطر حباً وإجلالاً ومهابة ونصرة لرسولنا الحبيب ﷺ.

ما السر الذي حرك العالم؟!

سؤال مهم جداً حيَّرني وما زال كذلك. لقد استهزئ بالنبي الكريم ﷺ في حياته وبعد مماته وفعل ذلك أناس قبل الدانمرك وبعدها (إساءة بابا الفاتيكان - وإساءة السويد).

واليوم تعود الدانمرك إلى واجهة الأحداث عندما أقدمت عجوز شمطاء – دانمركية عنصرية – وجعلت شعار حملتها الانتخابية أحد الرسوم المزعومة لنبينا وتقول: إن حرية الرأي حق لا تراجع عنه.

فلماذا لم يتحرك العالم من قبل أو من بعد؟ قد لا أمتلك الجواب لكن يقيني بحكمة الله – عز وجل – تجعلني أوقن أن ذلك كان لحكمة. ولتقريب ذلك أقول: الدين هو الدين ومع ذلك يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد الدين في حياة الناس. وكذا هنا؛ النبي هو النبي ﷺ وحبه في القلوب عامر بفضل الله، وفي هذه المرة اقتضت الحكمة الإلهية إبراز ما للمصطفى ﷺ من مكانة وفضل. فقد كانت الرسومات بمثابة الامتحان للأمة لتعبر عن صدق محبتها.

وليكون ذلك حجة على الخلق فيكون بمثابة التجديد لدعوته، حتى إن أحد المختصين بل محرر الصحيفة المسيئة يقول: إن ما فعله المسلمون لقَّن الجميع درساً وأرجع مبادئنا إلى الوراء سنوات كثيرة؛ فلن تتجرأ الأجيال القادمة من مزاولة حريتها مهابة من المسلمين (قال ذلك إبان النصرة).

إسهامات المسلمين بالنصرة المجيدة:

لقد كان لعامة الأمة شرف المساهمة الطيبة في نصرة الحبيب ﷺ ولم يتخلف عن ذلك إلا محروم.

فلم يبق بلد إلا وفيه لجنة نصرة ولم يخلُ بلد – حتى في الغرب – من فعل كبيراً كان أو صغيراً إلا وأسهم الجميع بذلك، حتى إن بعض العربات البسيطة والتي يبيع فيها أصحابها الشيء اليسير الذي قد يكفيهم وقد لا يؤمن لهم كفاف

رزقهم - وحتى اليوم - تجدهم جادين في المقاطعة وما زال شعارها يزين عرباتهم أو محلاتهم الصغيرة.

وقد أخذت النصرة والدفاع عن الحبيب ﷺ صوراً شتى كل حسب طاقته أو تخصصه أو مجاله.

وسأعرض في هذه العجالة بعض تلك النماذج وأهمها محاولاً الاستفادة منها وإبراز عناصر القوة فيها للاستفادة منها. والإشارة إلى نقاط الضعف فيها لاجتنابها سائلاً المولى - عز وجل - أن يلهمني الصواب والسداد والإخلاص.

البيانات والمقالات:

لقد جمعت عناوين قرابة خمسين بياناً.

ولا يسعنا هنا إلا أن نبين أن البيانات الرسمية من الهيئات والمنظمات والصادرة عن بعض الدول سواء وزارات أو مجالس نيابية أو وزارية - وهي موجودة وبكثرة - لم أتعرض لها؛ لأني لا أرى أن هذا مجالها، إنما أردت البيانات الصادرة عن جمعيات أو مؤسسات أو شخصيات دعوية.

والملاحظ عليها أمور:

- من أوائل البيانات التي صدرت كانت بتاريخ شهر ١/ ٢٠٠٦م، بينما الإساءة وقعت في نهاية شهر ٩/ ٢٠٠٥م، أي: بعد ثلاثة أشهرمن الإساءة، وهي نقطة ضعف إذ لا بد من متابعة الحدث أولاً بأول.

- لم تكن البيانات منضبطة بضابط معين بل كانت في غالبها تتأثر بالأجواء المحيطة. وعلى سبيل المثال: فقد طالب ممثل منظمة إسلامية - في أوروبا - بالمقاطعة

الشاملة حتى الجوية منها بحظر رحلات جوية لطيران البلد الذي تصدر منه الإساءة بينما نجد اليوم المنظمة نفسها وبعد أحداث السويد تطالب مسلمي العالم بعدم التدخل وأنها قضية محلية ولا داعي لتضخيم الأمور! فتأمَّل يا رعاك الله!

- في الأعم الأغلب كانت البيانات باللغة العربية، وكأننا نخاطب أنفسنا، بينما كان الأَوْلى إخراجها للقوم بلغتهم، أو عبر وكالات أنباء المهم أن يصل الصوت إليهم؛ لأنها في العموم كانت بيانات تناقش الشبهات وتفنِّدها والقوم بحاجة إلى سماع ذلك.

- في تلك الفترة حاول بعض الوصوليين انتهاز فترة النصرة لنيل مكاسب خاصة أو لتصفية حسابات سابقة فجاءت بيانات بعضهم مشبعة بذلك، حتى إن بعضهم نسي النصرة ولم يعد له همٌّ إلا نقد خصمه التقليدي، فسمعنا عن حرمة المقاطعة أو بدعيتها والله المستعان فقط لمخالفة من أطلق شعار المقاطعة.

- ومن أعظم ما كان في تلك الفترة جهود فردية جبارة تمثلت في صياغة بعض الرسائل وترجمتها واستخراج العناوين التي ينبغي مراسلتها كعنوان المحرر ووزارة الخارجية والثقافة والسفارات الدانمركية فجزى الله المجدين خيراً ورزقنا وإياهم شفاعة المصطفى ﷺ.

كموقع المسلم وموقع إسلاميات وسلسلة مواقع السلام فجزى الله الجميع خير الجزاء.

وشعار هؤلاء الأخيار (أيمس رسول الله وفينا عين تطرف)؟!

- وقد كان للمقالات الإسهام الأكبر، فما جمعته بلغ ما يربو على ٧٠٠ مقال، ولكن مشكلة البيانات هي نفسها مشكلة المقالات من حيث خطاب الذات وجعلها

ساحة صراع وتنازع وردود، وكونها لم تترجم في غالبها لتسهيل وصول الفكرة إلى مستحقيها.

- إن فكرة المقالات المعدة لخطاب غير المسلمين أمر مهم ولكنه يحتاج إلى جهود متنوعة بداية باختيار المادة المناسبة التي تخترق عقل ووجدان الإنسان الغربي، ومعلوم أن ما يصلح لنا لا يصلح لغيرنا؛ نظراً لاختلاف الثقافة والعادات والقيم وخلفية كل من الطرفين. ونحن لنا تجربة في هذا المجال إلى جانب التكلفة المالية الباهظة لعمل ذلك أعني: نشر ما في الصحف، فيتعين التشاور مع أهل البلد الذي وقعت فيه الإساءة ليكون العمل مثمراً أكثر بإذن الله.

قصائد وأشعار وأناشيد:

هجوت محمداً فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

هجوت مباركاً براً حنيفاً ... أمين الله شيمته الوفاء

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

إن هذه من عيون الشعر في مدح النبي الكريم ﷺ والدفاع عنه، ، وهي لشاعر الرسول ﷺ حسان بن ثابت - رضي الله عنه -، وقد وجد في هذه الأمة المعطاء من مشى على خطى حسان - رضي الله عنه - فناضل عن النبي ﷺ بسلاح الكلمة الذي حباه الله إياه. ومن القصائد الجميلة والمؤثرة قصيدة للشاعر عبد العزيز المقرن جزاه الله كل خير:

أمست معان النصر من كلماتي   لأذب عن عرض الرسول بذاتي
أحمي الرسول بما ملكت منافحاً   بالشعر أكتبه على الورقات
البدر يسمو في السماء بعزة   والشمس ساطعة بلا طاقات
والكلب ينبح لا يضر سماءنا   والإفك سوف يصيبكم بثباتي
لا لن يُضَر نبينا بحديثكم   بل زاد قدراً عالي الطبقات
يفدي النبي محمد كل الورى   هو مرسل الرحمن بالآيات
نحري بنحرك يا محمد إنني   متلهف للقائكم بمماتي
عرضي بعرضك يا نبي مليكنا   حان الوقوف لعِرضكم بثبات
يا فرحة الدنيا المليئة حينما   هل الحبيب وصاحب البركات
سقطت رماح القوم عند قدومه   واستبشرت في مجده أبيات
فلربما غصن الآراك بلينه   يثني المبارز يسقط الرايات
ولربما موت الكريم مخوف   للقوم إثر وفاته بهبات
ومؤكد سب الرسول يزيدنا   حب له و لديننا بحياة
هذا الحصاد وزرعكم هو شوكة   زادت فؤادي للنبي صِلاتي
فستعلمون بأننا من أمة   صلت على خير الأنام. وصاتي

وكانت:

يا حروف المجد قولي   كيف شوقي للرسول

وكانت:

يا رسول الله نفسي لمحياك الفداء   عابد الصلبان يحثو في سجاياك افتراء

فقد كانت تنبض بالحب والفداء ومنها الشعر الموزون ومنها الشعر النبطي وغير ذلك.

وان اعترى بعضها حدة وشدة وكأن الحرب قد قامت وكأن المنشد أو الشاعر مجهز جيش أو مسعر حرب وللأسف كان شعراً عبَّر عن خلجات الشاعر، أما الأمة فقد ارتضت بأقل من ذلك، وأصدق الشعر ما كان مناسباً للواقع ويحاكيه من دون مبالغة شديدة، ولكن يكفي أن الكلمة كان لها دورها المؤثر والكبير، وللإنصاف نقول: إن ما فيها من شدة وحدة عندما تُعرف أسبابه من شنيع فعلة القوم بالتطاول على مقام النبي الكريم فإن ذاك يغتفر حباً وكرامة لمقام الحبيب المصطفى ﷺ. وحتى تكتمل الفائدة فحبذا لو انتقي بعض الأشعار أو الأناشيد وتُرجمت إلى الدانمركية وغيرها من اللغات الأجنبية بوصفها رسالة دعوية يغلب عليها الجانب الرسالي لا التحدي، وأظن أن الوقت لم يفت فحبذا لو أننا نهتم بهذا الجانب.

فلاشات وبنرات في الدفاع عن الحبيب ﷺ:

أدهشني جداً هذا الإبداع في التتبع الذي فعله بعض الإخوة عندما تتبعوا المنتجات الدانمركية وأعلنوا عنها وعن ضرورة مقاطعتها مما سهل على كل مريد لذلك، وعبر دعايات فاقت دعايات القوم لتسويق منتجاتهم مما يدل على أن الأمة إذا عزمت على شيء فهي قادرة - بفضل الله - على إنجاز ما تريد وما عليها سوى الاعتماد على الله والتحلي بالصبر والعزيمة وبعدها سيرى العالم ما يدهشه من المسلمين.

فقد كانت العبارات جدّ مأثرة والإعلانات تشد المسلم، واختيار الكلمات المناسبة تماماً مع الإخراج الجيد وانتقاء المؤدين الجاذبين.

فتأمل في :

- عذراً رسول الله .
- إلا رسول الله .
- إلا الحبيب .
- نفسي لمحياك الفداء .
- نحورنا دون نحرك .
- يا أحباب محمد قاطعوهم نصرة لنبينا .

وغير ذلك كثير، ولا شك أنه حمّس المسلمين لحمل قضية النصرة، وقد جُعلت تلك الشعارات في المنازل والمحلات التجارية وعلى نوافذ السيارات، حتى أصبحت النصرة في كل مكان يرتاده المسلم فتبقى قضية يعيشها دائماً وأبداً لا يتخلى عنها، ولعل هذه كانت لغة العصر الأكثر شيوعاً وتأثيراً .

إرشادات وتوجيهات:

في تلك الفترة التي أصبحت النصرة فيها حديث الساعة بل غذاءً يومياً، قام العديد من الأخيار بخدمات جليلة كان منها تخصيص ملحقات في الإنترنت عن خصائص النبي وشمائله وردّ الشبهات الكاذبة عنه والإشارة إلى بعض الخطب الرائعة في بابها، ليستفيد منها العامي وطالب العلم بل والخطيب، وجمعت برامج عملية لا نظرية يمكن للمسلم من خلالها أن ينصر الحبيب ﷺ .

وبعض الصفحات غير المختصة كان لها نصيب من ذلك عبر المنتديات وحبذا لو جمع كل ذلك ليجعل في سجل واحد يؤرخ للقضية ويسهل الرجوع إلى تفاصيل

الأحداث وتجمع مادة الباب في موقع واحد يسهل الاستفادة على الجميع .

كتب متخصصة:

مع ضخامة الحدث وجلالته وفداحته إلا أنه لم يوجد إلا كتاب واحد عن النبي الكريم ﷺ باللغة الدانمركية . نعم فأنا لا أنكر جهود إخوة وأخوات في الدانمرك كان لهم جهد طيب في ترجمة بعض النشرات عن الإسلام بل وبعض الكتب ككتاب التوحيد والرحيق المختوم وتعريف عام بدين الإسلام وآخر عن الله والقرآن، لكن الذي حصل بعد أزمة الرسومات - وهو من سلبيات العمل الفردي - أن بعض الإخوة ومن دون مشاورة لا بالكتاب ولا بالكمية ولا أين يطبع وجدنا أنفسنا أمام كتاب واحد قدمته أكثر من جهة وبتكاليف باهظة نظراً إلى قضية شحنه من العالم الإسلامي والضريبة المدفوعة عليه ونحو ذلك أعني بذلك كتاب (محمد رسول الله) .

فقد تراكمت النسخ حتى شق علينا توزيعه فكان من جهود بعض الإخوة أن أخذوا القضية على عاتقهم وضموا إليه كتاباً آخر (مختصر فهم الإسلام) .

ونظراً للظروف الراهنة والتي جعلت المسلمين تحت دائرة الشك وحتى لا يوزع الكتابان بشكل عشوائي غير منظم ومن ثم تكون جدوى ذلك قليلة فقد باشروا - بفضل الله - بتوزيعه عبر البريد لعناوين مختارة من الشخصيات المهمة بالبلد من ساسة وقادة فكر ومثقفين وستكلف هذه الخطوة ما يقارب ٢١٠,٠٠٠ كرون دانمركي وحتى يثمر العمل فإننا في طور إنشاء دار ترجمة تهتم أولاً بترجمة القرآن الكريم باللغة الدانمركية ثم بعض الكتب في العقيدة والفكر والقضايا المعاصرة ورد الشبهات مما يصلح بوصفه كتاب دعوة لغير المسلمين وأساساً يبني عليه أبناء المسلمين الذين ولدوا وتعلموا وترعرعوا في الدانمرك حتى أصبحت اللغة الدانمركية هي الأساس

عنده، ولا بد من مراعاة الأمور التالية ليؤتي العمل ثماره إن شاء الله:

- دعم إنشاء دار للترجمة داخل الدانمرك.

- عدم التفرد وضرورة مشاورة أهل البلد لأنهم أعرف بالأنسب لهم من حيث المادة العلمية ونوعيتها وطريقة الخطاب ومكان الطبع؛ للبُعْد عن التكاليف الباهظة وكمية المطبوع ليناسب إمكانات التوزيع.

ومن اللافت للانتباه أنه قد صدر في الدانمرك العديد من الكتب التي أرَّخت للقضية وباللغتين الدانمركية والإنجليزية ولمشاهير الكتّاب والإعلاميين، بينما لم يصدر كتاب واحد يؤرخ للقضية من وجهة نظر المسلمين، وهذا برأيي هام جداً وفي علمي أن مادة الكتاب موجودة تحتاج إلى من يدعمها لترى النور، ولعلمكم فقد صدر منذ فترة بسيطة فيلم وثائقي لمؤلفه الدانمركي (كاستن كيير) ويحمل عنواناً عجيباً (الرسوم الدموية) حاول أن يبرز فيه أن المسلمين أناس دمويون ولا يعرفون الديموقراطية وصوَّر الدانمرك بالبلد المظلوم من المسلمين لفداحة رد فعلهم على أمر عادي جداً - كما زعم - وقد عرض الفيلم في حوالي ثلاثين قناة فضائية بمناسبة الذكرى السنوية الثانية للرسومات ورد الفعل عليها. فأين إسهام المسلمين في بيان وجهة نظرهم والدفاع عن رأيهم ومحاولة استمالة وإقناع غير المسلمين بقضاياهم؟!

قنوات فضائية:

لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نسجل بكل فخر واعتزاز كمّاً هائلاً من الإنجازات الإعلامية التي واكبت أعمال النصرة المباركة من تغطيات ميدانية إلى تقارير صحفية إلى برامج مخصصة للنصرة عبر أغلب القنوات العربية ناهيك عن الإسلامية. وما ظهر من ملحقات لبعض الصحف والمجلات أو من أعداد خاصة بالنصرة،

ومما لا أنساه حملة قامت بها قناة المجد مع ملحق الرسالة التابع لجريدة المدينة وبعض المواقع الإلكترونية ولمدة عشرة أيام لنصرة النبي الكريم ﷺ وكان من عملهم إرسال رسائل إلى وزيري الثقافة الدانمركي والنرويجي.

ولا شك أن اهتمام القنوات القائمة والموجودة والتي لها جمهورها العريض والتي تتمتع بمهنية عالية الجودة وخبرة في مجال تخصصها؛ أمر مهم وجيد إلا أن إيجاد قنوات متخصصة بالنصرة لأمرٌ طيب يضاف إلى الإنجازات المباركة التي حصلت في فترة النصرة المباركة، وإليكم أسماء بعض القنوات التي أعلن عن قرب إنشائها أو أُنشئت فعلياً:

- قناة (ساهور)، وهي قناة متخصصة بتعظيم النبي ﷺ والتعريف بسيرته العطرة ولكنها لم تر النور بعد.

- قناة (تنوير tv) وهي أيضاً لم تزاول عملها.

- قناة (طيبة) وهي الآن لا تبدو على الشاشة رغم ظهورها لفترة تجريبية بسيطة.

- قناة (المصطفى) وهي تابعة لمنظمة النصرة أعني مما وعدت به المنظمة ضمن سلسلة أعمال كدار نشر وترجمة وموقع إلكتروني ولجنة دفاع مختصة، ونحو ذلك فنسأل الله أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

القنوات العاملة:

- (الأمة) وهي أصلاً لم تنشأ إلا للدفاع عن المصطفى ﷺ، وهي قناة عربية إلا أن فيها بعض البرامج المترجمة إلى الإنجليزية. وترددها هو: نايل سات ١٠٧١٩ vertical ٢٧٥٠٠ ٣/٤.

- (الحكمة) وهي أيضاً افتتحت لهذا الأمر وهي باللغة العربية. وترددها هو: عربسات ١١٠١٣ ١٧٥٠٠ ٣/٤.

- (قناة شاعر الرسول) وهي للذب والدفاع عن جناب المصطفى ﷺ. وترددها هو ١١٨٦٢ ٢٧٥٠٠ عمودي على عربسات.

- (الرحمة) وهي قناة جديدة وللغاية نفسها. وترددها هو: ١٠٨٥٣ ٣/٤ أفقي على النايل سات.

ملحوظة مهمة:

لا شك أن شارعنا الإسلامي لا سيما اليوم بعد أن أصبح العالم كأنه قرية واحدة وبعد هذا التواصل الإعلامي والفكري والثقافي المذهل حتى قيل: (لقد أصبح قرية كبيرة) وأمام حملات التشكيك المسعورة؛ فإن الضرورة تحتم أن يكون هناك إعلام هادف للمسلمين ليثبت قلوبهم ويعينهم على رد الشبهات، ولكن هذا لا يعفينا من مسؤولية حمل رسالتنا للعالم ومخاطبته: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ [**إبراهيم**: ٤] لتقوم عليهم الحجة وندعوهم إلى النور والهدى، فإذا كانت الإساءة وقعت من قوم فمن الضروري مخاطبتهم أنفسهم، ولا أظن أنه من المناسب افتتاح قناة موجهة بالكلية إليهم لأنهم سيعدونها فيهم، كما نعدّ القنوات التبشيرية التي توجه إلينا، ومن ثم سيكون هناك حاجز نفسي لدى القوم منها، ولكن الأنسب - والله أعلم - هو اختراق قنواتهم ببرامج معدة وجاهزة وبجودة عالية حتى تجذب وتشد المشاهد، أو بالسعي للمشاركة في ندوات أو حوارات دورية. وفي المجال نفسه قد يحسن الاستفادة من أمور مماثلة كالمشاركة أو إنشاء المعارض المتنقلة - وبالمناسبة فقد قام بعض الأخيار بذلك وبمبادرة فردية وقد لاقت إقبالاً ملحوظاً - وأقترح أيضاً

تفعيل التوأمة بين الجامعات وتبادل المحاضرات والندوات ونحو ذلك .

مواقع إلكترونية:

لقد كان للمواقع الإلكترونية قصب السبق في النصرة؛ بل لقد ألهبت أوارها وأذكت لهيبها، ليس فقط المواقع الإسلامية بل حتى المواقع العادية ذات الاهتمامات المختلفة، حتى إن بعض المواقع غيَّرت مسارها وأدركت خطورة الأمر وعظم المسؤولية وانقلبت (من العقب إلى الرأس) ناهيك عن المواقع ذات الصلة المباشرة (الدعوية) فقد أفردت حيزاً كبيراً للنصرة، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

- الإسلام اليوم، وصيد الفوائد، والإسلام أون لاين، وسلسلة مواقع الشيخ المنجد، وطريق الإسلام، وموقع المسلم، وموقع مجلة البيان، وغيرها من المواقع ذات الصلة .

كل هذه المواقع وغيرها قد أفردت للنصرة رابطاً أو ملفاً خاصاً يتابع حيثيات التفاصيل، ويسهم في رد الشبهات ويبين ما للنبي ﷺ من المكرمات، فجزى الله خيراً كل من ساهم، ولن ننسى تلك العناوين العظيمة التي تنبض بالروح وتشع نوراً وهي مشبعة بالإيمان الصادق إن شاء الله، وإليك بعضها :

- معاً لنصرة نبي الإسلام .
- راصد صد العدوان عن النبي ﷺ .
- إلا رسول الله .
- نبي الإسلام .
- أعظم إنسان .

- دفاعاً عن المصطفى ﷺ.

- مليار مع الرسول ﷺ.

- انتفاضة النصرة.

- الانتصار للنبي المختار ﷺ.

ومع هذا الكم الطيب من المشاركات والمساهمات إلا أنه قد وجد - بفضل الله - مواقع خاصة فقط بنصرة النبي الكريم ﷺ، وعلى رأسها:

- موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم النبيين (عربي- إنجليزي).

- موقع اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية (عربي- وفيه رابط دانمركي).

- النبي ﷺ (عربي).

-النبي محمد (دانمركي).

وغيرها من الصفحات التي تربو على الأربعين - حسب علمي- ولعل الباحث والمتصفح الحاذق والماهر يجد أكثر من ذلك بكثير.

ومما يؤخذ على هذه المواقع عدم التنسيق فيما بينها كما يظهر للمهتم، وأمر آخر هو مخاطبة الذات - إلا ما رحم ربي - وأنا أقترح أن يعقد لقاء مع القائمين على تلك المواقع ليتشاوروا فيما بينهم وليضعوا لأنفسهم خطة عمل واضحة المعالم تبين من خلالها الأهداف والغايات والسبل والوسائل الممكنة والمستحدثة. ولا بد من التنسيق والتشاور وتبادل الخبرات والتجارب مع المهتمين وذوي الاختصاص من المسلمين المقيمين في الغرب.

عظات وعبر من نصرة خير البشر:

إن نصرة النبي الكريم شرف عظيم لكل من يقوم به وواجب محتوم فهو ﷺ وإن كفاه الله : ﴿ **إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** ﴾ [**الحجر** : ٩٥]، إلا أننا مطالبون نحن بالعمل : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [**التوبة** : ١٠٥] ، وهو الذي حثنا على نصرته : ﴿ **إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ** ﴾ [**التوبة** : ٤٠]، وبما أن المسؤولية أمام الله يوم القيامة فردية ، فكل واحد منا مسؤول عن عمله وما قدم . فإنه يتعين على كل واحد منا بما آتاه الله أن يسهم في الذود عن النبي الكريم ، والأمة - بفضل الله - فيها من الطاقات الشيء الكثير .

وقد تجلى ذلك واضحاً أيام النصرة فقد أذهلت المساهمات المراقبين لأنها دلت على مشاعر جياشة وعاطفة عظيمة وقدرة على توظيف الطاقات وتسخيرها ، ولا شك أنها أطلقت الحرية لكل مساهم أن يبدع كونه يعمل محتسباً متطوعاً دون مقابل ولا أجر دنيوي ودون رقيب إلا من نفسه مما أسهم في تفتق الأذهان عن أفكار خلاقة .

ولكن هذه الإيجابيات الواضحة لا تقلل ولا تغني أبداً عن ضرورة التنسيق والتشاور وتبادل الخبرات والتعاون على البر والتقوى ، فإن يد الله على الجماعة وبذلك تتضافر الجهود وتتكامل بدل أن تتعارض .

وفي الختام نخلص إلى ما يلي:

- كان لا بد من تحرك أمام تلك الهجمة الشرسة وهذا ما حصل.

- لا بد من الثبات والصبر لننال ما نصبو إليه، وإن التراجع بذريعة التقييم وإعادة النظر هو الذي أضعف النصرة في نهايتها وحال دون الحصول على النتائج المرجوة.

- قضية التطاول على نبينا هي من القضايا التي توحد الأمة بكل أطيافها فلنترك خلافاتنا ولنجتمع على هذه الطاعة فبها نتقرب إلى الله ونرضي رسوله ونجمع شملنا على قضية واضحة المعالم لا لبس فيها ولا امتراء.

- الأمة فيها طاقات جبارة لكنها بحاجة إلى من يكتشفها ويستخرجها ويحسن توظيفها وإدارتها لتصبح فاعلة ونافذة.

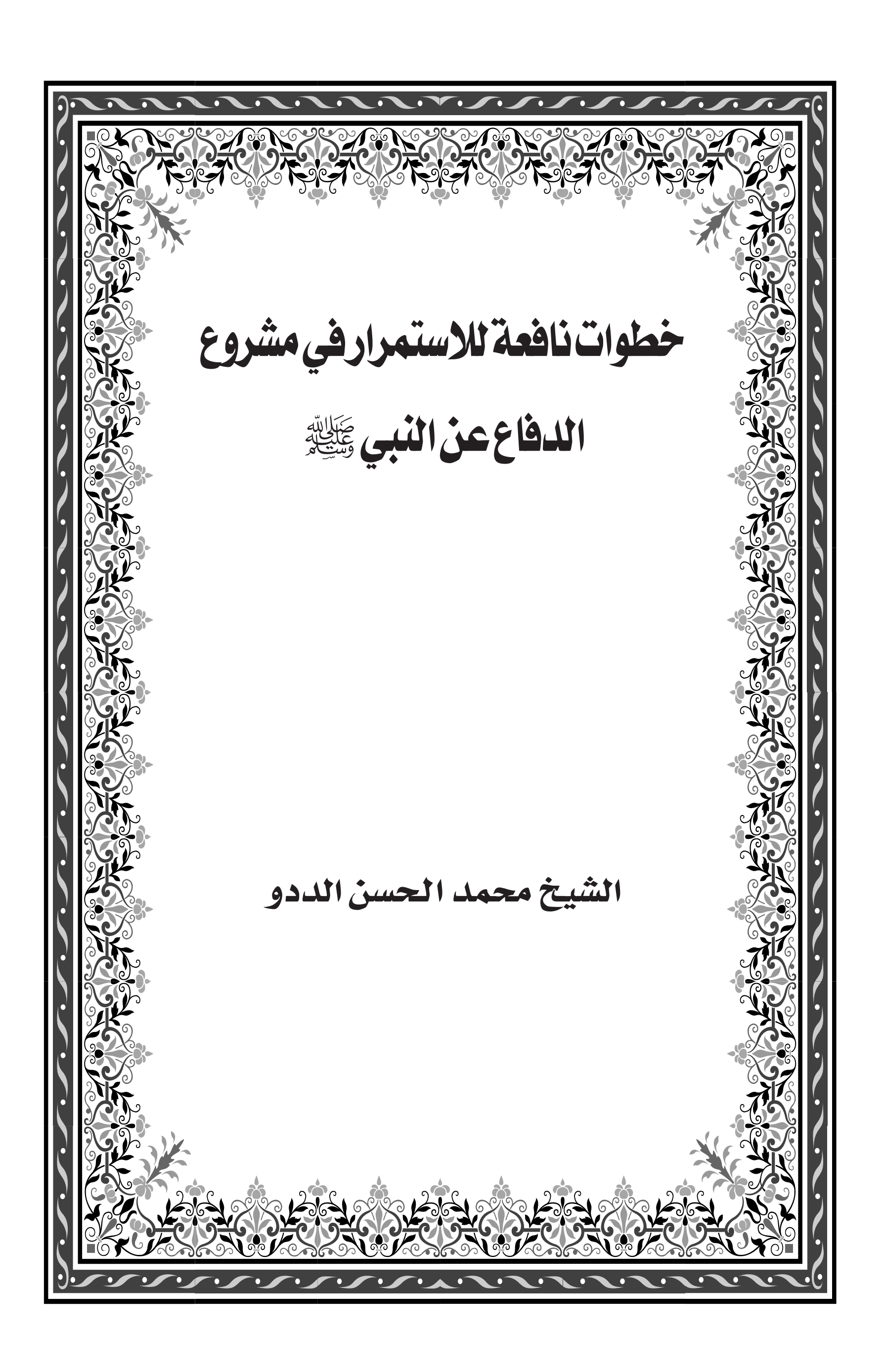
- لا بد أن يسهم الجميع بالنصرة لا سيما العلماء والأمراء، وإلا فإن الجهود الفردية لن تكون مؤثرة بالشكل المطلوب، فغاية ما فيها المساهمة والمشاركة بالنصرة، لكن المعول عليه بعد الله هم أهل الحل والعقد، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

- الجوانب الإيجابية في النصرة كثيرة فلا يجوز أن نقف عند المظاهر السلبية أو المختلف عليها لتكون سبباً في تغيير نهجنا وتراجعنا عن النصرة.

- لا بد من الجمع بين عمل جاد وخطة دعوية (ابتداء القوم) وكذلك التصدي للاعتداءات(رد الفعل)، وإن تغليب جانب على الآخر سوف يخل بالتوازن.

- لا بد من إيجاد لجنة متابعة جادة ومرنة حتى لا تهدر الطاقات (إذا هبت رياحك فاغتنمها).

- لا بد من تشجيع أصحاب الأعمال المباركة وتحفيزهم، وإنني أقترح إقامة مهرجان للنصرة يمنح فيه المبدعون جوائز تشجيعية في المجالات كلها.



خطوات نافعة للاستمرار في مشروع الدفاع عن النبي ﷺ

الشيخ محمد الحسن الددو

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على من بُعث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته واستنَّ بسنته إلى يوم الدين، أما بعد: فليس كرم أهل السودان على الشناقطة بغريب ولا بجديد، فأشكركم على إضافة الدقائق المذكورة وعسى أن نستغلها إن شاء الله - تعالى - بخير، وأعتذر عن التأخر الذي كان بسبب ظروف قاهرة لا أجد بدًّاً من الاعتذار بها، وأشكر المؤسسات القائمة على هذا المؤتمر جهدها، ودولة السودان استضافتها، والحاضرين حضورهم ومشاركتهم أجمعين، وأسأل الله - تعالى - أن يكتب ذلك كله في ميزان حسناتنا مضاعفة، وأن يجعله في نصرة النبي ﷺ، وفي رضاه جل جلاله، وبعد:

فإنه من المعلوم أن العمل الجاد هو الذي يكون متراكماً فينبني بعضه على بعض، وأن العمل المنقطع لا يمكن أن يكون إستراتيجياً ولا أن يعول عليه في الظروف المستقبلية، ومن أجل ذلك فإن ردَّات الأفعال المنقطعة يكون نفعها قليلاً دائماً، وربما ترتب عليها إلى جانب ذلك النفع ضرر، فلذلك اختار الإخوة عنواناً لهذه الكلمة: (خطوات نافعة للاستمرار في مشروع الدفاع عن النبي ﷺ). ومن هنا فهذا المؤتمر مثلاً هو عمل تراكمي سبقته تجارب، ومن حضر المؤتمر الأول والثاني وحضر هذا يجده زيادة في الحضور والنوعيات، وتقدماً في الآليات، وسهولة أيضاً في الأداء، وكل ذلك يدل على أن الاستمرار مطلوبٌ شرعاً. ومن هنا فإن الله - سبحانه وتعالى - خاطب رسوله ﷺ مرتين في كتابه بالأمر بالاستقامة، قال - تعالى -: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [**هود**: ١١٢]، وأمر النبي ﷺ كذلك بالاستقامة فقال لسفيان بن عبد الله: «قل آمنت بالله ثم استقم»، وكذلك قال

ﷺ: «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»، وقال: «أوغلوا فيه برفق»، وقد قال البخاري في الصحيح: حدثنا عبد السلام بن مطهر قال: حدثنا عمر بن علي قال: حدثنا معن ابن محمد الغفاري عن سعيد بن سعيد المقبري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الدين يُسْر ولن يشادَّ الدينَ أحدٌ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»، وفي رواية أخرى في الصحيح أيضاً: «إن الدين يُسْر ولن يشادَّ الدينَ إلا غلبه»، وفي رواية أخرى: «ولن يشادَّ الدينَ إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة». وهذه الروايات الثلاث معناها متقارب؛ لأنها تدل على أن مشادة الدين تقتضي من الإنسان مللاً وتراجعاً، والإنسان ضعيفٌ بأصل خلقته. وقد بيَّن الله ذلك في كتابه، وبيَّن أن الإنسان خلق ضعيفاً، وخلق من ضعف، وكل ذلك تقرؤونه في سورة النساء وفي سورة الروم، وهو يدل على أن هذا الضعف سجية في الإنسان وصفة فيه، وهو ضعف يعتريه؛ تارة يكون في إيمانه، وتارة يكون في بدنه، وتارة يكون في عقله، وتارة يكون في نشاطه. وأحوال الضعف التي تعتري الإنسان كثيرة جداً، ولذلك بيَّن النبي ﷺ أن للإنسان إقبالاً وإدباراً، وأن للخير شرة وفترة، فكل ذلك يحصل في الإنسان، فلما كان الإنسان بهذه المنزلة من التقلب احتاج إلى ما يؤدي إلى الاستمرار في عطائه، وبالأخص إذا تذكرنا أن أعمارنا قصيرة جداً، وأننا لا نؤسس لأنفسنا وإنما نؤسس للأجيال من بعدنا، ورسولنا ﷺ بعثه الله بالحنيفية السمحة، وبُعث على رأس أربعين سنة، وعاش في هذه الدعوة ثلاثاً وعشرين سنة، ثم توفاه الله فبنى أصحابه على منهجه، وقدَّموا خير مثال بالاقتفاء والاقتداء، ثم اقتفى التابعون آثارهم بإحسان، ثم أتباع التابعين من بعدهم، وبذلك كانت الخيرية

في سلف هذه الأمة فأفضل هذه الأمة القرن الذي رأى أهله الرسول ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم؛ كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، وكما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من رأى محمداً؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من رأى من رأى محمداً؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من رأى من رأى من رأى محمداً؟ فيقولون: نعم؛ فيفتح لهم».

وقد سمعت أحد العلماء يقول: وإن من حكمة الله - جل وعلا - في مصيبة هذه الأمة بموت النبي ﷺ أن جعل فيها نفعاً عاماً للأمة ومصلحة شاملة لها وكل واحد له حظه منها، ولكم أن تستغربوا فتقولوا: هذه أكبر مصيبة لهذه الأمة؛ فكيف يكون فيها النفع الكبير العميم؟ وأقول: هذا النفع هو بروز الخلفاء الراشدين وقيامهم بالأمر بعده، فلو كان النبي ﷺ حياً لم يكن للخلفاء ذكر ولم تكن لهم مشاركتهم ولا أثرهم البارز، ولم يكن للعلماء المجتهدين أثر، وكل ذلك خير كثير لهذه الأمة، فلو كان النبي ﷺ حياً الآن لم يكن لأحد من أئمة السلف ذكر ولا أثر ولا لهم اجتهاد؛ لأن الاجتهاد في حياته عرضة للقبول والرد؛ إما أن يوافق ما جاء به رسول الله ﷺ وما قاله فيكون مقبولاً؛ وقبوله من جهة الموافقة فقط، وإما أن يخالفه فهو فاسد الاعتبار لمخالفته النص، لكن بعد موت النبي ﷺ اتَّسع المجال للاجتهاد، فظهر في هذه الأمة القادة العلماء والمجددون وحَمَلة لواء السنة، وكل ذلك فضلٌ عظيم شرَّف الله به هذه الأمة ومزيّة ميَّزها بها، فما من مصيبة ولو كانت عظيمة إلا وللأمة فيها خيرة وفضل، ولذلك يقول أحد العلماء:

لا تكره المكـروه عـنـد حلوله | إن الحـوادث لم تزل متباينة
كم نعمـة لا تسـتقـل بشـكرها | لله في طـيِّ المكـاره كـامنة

وهـذا الاستمرار والتراكـم نافـع أيضاً فيما يتعلق بالسهولة واليسر؛ لأنه إذا كان في كل وقت تأسيس وإنشاء جديد فكلفة التأسيس - كما ترون في البنيان وغيره - أكبر من كلفة الاستمرار، ولذلك يقول الأصوليون في القواعد الفقهية: «إن التأكيد أولى مـن التأسيس»، ويقـولون: «يغتـفر في الأثنـاء ما لا يغتفر في الاقتداء» وكلاهما قاعدة فقـهية معروفة في القواعد، ومن هنا فالاستـمرار الإيجابي يقتضي أيضاً أن يسير الإنسان رويداً، وأن تكون خطواته مضبوطة بالشرع، ومضبوطة بالمصالح ومقتـضى العقل، فالإنسان ليس دائماً يجد من الطاقة ما يكفيه لإنفاذ مشاريعه، ولا يجد من الأعـوان في كـل وقـت ما يكفـيه كذلك لإقامة الحق، وعنـدما تولى أميـر المؤمـنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - الخلافة قال له ولده: يا أبـت! قـد وليـت أمر أمة محمد ﷺ ولا نزال نرى ظلماً كثـيراً، فقـال: يا بني! ألا يكفيك أن يكون أبوك كل يوم في إحياء سنة وإماتة بدعـة، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: إن البدعة تنشأ ضعيفة صفراء ملتوية، فإذا سكت عليها قويت، وإذا أنكرت من بدايتها كان ذلك رداً لها. ومن هنا فلا بد من مشاريع جادة للاستمرار في النصرة. ومن الخطوات الإيجابية في ذلك:

أولاً: البداءة بالمسلمين:

فبدل أن نعرِّف الكفار بالنبي ﷺ ونسعى لتعريف الغرب به؛ علينا أن نعرِّف الأمة الإسلامية أكثر بنبيها ﷺ، فكثير منهم لا يعرفونه حق المعرفة، وهم قسمان:

- قسم غالون مفرطون يصفونه بصفات الألوهية ويطرونه بما نهى هو عنه، ويعتقدون فيه أموراً مخالفة لما جاء به كلياً.

- وقسم آخر مفرطون فيه مسيؤون للأدب معه لا يؤدون حقه ولا يعرفونه ولا يوقرونه ولا يعزرونه كما أمر الله بذلك فقد قال - سبحانه -: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [**الفتح**: ٨ - ٩]، فتوقير النبي ﷺ هو أن يصدَّق في كل ما أخبر به، وأن يطاع في كل ما أمر به، وأن لا يعبد الله إلا بما جاء به. وتعزيره هو الأدب معه وأن لا يرفع الصوت فوق صوته، وأن لا يردَّ قوله بقول أحد كائن من كان، وأن يحترم ورثته والحاملين لعلمه، وأن يحترم آل بيته، وأن يحترم أصحابه الذين شرَّفهم الله بصحبته، فكل أولئك احترامهم من احترامه ﷺ ومن تعزيره وتوقيره، وتعريف الأمة برسولها ﷺ كانت للعلماء فيه جهود في القرون الماضية يمكن أن تكون تأسيساً فيقع البناء عليها، وأهل المغرب يذكرون أن الناس جهلوا النبي ﷺ فكانوا فيه بين مفرِط ومفرِّط فجاء القاضي أبو الفضل عياض ابن موسى ابن عياض اليحصبي فألَّف كتابه (الشفاء لتعريف حقوق المصطفى ﷺ) وردَّ فيه على الطائفتين وإن كان لم يخلُ من بعض الأمور الضعيفة وبعض الأحاديث التي هي من قبيل الموضوعات أو من قبيل الضعيفة جداً، لكن مع ذلك سدَّ الكتاب ثغرة كبيرة، حتى قال بعض علماء المغرب: لولا الشفاء لما عرف المصطفى ﷺ. وقد ألَّف علماء آخرون كتباً في التعريف بالنبي ﷺ وبشمائله وصفاته وأخلاقه؛ كالإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي رحمه الله، وكالإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير - رحمه الله - وغير هؤلاء، ومن ثم يكون هذا التأليف تأسيساً ويبنى عليه، ومن المهم أن يخرج في كل سنة أو في كل

بلد تعريف بالنبي ﷺ بلغة العصر يعرِّف الناس به ﷺ، من واقع هذا المنهج الصحيح الذي لا إفراط فيه ولا تفريط ولا غلو فيه ولا سرف ولا شطط، ويكون معتمداً على النصوص والأوامر التي أمر بها رسول الله ﷺ، فإنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم»، وبيَّن أنه عبد الله ورسوله، ولما ذكرت أم سلمة وزينب بنت جحش - رضي الله عنهما - بحضرته الكنيسة التي رأتاها بالحبشة وهي مارية وما فيها من التصاوير وكان ذلك في مرض النبي ﷺ؛ بيَّن أن أولئك شرار الخلق عند الله، وأنه كان إذا مات فيهم الرجل الصالح اتخذوا قبره عيداً، وقد نهى عن ذلك عند موته. وكذلك أيضاً بيَّن الله - سبحانه وتعالى - خطر سوء الأدب معه وأنه سبب لبطلان العمل، فقال - تعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ [**الحجرات**: ١ - ٢]، وقال أيضاً - سبحانه -: ﴿**لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [**النور**: ٦٣]، وقال - جل جلاله -: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [**النساء**: ٦٥]، وقال - تعالى -: ﴿**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [**الحشر**: ٧]، وقال - تعالى -: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا**﴾ [**النساء**: ٦٤]، فكل ذلك يقتضي منا أن نعرف

حقه جميعاً وأن نعمم هذا في مناهج التعليم وأن نعرِّف به الأولاد الصغار والنساء ومختلف شرائح المجتمع؛ حتى تعرف هذه الأمة رسولها ﷺ، وفي ذلك فوائد كثيرة لها، منها:

أولاً: تصحيح عقيدتها ومعرفتها بنبيها ﷺ.

ثانياً: تحصيل الاقتداء وتوحيد الاتباع وهو نوع من أنواع التوحيد يغفل عنه كثير من الناس.

ثالثاً: حصول العزة للمؤمنين فإن الله أعز هذه الأمة بنبينا محمد ﷺ، وبيَّن أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وما نشاهده اليوم من الهزائم في نفوس المسلمين حتى أصبحوا يرون كثيراً من المقدسات والأمور التي جاءت بها النصوص محظورة لا يتكلم بها حتى الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمة الله ونحو ذلك من الأمور التي أصبحت في إطار ما يُستحى منه لدى كثير من الناس؛ كل هذا من الهزائم التي سبَّبها عدم المعرفة برسول الله ﷺ وما جاء به من الهداية.

رابعاً: زيادة الحماس والاندفاع في الدفاع عنه والتمسك بسنته وملَّته.

خامساً: زيادة الاتباع والتخلق بأخلاقه والتحلِّي بشمائله وصفاته فهو الأسوة الصالحة والقدوة الحسنة فقد قال الله - تعالى -: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ [**الأحزاب**: ٢١]، فلا يمكن أن يؤتسى به ولا أن يقتدى به وهو مجهول الصفات أو مجهول الشمائل، فلا بد أن يتعلم الناس ذلك حتى يقتدوا به ﷺ.

ثانياً: التركيز في الإعلام على التعريف بالنبي ﷺ والسعي لنشر سنته:

فالآن كثرت إذاعات القرآن الكريم وبعض القنوات أيضاً المتخصصة في القرآن، لكن لا توجد قناة متخصصة أو إذاعة متخصصة في السنة، إلا بعض المحاولات التي ما زالت ضعيفة جداً، فلا بد من إيجاد بعض القنوات والإذاعات المتخصصة في السنة التي تبين سنة النبي ﷺ، وتميز بين مقبولها ومردودها وصحيحها وحسنها وضعيفها، وتركز كذلك على السنن النقلية وتبيِّن الهدي النبوي، والأمة محتاجة إلى بيان ذلك وتذكرون أن ابن القيم - رحمه الله - ألَّف كتاب الهدي النبوي الذي سماه: زاد المعاد في هدي خير العباد، وبيَّن فيه هدي النبي ﷺ في كل أموره من معاشه وشؤونه الدنيوية ودعوته وعبادته وكل أموره، والأمة الآن محتاجة إلى هذا البيان، وتحتاج الآن إلى وسائل مواكبة للعصر تتحمل هذه المسؤولية فتنشر الهدي النبوي بين الناس وتكون متخصصة في ذلك.

فإذا كان في العالم بثٌّ لأربع وعشرين ساعة لا يتوقف في الإذاعات أو في القنوات للسنة النبوية وهي وحي منزل «إني أوتيت القرآن ومثله معه»؛ فإن ذلك سيسد ثغرة كبيرة ويؤدي إلى تعلق بالسنة وإحياء لعلومها ونشرها. والجهود الضعيفة الخفيفة لا تُزدرَى ولا تُحتقَر، فإنها إذا كان معها إخلاص لله - تعالى - فسيرتب الله عليها من الفتوح والأمور التي لا تخطر على البال الشيء الكثير، ولذلك فإن الشيخ ولي الله الدهلوي - رحمه الله - لما دخل الهند راجعاً من مكة بعد الحج ورأى إعراض أهل الهند عن الحديث ورأى أن من واجبه أن يجدد الحديث في الهند كانت جهوده مدوية في العالم كله، ونحن الآن ما زلنا نشرف بأسانيده وأسانيد أولاده، وكانت له بصمة حديثية لها أثر كبير في الهند وما حولها حتى وصلت إلى مغارب الأرض.

وكذلك الإمام محمد بن علي الشوكاني في اليمن فلقد اعتنى بالحديث وكذا الدليل من صغره عندما درَّسه أبوه وهو طفل صغير فرائض الوضوء على المذهب الزيدي فقال له: فرائض الوضوء منها: النية وغسل اليدين وغسل الوجه ومسح الرأس ومسح الرِّجلين وغسل المخرجين، فقال: ما دليل ذلك؟ قال: أما الفرائض الأولى فقول الله - تعالى -: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ [المائدة: ٦]، فقال: غسل المخرجين ما دليله؟ قال أبوه: إذا كبرت يا بني عرفت دليله، فلما كبر اعتنى بالبيِّنة عناية كبيرة، وألَّف السيل الجرار على حدائق الأزهار، واقتصر على ما ثبت لديه دليله عن النبي ﷺ، وكان لذلك أثر كبير في اليمن وفي غيرها، وقد بلغت دعوته أيضاً مشارق الأرض ومغاربها وانتفع الناس بها نسأل الله أن يضاعف له الأجر. وكذلك كثير من العلماء الذين اعتنوا بإحياء السنة في مناطقهم، ومنهم من المعاصرين الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمة الله عليه - فإنه جاء في الشام في وقت انشغل الناس فيه كثيراً عن السنة فكتب الله له إحياء الإقبال على السنة والتخريج ودراسة الأسانيد، وتعرفون الأثر الذي تركه في هذه الأمة كلها في مشارقها ومغاربها لا ينكره إلا مكابر نسأل الله أن يتقبل منه وأن يجزل له الثواب. وهكذا رجال هذه الدعوة كلهم، وتعرفون أن سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمة الله عليه - كان في حرصه على اتباع الدليل والتمسك بالسنة مثال يحتذى في هذا العصر، فلذلك لا بد أن نحرص على نشر السنن في وسائل الإعلام حتى تكون صالحة لاستقبال الجميع وحتى يكون الجميع مستعداً لتلقيها، ونذكر هنا أثراً عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه كتب إلى علماء الأمصار أن يعقدوا المجالس وأن يظهروا السنن فإن العلم لا يموت حتى يكون سراً. وهذه السنة مهمة

جداً فإذا أُظهرت السنة وعقدت لها المجالس وتعلق الناس بها فإن الأمة ستتعلق بنبيها ﷺ وسيكون ذلك استمراراً لهذا الدفاع.

ثالثاً: وجود مركز متابع لكل ما ينشر يومياً في العالم:

فإذا حصل أي تطاول على النبي ﷺ وعلى دعوته أو على أيِّ مقدَّس من مقدَّسات الدين سواء كان ذلك اعتداءً على نبي من الأنبياء أو كتاب من الكتب المقدسة أو غير ذلك؛ كان هذا المركز بالمرصاد للردِّ والتنبيه والتنويه، فإن كثيراً مما ينشر يومياً لا يطلع عليه كثير من علماء المسلمين وجهابذتهم، ولا تصل إليه أيديهم، وإن وسائل النشر كثيرة جداً بحيث لا يستطيع الجهد الفردي متابعة عشر معشارها، فلو وجد مركز لجمع المعلومات وكانت قاعدة المعلومات كاملة وكانت فيها متابعات كاملة لما ينشر يومياً في كل المجالات فيشجع ما كان منها صواباً صحيحاً ويتواصل مع أهله، ويرد على ما كان خطأ ويكون ذلك من البداية؛ فذلك كله جيد وتلك خطوة لها أثر إيجابي لا محالة.

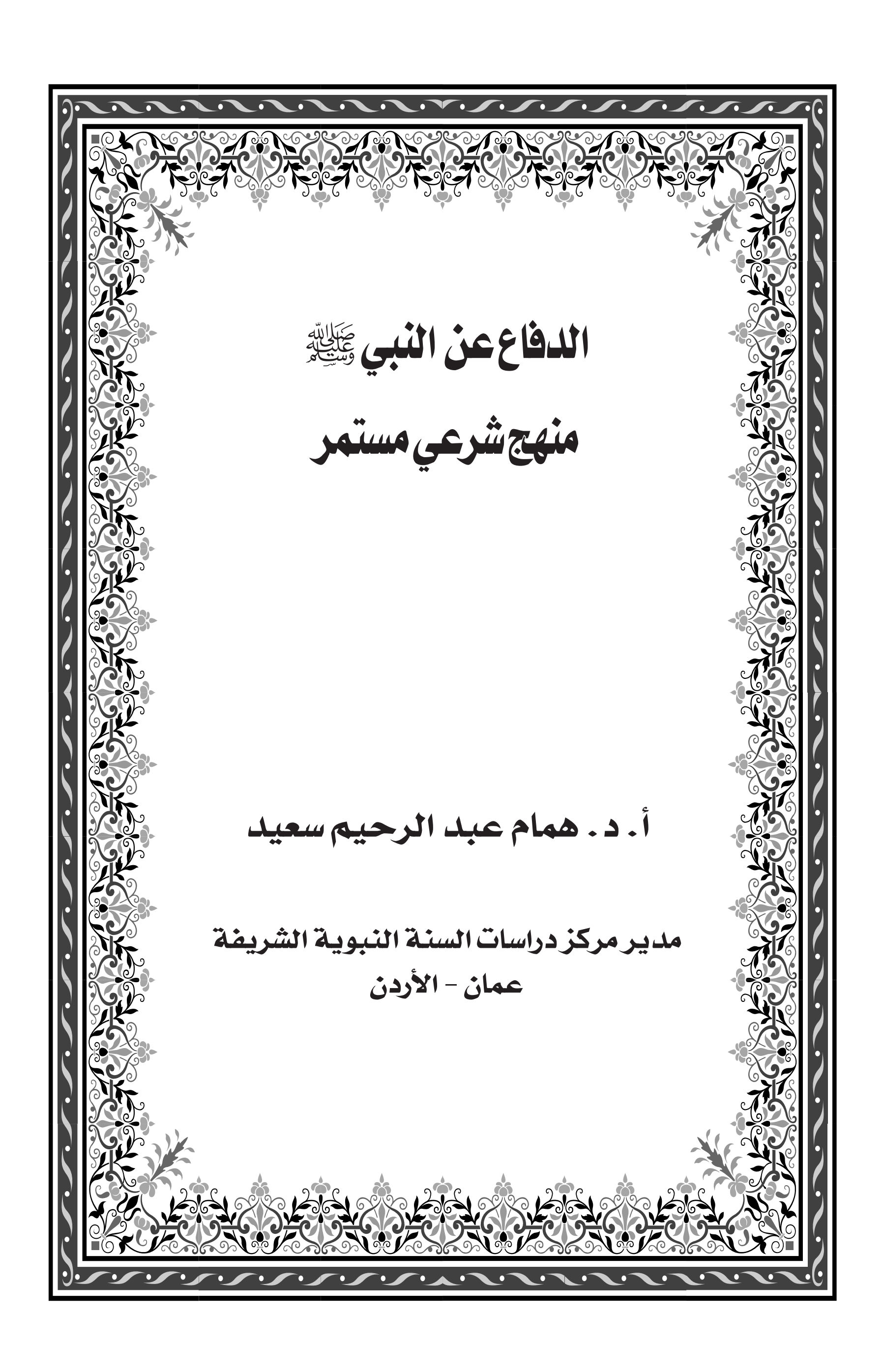
رابعاً: الحرص على ترجمة الكتب النافعة الصحيحة ترجمة صحيحة أيضاً:

فمن المؤسف أن كثيراً من الترجمات واللغات الأعجمية فيها من البعد عن الحقيقة والتفسير الشيء الكثير، ومثال ذلك: ترجمات القرآن الآن فقد رأيت ترجمة للقرآن بالفرنسية منتشرة بكثرة ترجم فيها لفظ (حافين) في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ**﴾ [**الزمر**: ٧٥] بمعنى: دون نعال؛ لأن المترجم لا يفهم الكلمة، ففي كثير من هذه التراجم مثل هذا النوع من المشكلات، كما ترجم رجل في مؤتمر إسلامي عالمي في فرنسا أيضاً حديث «الناس كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله»، قال: الناس كلهم أبناء الله؛ نعوذ بالله وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فـإذاً لا بد مـن مراجعة الترجمات، وأن تكون صادرة من جهات معتمدة موثقة، وأن يشـرف عليها أهل العلم، وهذا يقتضي منا السـعي لدراسـة لغات القوم، وأن يكون أهل العلم من الذين ينتدبون لدراسـة تلك اللغات، فقد أرسل النبي ﷺ زيد بن ثابت - رضي الله عنه - لتعلُّم لغة اليهود، وقال: «فإني لا آمنهم على القرآن»، وهذا يدل علـى أهمية تعلـم اللغات وأن يكون المتعلم لها من أهل العلـم بالدين حتى يدافع عن الإسلام من موقع علمه به ومعرفته به ومن خلال وسيلته التي تعلمها وهي اللغة.

وختامـاً: أقـول قولي هـذا، وأسـتغفر الله لي ولكم، وأسـأل الله - سـبحانه وتعالـى - أن يجعـل هذه الجهود كلهـا خالصة لوجهه الكـريم، وأن يبارك فيها، وأن ينصر دينه ويعلي كلمته، وأن يجمعنا جميعاً على نصرة الدين وإعلاء كلمة الله، وأن يسـتعملنا في طاعته ورضوانه، وأن يجعلنا من إخوان النبي ﷺ الذي فاتتنا صحبته، نسـأل اللـه أن يجعل هذه الوجـوه جميعاً من الوجـوه الناضرة الناظرة إلـى وجه الله الكـريم، وأن يتقبـل منكـم أجمعين، وأن يبارك فـي هذا البلد، وأن يكفـي أهله كيد الأشرار وفجور الفجار وشر ما اشتمل عليه الليل والنهار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.



الدفاع عن النبي ﷺ

منهج شرعي مستمر

أ. د. همام عبد الرحيم سعيد

مدير مركز دراسات السنة النبوية الشريفة

عمان - الأردن

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وخليله، بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة، فصلوات الله وسلامه على هذا النبيّ الكريم وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فجزى الله الإخوة القائمين على هذا المؤتمر خير الجزاء لما بذلوه ويبذلونه من جهد وجهاد في الدفاع عن رسول الله ﷺ ونصرته، وإن تكرار هذه المؤتمرات لأكبر دليل على أن جهدهم هذا ليس مجرد ردّة فعل أو صيحة في واد أو نفخة في رماد، بل هو التأسيس لعمل صالح ينشر لهذا الدين لواءه ويحفظ للنبي الكريم ﷺ مكانته، ويؤكد أن لهذا الدين جنوداً ينافحون عنه ويردون صائلة العدو إلى نحره.

وسنتناول هذا الموضوع وَفْق مقترحات لجنة الإعداد على النحو التالي:

أولاً: عداء الكافرين لرسول الله ﷺ مستمر إلى قيام الساعة:

إن من المُسَلَّمات في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أن سيل العداوة لرسول الله ﷺ لا يتوقف إلى قيام الساعة، وكذلك حال جميع الأنبياء قبله وجميع الصالحين بعده. قال الله – تعالى –: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا** ﴾ [**الفرقان**: ٣١]. وقال – تعالى –: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ** ﴾[**الأنعام**: ١١٢].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية:

«وكما جعلنا لك يا محمد أعداء يخالفونك ويعادونك ويعاندونك؛ جعلنا لكل نبي من قبلك أيضاً أعداءً، فلا يحزنك ذلك، كما قال – تعالى –: ﴿ **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا** ﴾ [**الأنعام**: ٣٤]، وقال – تعالى –: ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [**فصلت**: ٤٣]، وقال – تعالى –: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ** ﴾ [**الفرقان**: ٣١]. وقال ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «إنه لم يأتِ أحد بمثل ما جئت به إلا عُودي»[(١)]. وقوله: ﴿ **شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** ﴾ [**الأنعام**: ١١٢] بدل من ﴿ **عَدُوًّا** ﴾ أي: لهم أعداء من شياطين الإنس والجنّ، والشيطان كل من خرج عن نظيره بالشر، ولا يعادي الرسل إلا الشياطين من هؤلاء، وهؤلاء قبحهم الله ولعنهم. قال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن قتادة في قوله: ﴿ **شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ** ﴾ قال: من

---

(١) أخرجه البخاري: ١/ ٤.

الجن شياطين ومن الإنس شياطين يوحي بعضهم إلى بعض» ا. هـ[١].

وقال ابن عاشور - رحمه الله -: « . . وأن عداوة أمثالهم لمثله سنة من سنن الله - تعالى - في ابتلاء أنبيائه كلهم، فما منهم أحد إلا كان له أعداء، فلم تكن عداوة هؤلاء للنبي - عليه الصلاة والسلام - بِدعاً من شأن الرسل. فمعنى الكلام: «ألست نبياً؟ وقد جعلنا لكل نبي عدواً»[٢].

ثانياً: المعركة لم تتوقف:

إن الحملة المعادية لرسول الله ﷺ لم تتوقف منذ أن نزل عليه الوحي بالرسالة، ولن تتوقف إلى قيام الساعة. وهذه الحملة تأخذ صوراً كثيرة، وتتناول كل جانب من جوانب هذا الدين الذي جاء به النبي الكريم ﷺ. فقد كان المشركون في مكة ينالون من النبي ﷺ سبّاً وشتماً وإيذاءً مادياً ومعنوياً، وكذلك فعل اليهود بعد الهجرة حيث قالوا: السامُّ عليك، ووصفوه - صلوات الله عليه - بالرعونة، وآذاه المنافقون في المدينة؛ هذا في حياته. أما بعد موته؛ فقد افترى عليه المفترون؛ فكانت الأحاديث الموضوعة، وكانت الفرق المبتدعة التي غيَّرت وبدَّلت في دين الله، ووجهت هذه الفرق سهام الحقد إلى سنّة النبي ﷺ، ثم كانت الفرق الباطنية الملحدة والزنادقة الذين نشروا في الأمة أفكارهم الزائغة وعقائدهم الباطلة، ثم كانت هجمة الأعداء من الصليبيين والمغول والتتار، ثم بدأت الحملة الصليبية المعاصرة التي كانت أشدّ حملات العِداء وأعتاها، ولا ريب أن جميع هذه الحملات كانت تستهدف النبيَّ ﷺ وسنَّته ودينه وشريعته.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٢٢٣.

(٢) التحرير والتنوير: ١/ ١٣٩٤.

ثالثاً: كيف واجه المسلمون هذه الحملات؟

بعيداً عن ردّات الفعل؛ فإنّ القرآن الكريم والسنّة النبوية يؤسسان لمواجهة أعداء الإسلام وَفْق منهج لا يتغير يقوم على تعظيم قدر النبي ﷺ وإظهار فضائله، والكلام عن شمائله؛ سواء بما وصفه الله به، أو بما ذكره في سنته، أو بما وصفه به أصحابه، كما في قوله - تعالى -: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ [**الأحزاب**: ٤٥ - ٤٦]. وقوله - تعالى -: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ [**الأحزاب**: ٥٦].

وقوله - تعالى -: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [**آل عمران**: ٨١].

وقوله - تعالى -: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [**القلم**: ٤].

وقوله - تعالى -: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [**الأنبياء**: ١٠٧].

وقوله - تعالى -: ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [**الإسراء**: ٧٩].

وقوله - تعالى -: ﴿ **وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ** ﴾ [**الطور**: ٤٨].

هذه طائفة من الآيات الكريمة التي تبين تعظيم قدر نبينا ﷺ عند ربه سبحانه وتعالى.

ولقد ذكر النبي ﷺ في سنته الشريفة الكثير من الأحاديث التي تبيِّن شرف قدره وتمجِّد ذكره.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه، عن جبير بن مطعم - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»[(١)].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[(٢)].

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضِعت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»[(٣)].

هذا هو نبينا ﷺ قبل هجوم الأعداء عليه وبعد هجومهم، فإن مكانته العالية لا تبلغها مكانة، ورتبته عند ربه لا تصل إليها رتبة، وقد أعطاه الله عطاء من الذكر والفضل والمنزلة والمحبة ما لم يجتمع لخلق الله كلهم، ونجد هذا في أقصر سورة من القرآن: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ**﴾.
[**الكوثر**: ١ - ٣]

---

(١) صحيح البخاري: ٣/ ١٢٩٩.
(٢) صحيح مسلم: ٤/ ١٧٨٢
(٣) صحيح البخاري: ٣/ ١٣٠٠.

ويقوم هذا المنهج على تعظيم قدر دينه وشريعته وبيان خصائصها، وذكر جوانب العظمة والإعجاز في هذه الشريعة وما فيها من الحكم البالغة والمصالح الأكيدة والفوائد الجليلة، مع ما اتصف به دين الإسلام من البيان والتفصيل واليسر ورفع الحرج، فكان هذا المنهج على مدى الأيام دعوة صريحة واضحة وصل نورها إلى أرجاء المعمورة، فدخل في هذا الدين شعوب شتى وأقوام كثيرون على اختلاف ألوانهم وألسنتهم، وما زال باب الدعوة إلى الله - تعالى - مفتوحاً، بل إننا مستبشرون بظهور هذه الدعوة كما في قوله - تعالى -: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [**الفتح**: ٢٨].

وقوله - تعالى -: ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٨ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [**الصف**: ٨ - ٩].

وقوله - تعالى -: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝٣٢ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [**التوبة**: ٣٢ - ٣٣].

وأخرج مسلم عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ مُلْكُها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض...»[١].

وأخرج الإمام أحمد بسنده عن نافع بن عتبة بن أبي وقاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «تغزون جزيرة العرب فيفتح الله لكم، وتغزون فارس فيفتحها الله لكم،

---

(١) صحيح مسلم: ٤/ ٢٢١٥.

وتغزون الروم فيفتحها الله لكم، وتغزون الدجال فيفتح الله لكم»[١].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن تميم الداري - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعزِّ عزيز أو بذلِّ ذليل؛ عزاً يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر»، وكان تميم الداري - رضي الله عنه - يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي؛ لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافراً الذل والصغار والجزية»[٢].

وأخرج الإمام البخاري بسنده إلى معاوية - رضي الله عنه - يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»، قال عمير: فقال مالك بن يُخامر: قال معاذ: وهم بالشأم، فقال معاوية: هذا مالك يزعُم أنّه سمع معاذاً يقول: وهم بالشأم»[٣].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن جابر بن سمرة السوائيّ - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في حجّة الوداع: «إنّ هذا الدين لن يزال ظاهراً على مَن ناوأه لا يضرّه مخالف ولا مفارق، حتى يمضي من أمتي اثنا عشر خليفة»، قال: ثم تكلم بشيء لم أفهمه، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: «كلّهم من قريش»[٤].

وأخرج الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - يقول: سمعت النبيّ ﷺ

---

(١) المسند: ١/ ١٧٨. إسناده صحيح على شرط مسلم.
(٢) المسند: ٤/ ١٠٣، صحيح على شرط مسلم.
(٣) صحيح البخاري: ٣/ ١٣٣١.
(٤) المسند: ٥/ ٨٧، درجة الحديث: صحيح لغيره.

يقول: «لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتِلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة»، قال: «فينزل عيسى ابن مريم – عليهما السلام – فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إنّ بعضكم على بعضٍ أُمراء، تكرمة الله هذه الأمّة»[١].

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله، لا يضرها من خالفها، تقاتل أعداء الله، كلما ذهبت حرب نشبت حرب قوم آخرين، حتى تأتيهم الساعة»[٢].

وأخرج ابن أبي عاصم بسند صحيح عن أبي هريرة وابن السمط – رضي الله عنهما – كانا يقولان: لا يزال المؤمنون في الأرض إلى أن تقوم الساعة، وذلك أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي قوامة على أمر الله عز وجل، لا يضرهم من خالفهم، تقاتل أعداءها، كلما ذهب حرب قوم تستحرب قوم أخرى، يزيغ الله – عز وجل – قلوب قوم ليرزقهم منهم، حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم»[٣].

إن هذه الآيات والأحاديث تقرر أن رسول الله ﷺ منصور أبد الدهر إلى قيام الساعة على من ناوأه وخالفه، وأن أمته كذلك منصورة ببركته والسير على سنته ومنهاجه، وأنه ليس بعد نبينا ﷺ نبي ولا بعد هذه الأمة أمة.

---

(١) صحيح مسلم: ١/ ١٣٧.
(٢) مسند الشاميين: ٢/ ٣٩٤.
(٣) الآحاد والمثاني: ٥/ ٢٥٤.

رابعاً: نتائج معارك الأعداء مع النبي ﷺ وأمته:

إن المتتبع لمعارك الأعداء مع النبي ﷺ وأمته على مدار التاريخ يجد تلازماً بين شدة هذه المعارك واشتعال أحقادها وما يعقب ذلك من النصر والظهور لهذا الدين على غيره.

لقد كانت معركة الإسلام في المدينة مع اليهود الذين لم يدعوا جانباً من جوانب الشر الذي عرفته البشرية - والذي لم تعرفه - إلا واستخدموه للنيل من نبي الله ﷺ وأصحابه ودينه وأمته، ولا مجال لاستعراض آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ ووقائع السيرة الشريفة التي تبين النتائج الإيجابية على الإسلام وأهله نتيجة هذه الحرب. ونؤكد أنه ما كانت لهذا الدين وأهله نهضة إلا بعد معركة شرسة من هذه المعارك، فقد وقعت الفتن بعد موت النبيّ ﷺ حتى أشفق بعض الناس على الإسلام وأهله خوفاً عليه من الاستئصال، وكان أعظم هذه الفتن ما شجر بين أصحاب النبي ﷺ من قتال ونزاع على الخلافة والملك، ولا يخفى أن هذه الفتنة كانت بفعل شياطين الإنس والجن من اليهود وأوليائهم من المنافقين الذين اختفت رؤوسهم في أرجاء الدولة الإسلامية الواسعة الانتشار ووسط الكثرة الكاثرة من المسلمين الجدد الداخلين في الإسلام من مختلف الشعوب والأمم، وكان المقصد الأول من هذه الفتنة القضاء على الرسول ﷺ ورسالته، فماذا كانت النتيجة؟ هل قضت هذه الفتنة العاصفة على الرسول ﷺ ورسالته؟

والجواب: كانت نتائج هذه الفتنة قيام منهجية عظيمة لم يعرف التاريخ لها مثيلاً في التأصيل والتقعيد والحفظ، ومن ذلك: كتابة القرآن الكريم في المصحف الإمام، وشَكْل المصحف ونقْطه، وضبط القراءات القرآنية، وظهور أئمة القراء، وكان

من ذلك: وضع منهج الرواية والدراية لأحاديث النبي ﷺ ابتداء من العصر الأول والصحابة أحياء متوافرون وهم يحفظون السنن في صدورهم غضة كما سمعوها من رسول الله ﷺ، وكان من ذلك: ظهور الجهابذة من رجال الحديث وعلله الذين ضبطوا مناهج علم الحديث ودوّنوا الأحاديث في مصنفاتهم، وكانوا وهم يدونون ويصنفون يردّون على أهل البدع والفرق افتراءاتهم، حتى إننا وجدنا في تصنيف الإمام البخاري لكتابه الجامع الصحيح ما يردُّ على معظم أهل الفرق المبتدعة في زمانه؛ كالقدرية والمرجئة والخوارج وغيرهم من المبتدعة. وكان من ذلك أيضاً: تأكيد منهج العقيدة الصحيحة الصافية من شوائب الشرك وتخليصها من نزغات المضلين من أهل الفرق المبتدعة الضالة.

وكان من ذلك أيضاً: قيام حركة التقعيد والتأصيل للفقه الإسلامي، وظهور أئمة الفقه الكبار، من أمثال: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وآلاف الأئمة من الفقهاء والأصوليين الذين ضبطوا الفروع وقعَّدوا الأصول، فأحاطوا الدين بأسوار متينة حافظت على الرسول ﷺ ورسالته. وكان من ذلك أيضاً: قيام حركة التأصيل في التاريخ ونقل الأخبار؛ كالجهد الذي قام به ابن إسحق في سيرته، وابن سعد في طبقاته، والطبري في تاريخه، وغيرهم كثير من المؤرخين والإخباريين.

هذه نتيجة المعركة بين النبي ﷺ وأعدائه. نعم؛ لقد خسر المسلمون دولة الخلافة، لكنهم حققوا - بفضل الله تبارك وتعالى - المحافظة على أصول دينهم ومنهج عقيدتهم وشريعتهم، وكتاب ربهم وسنة نبيه ﷺ؛ فهل تحقق هدف العدو من فتنته؟

وبعد انقضاء القرون الثلاثة الفاضلة؛ هبَّت موجة عاتية من الفتن الباطنية والعقائد الزائغة وسيطرت على العالم الإسلامي، وحاولت هدم الإسلام في عقيدته

وشريعته ورسالة نبيه ﷺ، وتزامنت مع هذه الهجمة الشرسة غزواتُ الأعداء من الصليبـيين أولاً ثم المغـول والتتـار. وكـان من أبرز أهداف الصليبيين: نبشُ قبر النبي ﷺ، وقد عملوا لهذا ووجهوا حملاتهم إلى المدينة، ولكن هذه الموجة العاتية وهذه الفتن الباطنية وهذه الهجمات الشرسة أيقظت المسلمين من جديد وأنشأت فيهم فعلاً جديداً، فأكدوا ما كانوا عليه من تأصيل وتقعيد ومنهج، واستعادوا نهضتهم مرة أخرى، وعادت جيوشهم إلى مواقعها، وتقدمت إلى زوايا أخرى من الأرض حتى اقتربت من شمال أوروبا. ويكفينا أن نعلم أن الحركة العلمية الموسوعية في الحديث والفقه والأصول والتاريخ إنما نشأت بعد هذه الهجمة.

فهل نالت هذه الهجمة من الرسول ﷺ ورسالته؟ أم أكسبت رسول الله ﷺ ذِكْراً مع ذِكْرِه وفضلاً مع فضله، وعطاءً من الله إلى جانب عطائه؟

ثم كانت الهجمة العاتية في العصور الحديثة التي عصفت بالمسلمين ففرَّقتهم أيدي سبأ، واستهدفت النبي ﷺ وسنته، والقرآن الكريم وحفظه وتفسيره، والفقه الإسلامي وأصوله، وعقائد الإسلام الصحيحة، وروجوا للعقائد الفاسدة والبدع المنحرفة، كما نالوا من أخلاق المسلمين فأشاعوا فيهم رذائل الأخلاق ومفاسد الطباع، حتى ظنَّ كثير من المخلصين أن الإسلام إلى ضياع، ولكن هذه الهجمة أعادت للمسلمين دورهم من جديد؛ فحاطوا إسلامهم ورسالة نبيهم ﷺ بسياج من الفكر الأصيل والعمل المنهجي في مختلف الجوانب المستهدفة في الهجمة الغربية والاستشراقية. وكان من نتائج هذه الهجمة: انتشار الإسلام في بلاد الغرب، ومحاولة الساسة الغربيين إقامة التحالفات والحشود العسكرية للحيلولة دون تمكين الإسلام في عالم الغرب، بل وفي العالم أجمع.

وكان من مظاهر هذه الهجمة الأخيرة أيضاً التعرض المباشر لشخص رسول الله ﷺ والإساءة الموجهة إليه. وكما هي الهجمات السالفة في نتائجها الباهرة لصالح الإسلام والمسلمين؛ فإننا ما زلنا نحصد نتائج جديدة وثمرات يانعة وانتصارات جديدة ستكون آثارها - بإذن الله - متناسبة مع عالمية الهجمة وشراستها.

إنها سُنة الله في تعظيم قدر رسوله ﷺ ونصر دينه وأوليائه، وكما قال الله - تبارك وتعالى - في التعقيب على حادثة الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١].

فإننا نقول: لا تحسبوا هذه الهجمة شراً لكم، بل هي خير لرسولنا ﷺ ولأمته.

خامساً: الكرامة للمدافعين عن النبي ﷺ وأمته:

إن هذه السُّنة السالفة الذكر متحققة لا محالة، فمن أكرمه الله وأعزه ورضي عنه فإنه يختاره مجنّداً في هذه المعركة ليكون منافحاً عن رسوله ﷺ وأمة الإسلام. ويكون ذلك في رأيي في حدود النقاط التالية:

١ - تعظيم النبي ﷺ ودعوة الناس إلى الإيمان به:

إن أوجب واجبات الدعاة في هذا الزمان دعوة الناس إلى تعظيم النبي ﷺ وتوقيره والإيمان به نبياً خاتماً ورسولاً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، ورحمةً مهداةً للعالمين، وبركةً للناس جميعاً، وخيراً للأرض برِّها وبحرِها ونباتها وحيوانها، فضلاً عن البشر جميعاً من سكانها.

وحتى لا تكون هذه الدعوة ردة فعل تنشأ في حالة انفعال محدود يرتبط بموجة

من موجات العداء، وتزول عند توقف هذه الأفعال؛ فإنّ على أمّة الإسلام – قياماً بشرط الإيمان – أن تجعل تعظيم النبي ﷺ وتوقيره من الأمور الدائمة الإعلان، وهذا ما جاء به القرآن الكريم؛ فالرسول ﷺ ما سمي رسولاً إلا لأنه يحمل هذه الرسالة إلى بني البشر مسلمهم وكافرهم، فالمسلم لا يتحقق إسلامه إلا بدوام الصلة بينه وبين الرسول ﷺ؛ لأن الرسول هو سبيل الإيمان بالله – تبارك وتعالى –، والكافر لا يزول كفره إلا بدوام طَرْق قلبه بهذه الرسالة وتعريفه بصاحبها ﷺ.

قال الله – تعالى –: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [**الأعراف**: ١٥٧ – ١٥٨].

وإنني أفترض أن الذين يسيئون إلى النبي ﷺ هم أحد فريقين:

فريق عرفه حق المعرفة ثم جحد به وبرسالته، فقال الله فيهم: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ**﴾ [**البقرة**: ١٤٦ – ١٤٧]، وقال – سبحانه –: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾ [**البقرة**: ٨٩].

وهذا الفريق الجاحد لا يرجى منه الإيمان بالرسول ﷺ، ولا ينتظر منه تعظيم

النبي ﷺ وتوقيره إلا بإخضاعه وتخويفه، وقد كان للدولة الإسلامية شأنها مع هؤلاء. وأمّا الآن فقد تكون وسائل الضغط المدني؛ كالمظاهرات والمسيرات والملتقيات ورفع الشكاوى من أبرز أشكال المقاومة، وقد تكون المقاطعة الاقتصادية والتهديد بالمصالح الدنيوية من وسائل هذا الإخضاع.

وفريق آخر: عرف النبي ﷺ من خلال الشبهات والافتراءات التي يروجها الإعلام الغربي والتربية الغربية، ابتداءً من رياض الأطفال والمدارس والجامعات حيث يلقَّن طلاب المدارس أن شخصية النبي ﷺ هي شخصية المحارب الدموي المحب لسفك الدماء، الذي يحتقر النساء، ويجمع بين الكثير منهن في بيت واحد، ولا يلتزم بالعهود، وأن الكتاب الذي جاء به ما هو إلا جملة من الأساطير والأخبار المنقولة عن التوراة والإنجيل. وهذا الفريق ضللته هذه الدعايات والافتراءات حتى أصبح مصدِّقاً بها ومروِّجاً لها، وهو السواد الأعظم من عالم الغرب. وعلاج هذا الفريق الدعوة والبيان، والتعريف بشخص رسول الله ﷺ ودينه وشريعته والقرآن الذي أنزل عليه، وفي هذا الفريق أمل كبير بتغيير موقفه، بل وباتِّباع النبي ﷺ بعد معرفته، والذين يسْلِمون في الغرب أنموذج من هذا الفريق.

٢ - الانتفاع من وسائل العصر:

حيث لم يُقدَّر للبشرية أن تتكاثر عليها وسائل الاتصال والتقارب والانتشار كما هي في هذا العصر، حتى أصبح للمرء قدرة على سماع أنفاس المتحدثين على بعد آلاف الأميال، كما أصبح نقل الخبر من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب لا يحتاج إلا ثواني معدودات، كما أصبح التفاهم بين أصحاب اللغات واللهجات شائعاً ذائعاً. إن هذه الوسائل المعاصرة تجعل تبليغ الإسلام أيسر من أي وقت سابق؛

فهل نحن قادرون على استخدام هذه الوسائل؟

٣ - ضرورة عرض الأفكار بيُسر للوصول إلى البشرية:

لم يكن العقل البشري في فترة من فترات التاريخ أرغب منه في المعرفة وحب الاستطلاع كما هو في هذا العصر، فمن لا تفكر في الوصول إليه فإنه يفكر في الوصول إليك. ولقد عجبت عندما علمت أن أكثر من ٥٠٪ من الداخلين على نافذة المكتبة الأزهرية هم من الشعب الأمريكي وهم أكثر بكثير من الداخلين عليها من العرب والمسلمين! وهذا يجعل مهمة عرض الأفكار والعقائد والمذاهب أيسر من أي وقت مضى. ولـمّا كان هذا الدين دين الفطرة، وكان هذا الرسول ﷺ رحمة الله للعالمين، وكانت شريعته شريعة العدل والخير والحق والوسط؛ فإن تقديم هذا النبي ﷺ وتقديم شريعته لهذا العقل البشري المفتوح يأتي في هذا الزمان، ولعله المبشَّر فيه بظهور الإسلام على كل ما سواه من العقائد والمذاهب.

٤ - تصنيف المادة العلمية تصنيفاً جديداً:

إن المادة العلمية التي نمتلك كنوزها ونحتفظ بجواهرها كما صنفها القدماء من علمائنا بلغة عصورهم وتلبية لحاجات دهورهم، ووفقاً لمنطق مجتمعاتهم؛ أصبحت اليوم بحاجة إلى تصنيف جديد بلغة العصر، وترتيب جديد لحاجات هذا الدهر، ومنطق جديد يراعي مجتمعات هذا الزمان.

لقد كان تصنيف الإمام البخاري في زمانه لأحاديث النبي ﷺ تصنيفاً مبتكراً سبق عصره، وكذلك كل من ألّف من الفقهاء والأصوليين والمحدثين، إلا أن هذا التصنيف وهذا الترتيب وهذا المنطق توقف عند ظاهرة الإبداع الأولى، وأصبحنا اليوم بحاجة إلى من يستأنف التجديد والتطوير في أساليب التصنيف والترتيب والمنطق؛ فطِبُّ

اليوم غير طب البخاري، وسياسة اليوم غير سياسته، وكذلك شؤون الحياة المختلفة، وهذا يستدعي القيام بتصنيف جديد. ولـمّا كان هذا الدين دين العصور والدهور إلى قيام الساعة ودين الشعوب والأمم قاطبة؛ كان لا بد من إدخال كل عصر في سياق هذا الدين بما يلبي الحاجات ويحقق الأولويات، ويوافق منطق الإنسان في كل عصر من عصوره.

٥ - المسارعة إلى إيجاد هذا التصنيف والتبويب والترتيب:

وإنني أدعو هذا المؤتمر الموقر كما أدعو إخواننا القائمين على مجلة البيان الزاهرة، أن يسارعوا إلى إيجاد هذا التصنيف العصري للسنة النبوية بما يحقق الأمور التالية:

أ - الاتفاق على عناوين الموضوعات في مختلف مجالات المعرفة؛ ابتداء من العقائد، ومروراً بالعبادات والأخلاق والتربية والأسرة والإدارة والإعلام والسياسة وغير ذلك من المجالات، آخذين في الحسبان أن تكون هذه العناوين بلغة العصر، وأن تكون سهلة في نقلها إلى اللغات الأجنبية، مع مراعاة أن يكون واضعو هذه العناوين من المتخصصين في كل مجال من مجالاتها، وبهذا نقدم السنة النبوية ونكشف عن كنوزها لطلاب المعرفة.

ب - جمع الأحاديث النبوية تحت هذه العناوين مع الحُكم عليها تصحيحاً وتضعيفاً، مع الحرص على جمع طرق الحديث الواحد من جميع رواياته، وذلك للوصول إلى موسوعة معاصرة للسنة النبوية الشريفة تيسِّر اطِّلاع العالَم على رسالة هذا النبي الكريم، ليعلم الناس جميعاً شرَف هذا النبي ﷺ وقَدْرَه، ومدى حاجتهم إلى الهدى الذي جاء به.

ج - لقد قمنا - بفضل الله تعالى - بمثل هذا المشروع منذ أكثر من عشرين سنة، وذلك من خلال مركز دراسات السنة النبوية الشريفة في عمان، وأصدرنا الدليل التصنيفي الذي قامت بنشره جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية.

د - إبراز موضوع الشمائل النبوية والأخلاق المحمدية بطريقة تستوعب هذه الشمائل من كتاب الله - تعالى - وسنة نبيه ﷺ على نحو من التفصيل الذي لم يتحقق حتى الآن بشكله الكامل، بعيداً عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والانتفاع من كتب الشمائل السابقة، ولا سيما كتاب (الشفاء بالتعريف بحقوق المصطفى) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، الذي قال عنه المستشرق (ماسينيون): «يكفي لتعرف أوروبا محاسن رسول الله محمد ﷺ ومحامده أن يُنقَل كتاب (الشفاء) إلى إحدى اللغات الأوروبية»[1].

إنّ استخلاص عناوين شاملة لهذه الشمائل، ثم جمع الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة والحسنة تحت هذه العناوين مع شرح موجز، ثم ترجمة هذه الشمائل إلى اللغات الأجنبية؛ سيكون - بإذن الله تعالى - أبلغ وسيلة للتعريف الكامل بهذا النبي الكريم ﷺ، مع التفصيل في الأخلاق النبوية في: رحمته، وبره، وعدله، وصدقه، وصبره، وإحسانه، وحُسْن معاملته لأهله وخدمه وأصحابه وأعدائه، ورفقه، وإيثاره، ووفائه بالعهود، وحيائه، وجهاده، وعبادته، وذكره لله واستغفاره، إلى غير ذلك من أخلاقه الشريفة وصفاته المنيفة مؤيَّدةً بشواهد من سيرته الصحيحة.

---

(١) نقلاً عن كتاب الرسالة المحمدية للسيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى، ص١٠٧، ط دار الفكر، دمشق، ١٩٨٢م. وكذلك كتاب زاد المعاد، لابن قيّم الجوزيّة رحمه الله تعالى.

هـ - تحديد عناصر الخطاب المناسب للعقلية الغربية، مع المحافظة على الثوابت الشرعية؛ كتأكيد بشرية النبي ﷺ، وبيان دور الحواس في المعرفة، وتأكيد دور العقل في الكشف عن العلل والاستنباط، والتعريف بمكانة التجربة والخطأ في الاجتهاد، وتقدير دور العلم والعلماء، وبيان أهمية انسياب المعارف الإنسانية بين الشعوب تحت مبدأ (الحكمة ضالة المؤمن، أنّى وجدها فهو أحق الناس بها)، وإبراز دور الإسلام في الحفاظ على البيئة والرفق بالحيوان، ورعاية حياة الإنسان المعيشية بعيداً عن التلوث وأسباب الدمار الكارثي الذي يهدد الأرض وسكانها، وتأكيد مبدأ التعاون بين الشعوب والثقافات على كل ما ينفع الإنسان ويسعده. وأقترح على هذا المنتدى الكريم تخصيص لجنة تقوم بتحديد عناصر هذا الخطاب وتحديد محتواه من الكتاب والسنة وترجمة هذا المحتوى إلى اللغات الأخرى.

الاقتراحات والتوصيات

أولاً: العمل على تحديد عناصر الخطاب الإسلامي المناسب للعالم الغربي.

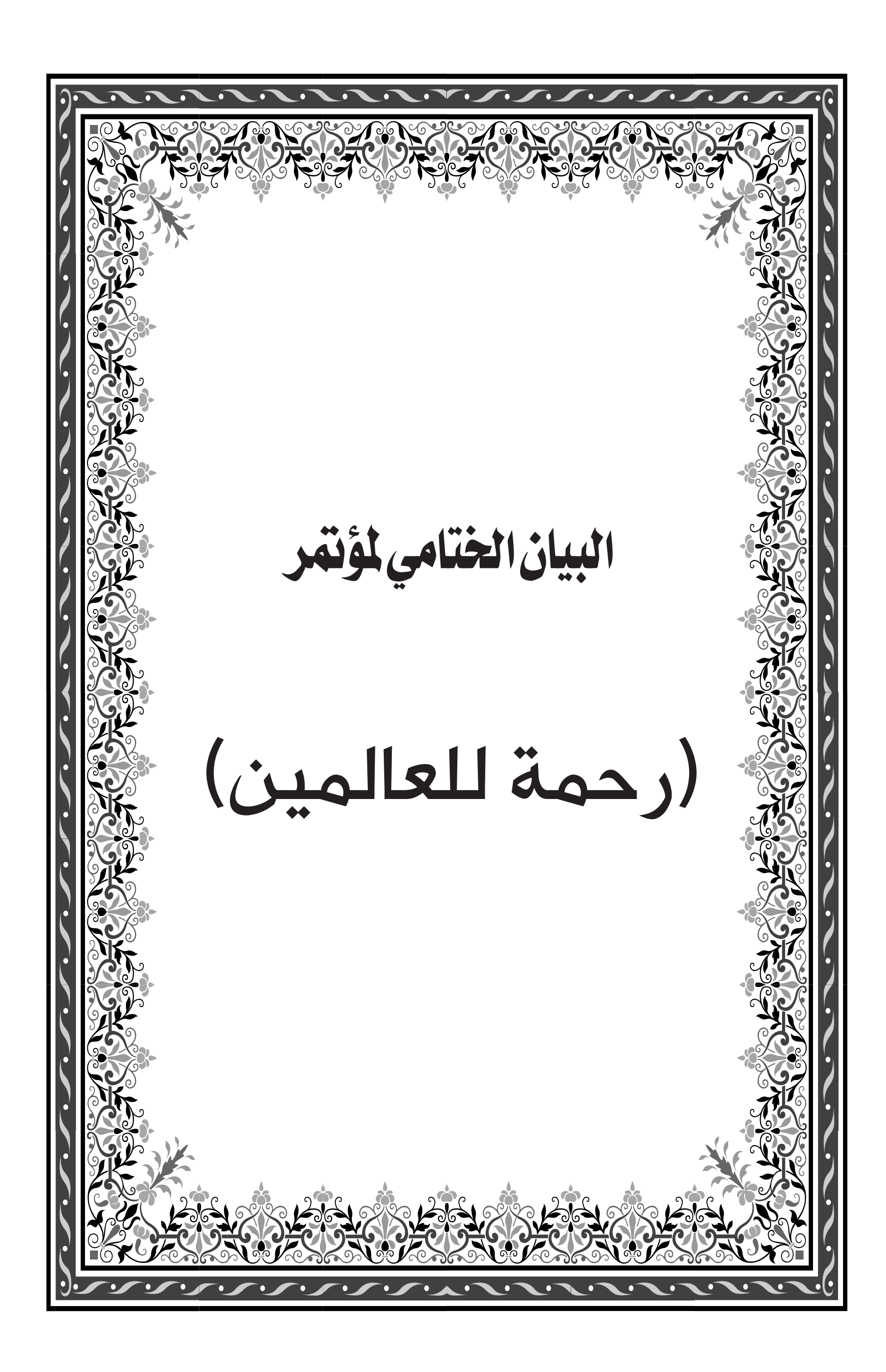
ثانياً: الشروع في تصنيف موضوعات السنة النبوية الشريفة بما يناسب هذا العصر، مع الحرص على شمول هذا التصنيف لجميع الحاجات الإنسانية المعاصرة.

ثالثاً: تصنيف موضوعات الشمائل النبوية وجمع الأحاديث النبوية فيها، ولا سيما جانب الأخلاق النبوية الشريفة.

رابعـــاً: ترجمة الأعمال السابقة للغات الأجنبية.

خامساً: إيجاد مراكز إعلامية في الغرب تقوم بالتواصل مع الإعلاميين ورجال الفكر والسياسة والقضاء والمال وتزوِّدهم بنشرات تتضمن التعريف بالنبي ﷺ وبرسالته.

سادساً: تحميل الأنظمة والحكومات في البلاد العربية والإسلامية مسؤوليةَ الدفاع المتواصل عن النبي ﷺ، وإلحاق هذا العمل في الأعمال الدبلوماسية إلى هذه الأنظمة.



البيان الختامي لمؤتمر

(رحمة للعالمين)

البيان الختامي لمؤتمر (رحمة للعالمين)

الحمد لله أكثر الحمد وأوفاه، وأفضل الصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه، وعلى آله وصحبه ومن واله، وبعد:

فمن توفيق الله تعالى، ورفعه لذكر نبيه ﷺ أن اجتمع طائفة من علماء الأمة ومفكريها ودعاتها، في مؤتمر (رحمة للعالمين) المنعقد في الخرطوم بجمهورية السودان، ما بين يومي الثلاثاء والخميس (٣-٥ / ١١/ ١٤٢٨هـ) الموافق (١٣-١٥/ ١١/ ٢٠٠٧م)؛ برعاية كريمة من الأخ رئيس الجمهورية سعادة المشير عمر حسن أحمد البشير.

وبعد مداولات ومشاورات خلص المؤتمرون إلى التوصيات التالية:

أولاً: إبراز منزلة النبي ﷺ في الإسلام: أكد المؤتمر على ضرورة إعظام منزلة الرسول في نفوس المسلمين، وتعميق ركن الشهادة بأن محمداً رسول الله، وبيان أثر ذلك على الأصعدة كافة.

ثانياً: العناية بالميراث النبوي: يؤكد المؤتمر على ضرورة العناية بميراث النبي ﷺ من السنة؛ جمعاً وتحقيقاً وحفظاً وتفقهاً، ودعم البرامج العلمية والإعلامية والتربوية المتعلقة بها، ومن ذلك إقرار حصص دينية خاصة بالنبي ﷺ وهديه في مختلف المراحل الدراسية؛ معروضة بأحدث الوسائل، بما يناسب طبيعة كل مرحلة واحتياجاتها.

ثالثاً: التخصص في الدفاع عن النبي ﷺ: يلفت المؤتمر النظر إلى أهمية التخصص في الدفاع عن النبي ﷺ، ومواجهة حملة الطعن، وذلك على نطاق البحوث والدراسات العلمية، ونطاق بناء المؤسسات واللجان والبرامج المتخصصة.

رابعاً: التحليل الفكري لظاهرة الطعن في النبي ﷺ: يدعو المؤتمر ذوي الاهتمام إلى دراسة ظاهرة الطعن في النبي ﷺ، وفك اشتباكاتها العقدية والسياسية والاجتماعية والشخصية، ووضع التصورات والقرائن المقربة لفهم ذلك، واقتراح آليات التعامل لكل منها، مع دراسة ظاهرة الطعن في النبي ﷺ باعتبار سياقها العالمي في الهجمة على الإسلام، وتوثيقها تاريخياً، والتعرف على موضعها من حيث المرحلة الزمنية، واستقراء مرحلتها التالية.

خامساً: تفعيل دور لجان الدفاع عن النبي ﷺ: يؤكد المؤتمر على دور لجان النصرة في تنسيق جهود الأفراد والمؤسسات، مع عدم قصر الجهود عليها، وأهمية تقديرها لتعدد وجهات النظر في حملة الدفاع عن النبي ﷺ، كما يحث المؤتمر عموم المسلمين على دعمها والتعاون معها.

سادساً: التأكيد على دور أهل العلم: يدعو المؤتمر العلماء وطلبة العلم والدعاة إلى الله؛ إلى بذل المزيد من الجهد، ويذكرهم بمسؤوليتهم في القيام بدور رياديٍّ في تعليم الناس وحثِّهم على النصرة وترشيد مسيرتهم، والقيام بخطوات عملية في ذلك.

سابعاً: تطوير الخطاب مع الغرب على مستويات مختلفة: يدعو المؤتمر المهتمين من أهل العلم والدعوة والفكر؛ إلى تنويع الخطاب الموجه إلى الغرب وتطويره، ومن ذلك:

أ - مخاطبة الشعوب عموماً والرموز والمؤسسات الفكرية الغربية المنصفة خصوصاً، والتواصل معهم لتعريفهم بالإسلام وعظمته.

ب - مخاطبة الجهات المتطرفة بأهمية وقوفهم مع العدل، والرد على حملاتهم وخطاباتهم.

ثامناً: العناية بالترجمة: ينوِّه المؤتمر بأهمية ترجمة معاني القرآن الكريم، والحديث النبوي، وما يلحقهما من السيرة والأحكام الشرعية؛ إلى لغات العالم المختلفة، ومنه: ترجمة الأعمال المختصة بسيرة النصرة، وتعاون أهل العلم واللغة والمال والإعلام في إنجاح ذلك.

تاسعاً: مواصلة لقاءات النصرة: يوصي المؤتمر بمواصلة لقاءات النصرة ومؤتمراتها، وإشراك شخصيات مسلمة من دول العالم المختلفة، خصوصاً الدول الغربية، واستثمار الحدث لترسيخ العقيدة وإشاعة الوعي وتفعيل القضية، ويؤكد على تزويد المسؤولين والمفكرين والجهات الإعلامية بتوصياتها، وترجمتها باللغات المختلفة.

عاشراً: النصرة على مختلف المستويات: يؤكد المؤتمر على دور كل مسلم للقيام بالنصرة؛ سواء في دوره العام بتطبيقه لهدي النبي ﷺ، ومشاركته في بناء أمة

مؤمنة قوية، أو دوره الخاص في قضية النصرة، ويؤكد في إطار ذلك على دور الشباب والمرأة؛ واتخاذ آليات مناسبة لمشاركة أميز في برامج النصرة ولقاءاتها، كما يدعو إلى إشراك الجهات السياسية في الدول الإسلامية للقيام بدورهم في النصرة.

حادي عشر: اللقاءات المتخصصة: يوصي المؤتمر بعقد لقاءات متخصصة في كل مجال يمكن به دفع مسيرة النصرة، والخروج برؤية مقاربة وخطوات عملية، مع ضرورة إشراك أهل العلم الشرعي فيها؛ سعياً إلى إتمامها، من ذلك:

أ - لقاءات لذوي الاتجاه القضائي والقانوني؛ ومن المقترح لهم: صياغة قانون منبثق من الشريعة الإسلامية؛ يحاسب المتطاولين على النبي ﷺ في بلاد الغرب، وكذلك المتطاولين على سنته في بلاد المسلمين، وإنشاء هيئة مهتمة بذلك.

ب - لقاءات لرجال الإعلام، ومن المقترح لهم: بناء قنوات وبرامج متقدمة باللغات العالمية، أو ترجمة البرامج العربية في ذلك، والسعي للأخذ بزمام المبادرة في دعوة الأمم إلى ديننا الحق، لا أن نقف مستوردين لثقافة الآخرين.

جـ - لقاءات للمهتمين بخطاب الغرب؛ سواء كان خطاباً لمؤسساتهم الرسمية، أو قياداتهم الفكرية، أو الشعوب، والعمل على الخروج برؤى متقاربة، وخطابات موجهة.

د - لقاءات للقيادات الفكرية والدعوية.

هـ - لقاءات للجان النصرة؛ لتنسيق الجهود.

ثاني عشر: الإشادة بمواقف الأمة في نصرة النبي ﷺ: يشيد المؤتمر بمواقف الأمة في نصرة النبي ﷺ، على مختلف الأصعدة والمستويات؛ من العلماء والدعاة

والمفكرين والإعلاميين والجهات الرسمية، ويعدّها شاهداً على حياتها وحيويتها وحبها لنبيها ﷺ، ويثمن في ذلك جهود أبناء الأمة على امتداد العالم عموماً، وفي دول إفريقيا والسودان خصوصاً، ويدعو الجميع إلى مزيد من العطاء والتنسيق.

ثالث عشر: الالتجاء إلى الله تعالى: يذكر المؤتمر عموم المؤمنين أن اللجوء إلى الله - تعالى - مما تحتاجه الأمة وكل فرد منها في كل وقت، وهي في مثل هذه الأزمات التي تعصف بالأمة أشد حاجة، وأن على الأمة الرجوع إلى الله، والتوبة مما يخالف أمره؛ سواء على مستوى القيادات أو الجماعات أو المؤسسات أو الأفراد، وأن على الأمة العمل الجاد مع التوكل الصحيح على الله تعالى، ودعائه أن يكشف عن أمة نبيه ﷺ ما بها من البأساء، وأن يعز دينه، وينصر أولياءه، ويكبت أعداءه.

وختاماً: نتقدم بالشكر الجزيل لجمهورية السودان رئيساً وحكومةً وشعباً على استضافتهم لهذا المؤتمر المبارك، كما نشكر كل من ساهم في إنجاح هذا المؤتمر، ونسأل الله - تعالى - أن يجزل لهم المثوبة وأن يجعل ذلك في موازين حسناتهم، والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

الأمانة العامة للمؤتمر

٥ ذو القعدة ١٤٢٨هـ، ١٥ نوفمبر ٢٠٠٧م

الفهرس